

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القيوين
كلية الدعوة و اصول الدين
فرع العقيدة

بعد المراجعة و جهاه الطالب قد قام بالصحح المطلوب
د/ احمد ناصر
د/ عبد شكور احامه
د/ صلاح السبي
١٤١٠/١٠/١٠

مَجِبِرُ السُّؤْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بين الإلتباع والإبتداع



إعداد الطالب

عبد الرؤف محمد حماد

إشراف الدكتور

أحمد بن ناصر الحمد



رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية

١٤١٠ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحِبِّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

آل عمران: ٣١

شكر وتقدير

-x-

الحمد لله أولا وآخرا ، فهو صاحب الفضل والمنة وبيده التوفيق والسداد
ومنه العون والاسعاد .

ثم الشكر لمن جعلهم الله مفاتيح الخير ، فجعل الخير على أيديهم
ميسرا ونفع بهم عباده .

ومن هؤلاء القاشمون على رابطة العالم الاسلامي يتقدمهم معالي الأمين
العام الدكتور عبدالله نصيف . وسعادة الأستاذ مراد عرقموس مدير شؤون
الطلاب بالرابطة . فلهم جزيل الشكر على ما يسروا لي من فرصة الدراسة
بالجامعة .

ثم الشكر لجامعة أم القرى على مايسرت لي من فرصة الدراسة ببيسـن
صفوفها . كما أشكر القاشمين على أمر الدراسات العليا الشرعية بالجامعة .
كما أتقدم بجزيل شكري للدكتور أحمد بن ناصر الحمد ، المشرف على
هذه الرسالة ، والذي شملني بتوجيهاته ، وكان عوناً لي على معالجة قضايا
البحث منذ أن كان فكرة حتى اكتمل . فله مني جزيل شكري وعاطر ثنائي .

كما لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر لأساتذة قسم العقيدة بجامعة أم القرى .
وللعاملين بالمكتبة المركزية في مكة والطائف ومكتبة الحرم المكي .

ثم الشكر لكل من ساعدني في هذا البحث من الأهل والاخوان .
فلكل هؤلاء جميعا أزجي جزيل الشكر عرفانا بالجميل لأهله . وأسأل
الله أن يثيبهم عليه أجزل الثواب .

(ب)

مقدمه

-x-

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين .
أحمده حمد الشاكرين . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . كلمة
حق قامت عليها السماوات والأرضين . وبها أرسل الله الرسل مبشرين
ومنذرين . ولأجلها انقسم الناس الى مؤمنين وكافرين . فمن سبقت لــــه
السعادة بالايمان كان من الناجين . ومن تنكب عنها واتبع هواه كان من
الهالكين . وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله ، وأمينه على وحيه ، وخيرته
من خلقه ، المبعوث بالدين القويم ، والصراط المستقيم . أرسله الله رحمة
للعالمين ، واماما للمتقين ، وحجة على الخلائق أجمعين . فلم يزل صلى الله
عليه وسلم يجتهد في تبليغ الدين ، وهدى العالمين ، وجهاد الكفار
والمنافقين . حتى طلعت شمس الايمان ، وأدبر ليل الكفر والبهتان ، وعز
جند الرحمن وذل حزب الشيطان وظهر نور الفرقان فبلغت دموته القاصي والداني
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان وسلم تسليما مقرونا
بالرضوان .

أما بعد . فان الله افترض على العباد طاعة نبيه صلى الله عليه وسلم
ومحبته وتوقيره والقيام بحقوقه . وسد الطرق الى جنته فلن تفتح لأحد الا من
طريقه ، فشرح الله له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره ، وجعل الدلالة
والصغار على من خالف أمره .

فقام المسلمون بأداء ما افترضه الله عليهم من محبة نبيه وتوقيره
واكرامه وبره ، واتباعه وطاعته حق قيام ، وظهر من حبهم لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ما جعلهم يقدونه بكل عزيز وغال ، ويؤثرونه على الأهل
والأوطان والأموال . حتى باعوا أنفسهم وأموالهم لرب العالمين . نصره لدينه ،
ودفاعا عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، نشرا لهذا الدين في العالمين ،
فرضي الله عنهم أجمعين .

حتى اذا دب الضعف في هذه الأمة ، أدركتها سنة الله في الأمم ، فظهر فيها التفرق والاختلاف ، والعداوة والبغضاء ، وتفرق أهل القبلة على فرق شتى وطرائق قديدا ، واتخذ النفاق فرصته السانحة في توسيع شقة الخلاف ، ورفعت الزندقة رأسها ، ودخلت معترك الفرق بقديم حقدتها ، وكوامن غيظها . كيدا لهذا الدين الذي قوّى أركانها ، وأذهب من الأرض سلطانها . استمال هؤلاء الزنادقة الأغرار بالعقائد الباطلة ، واستغلوا الفتن التي وقعت بتدبيرهم في تزيين الكفر والياسه ثوب الغلو في علي رضي الله عنه وآل البيت من ذريته . حتى خرجوا بأكثر الناس من الاسلام الى مذاهبهم الباطلة .

وتوارث أخلافهم سنتهم في الغلو . فغالوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخرجوه من نطاق البشرية الى مرتبة الألوهية ، ونسبوا الى الله ورسوله مالا يليق من صنوف الكفر والبهتان ، الهادمة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من أصول الاسلام والايمان . وزعموا أنهم بذلك يريدون اظهار حبه وتعظيمه ، وأوهموا المخدوعين بهم أنهم أولى الناس بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وأكثرهم حبا له . وحاولوا اخفاء زندقتهم بدعاوى الزهد والتنسك والتصوف . فمال اليهم الأغرار ، وظنوا أنهم من الأبرار الأخيار ، وأنهم أحباب النبي المصطفى المختار .

ولكن يابى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . فقيض سبحانه من عباده المخلصين ، وحزبه المفلحين من أزاح الغشاوة عن الأبصار ، وبيّن للناس زيف الزنادقة الأشرار وأنهم لا يريدون الا هدم الدين وتغيير سنة خاتم المرسلين . فتتبعوا أقوالهم وأحوالهم ، وكشفوا عن وجوه زندقتهم . حتى غدا أمرهم لأولي الأبصار مكشوفاً واضحاً ، وتبين لأولي النهى من كان لله ورسوله محباً صادقاً ، ومن كان في دعوى المحية دجالاً كاذباً ، ولا فساد دينين المسلمين ساعياً .

ولما كانت محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي دعوى الفريقين ومتنازع الحزبين . أردت أن أجلي في هذا البحث عن وجه الحقيقة كاشفاً عن

الصواب ، مستعينا بالعزير الوهاب ، ورغبت في تحرير محل النزاع ، فاسميتـه
(محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع) .

ووقع الاختيار على هذا الموضوع لأسباب منها :

- كون محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ركنا أصيلا من أركان الايمان ، أصابه ما أصاب الايمان من ضعف لدى بعض المسلمين ، فأردت أن أبين مكانة المحبة من الايمان .
- أن المحبة أمر قد يستتر وراء الدعوى والمزاعم فأردت أن أبين الشواهد الصادقة لهذه المحبة والأمور الفارقة بين الصادق فيها والكاذب . والتي من أهمها الاتباع .
- ظن كثير من المسلمين - تأثرا بالصوفية - أن من لوازم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم الغلو فيه فأردت أن أبين أن المحبة شيء مختلف تماما عن الغلو . فالأول فرض عين ، والثاني ضلال ومين .
- اتهام كثير من الغلاة عافة المسلمين بالجفاء للرسول صلى الله عليه وسلم سالم يوافقوهم في غلوهم الذي يسمونه محبة . فأردت أن أبين وجه الصواب في المسألة .
- أن حال كثير من الغلاة مخالف لأصول الشرع ، مع ادعائهم أنهم أحب الأمة للرسول صلى الله عليه وسلم ، فأردت أن أبين حقيقة أمرهم على ضوء الكتاب والسنة .
- ما حدث في الأمة بسبب الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم من صنوف البدع التي شوهدت معالم الدين عند أكثر المسلمين فأردت أن أبين آثار الغلو على الدين اعتقادا ، وتعبدا وسلوكا .

وقد رسمت خطة بحثي هذا على النحو التالي :

*** التمهيد :**

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : وسأتحدث فيه عن معنى النبوة والرسالة بإيجاز.
- المبحث الثاني: عن بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم وسأبين أن كمال الرسول أن يكون بشرا رسولا .
- المبحث الثالث : النبوة اصطفاة الهي ، وسأتحدث فيه عن بعض مظاهر اصطفاة الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بإيجاز.

*** الباب الأول : المحبة اتبافا ***

يشتمل هذا الباب على فصلين :

*** الفصل الأول : محبة الرسول صلى الله عليه وسلم**

يحتوي هذا الفصل على أربعة مباحث :

- المبحث الأول : مفهوم المحبة . وسأتحدث فيه عن معنى المحبة في اللغة عموما ومعناها في الشرع على وجه الخصوص .
- المبحث الثاني : وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسأتحدث فيه عن حكم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم في الشرع ، ومكانتها من الايمان
- المبحث الثالث : دواعي محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وأسباب زيادتها ، وسأتكلم فيه عن الدواعي والدوافع التي تدفع المسلم الى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وأسباب زيادة هذه المحبة .

(و)

- المبحث الرابع : مظاهر محبة الرسول صلى الله عليه وسلم
وسأبين فيه العلامات الواضحة والشواهد
الصادقة التي من اتصف بها كان صادقاً في
حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم،
وسأتبعه ببيان آثار هذه المحبة على سلوك
المسلم وأفعاله .

✽ الفصل الثاني : الاتباع

يتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : مفهوم الاتباع

وسأبين فيه معنى الاتباع لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في اللغة والشرع .

- المبحث الثاني : وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
واتباعه وسيكون الكلام فيه عن أدلة هذا
الوجوب من القرآن والسنة .

- المبحث الثالث : مظاهر الاتباع وسأبين فيه العلامات الواضحة
التي من اتصف بها كان متبعاً لرسول الله
صلى الله عليه وسلم .

✽ الباب الثاني : المحبة ابدامها ✽

يشتمل هذا الباب على فصلين :

✽ الفصل الأول : الفلوفى الرسول على الله عليه وسلم

ويحتوي هذا الفصل على ستة مباحث :

- المبحث الأول : مفهوم الفلوفى ، وسيكون الحديث فيه عن
معنى الفلوفى في اللغة والشرع ، وأنواع
الفلوفى والأسباب التي أدت الى ظهوره منسند
المسلمين .

- المبحث الثاني : الغلو عند اليهود والنصارى .
على أساس أنهم ابتلوا بـداء الغلو في أنبيائهم ، وأن
من غلا من المسلمين فهو متشبه بهم ، أخذ بسنتهم التي
حذرنا الله ورسوله من اتباعها .
- المبحث الثالث : الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم عند الشيعة
باعتبار أنهم أول من فتح باب الغلو في الأشخاص فـسى
هذه الأمة بغلوهم في علي رضي الله عنه وآل البيت
من ذريته .
- المبحث الرابع : الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم عند الصوفية
وسيكون الكلام فيه عن مطلبين :
- المطلب الأول : الغلو عند الحلاج وذلك باعتباره أول صوفي اشتهر عنه
الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم كغلو النصارى
في عيسى عليه السلام منطلقا من مذهبه في الحلول .
- المطلب الثاني : الغلو عند ابن عربي باعتباره ممثلا لمذهب وحدة الوجود
وسأحدث في هذا المطلب عن مذهب ابن عربي في الحقيقة
المحمدية التي كان لها أكبر الأثر في انحراف الصوفية
من بعده في اعتقادهم في الرسول صلى الله عليه وسلم
اذ جعلوه مساويا لله عز وجل في ذاته وصفاته تعالى
تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .
- المبحث الخامس : آثار الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم ، على
الاعتقاد والاعمال ، وسأبين فيه كيف أن الغلو في
الرسول صلى الله عليه وسلم كان سببا في افساد
العقيدة وتشويه معالم الدين .

(ح)

- المبحث السادس : حكم الاسلام في الغلو . وسأبين فيه حكم الشرع في الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحكم من اعتقد مقالة الغلاة في الرسول صلى الله عليه وسلم .

* الفصل الثاني : الابتداع

يتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث

- المبحث الأول : تعريف البدعة وبيان حكمها وسأعرض فيه بشيء من التفصيل الى أقوال العلماء في تعريف البدعة ، وهل تنقسم الى حسنة وسيئة أم لا ؟ ثم أتبعه بتحريـر محل النزاع بين الفريقين في هذا الموضوع .

- المبحث الثاني : البدع التي ظهرت بدعوى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وسأحدث فيه عن نماذج من هذه البدع على سبيل المثال لأعلى سبيل الحصر والاحصاء ، فمن هذه البدع اعتقاد الصوفية بحياة النبي صلى الله عليه وسلم حياة تامة لها كل خصائص الأحياء وبنوا على ذلك زعمهم بأنهم يرونه يقظة لا مناما ، ويجتمعون به . وسأبين مسا انبنى على هذه البدعة من بدع أخرى ومن هذه البدع التوسل غير المشروع بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم البدع المتعلقة بزيارة قبره صلى الله عليه وسلم ، ثم بدعة المولد ثم أعرض نماذج من الصيغ المبتدعة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

- المبحث الثالث : آثار الابتداع

وسأتحدث فيه عن آثار البدعة الوخيمة
على المبتدع في نفسه ، وعلى الدين،
وعلى المجتمع المسلم وأتبعه ببيان موجز
عن كيفية مقاومة البدع .

* الخاتمة :

وسأتحدث فيها عن أهم النتائج التي أتوصل اليها من خلال بحثي في
هذا الموضوع .

- وقد رسمت لِنفسي منهجا في معالجة هذا الموضوع على النحو التالي :
- ١ - أن أقوم بجمع مادة هذا البحث من مظانه المعتبرة حسبما يتيسر لي من
مراجع ومصادر .
 - ٢ - سأقوم بعزو الآيات القرآنية التي ترد في أثناء البحث الى مواضعها
من سور القرآن .
 - ٣ - تخريج ما يرد من أحاديث في أثناء البحث .
 - ٤ - الرجوع الى معاجم اللقمة في التعريفات اللغوية .
 - ٥ - سأترجم لمن يرد ذكره في أثناء البحث من الأعلام غير المشهورين ترجمة
موجزة .
 - ٦ - سأقوم بعزو الأقوال الى أصحابها ، أو الى المصدر الذي اقتبسته منه .

تمهيد

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول :

تعريف النبوة والرسالة .

المبحث الثاني :

بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثالث :

النبوة اصطفاة إلهي .

المبحث الأول

﴿ تعريف النبوة والرسالة لغة وشرعاً ﴾

-x-

﴿ النبوة :

النبوة في اللغة : مشتقة من النبا بمعنى الخبير .

قال الله تعالى : ﴿ نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم ﴾ (١) وقال تعالى :
﴿ فلما نبأها به قالت من أنباءك هذا قال نبأني العليم الخبير ﴾ (٢)

جاء في لسان العرب :

(النبا : الخبير ... والنبوء : المخبر عن الله عز وجل ، لأنه
أنبا عنه ، وهو فعيل بمعنى فاعل .

(٣)

قال ابن باري :

صوابه . أن يقول : فعيل بمعنى مفعول . مثل نذير بمعنى منذر وأليهم
بمعنى مؤلم .

(٤)

..... وقال الفراء : النبي : هو من أنبا عن الله فترك همزه .

(١) سورة الحجر ، آية (٤٩) .

(٢) سورة التحريم ، آية (٣) .

(٣) هو عبد الله بن باري بن عبد الجبار المقدسي المصري (٤٩٩ - ٥٨٢ هـ)
نحوي لغوي ، من مصنفاته : اللباب في الرد على ابن الخشاب ، وحواش على
الصحاح لم يكملها .
انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . جلال الدين السيوطي ،
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط ١ ، مطبعة عيسى الحلبي . مصر
١٣٨٤ هـ - ٢ / ٢٤ .

(٤) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي المعروف بالفراء
(١٤٠ - ٢٠٧ هـ) .

كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي .

له مصنفات عدة منها : معاني القرآن ، اللغات والمصادر في القرآن ،
النوادر .

انظر : بغية الوعاة ، ٢ / ٢٣٣ .

قال : وان أخذ من النبوة والنباوة وهي الارتفاع عن الأرض - أي أنه شرف على سائر الخلق - فأصله غير الهمز (١) . وعلى ذلك فالنبوة في الأصل مشتقة من النبأ وأصلها الهمز لكن لما كثر استعمالها خفف باسقاط الهمز ، أما اشتقاقه من النبوة والنباوة فهو ضعيف من ناحية اللفظة .

قال ابن تيمية :

(وهو) أي لفظ النبي) من النبأ ، وأصله الهمزة وقد قريء به ، وهي قراءة نافع يقرأ النبي ، لكن لما كثر استعماله لينت همزته كما فعل مثل ذلك في الذرية ، وفي البيرية ، وقد قيل هو من النبوة ، وهي العلو فمعنى النبي المعلى الرفيع المنزلة ، والتحقيق أن هذا المعنى داخل في الأول فمن أنباء الله وجعله منبها عنه ، فلا يكون إلا رفيع القدر عليا ، وأما لفظ العلو والرفعة فلا يدل على خصوص النبوة إذ كان هذا يوصف به من ليس بنبي ، بل يوصف بأنه الأعلى كما قال تعالى : ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ﴾ (٢)

وقراءة الهمزة قاطعة بأنه مهموز ... وأيضا فان تصريفه أنبا ونبأ ينبىء وينبىء بالهمزة ، ولم يستعمل فيه نبا ينبو ، وانما يقال هذا ينبو عنه ، والماء ينبو عن القدم اذا كان يجفو عنها ، ويقال النبوة ، وفي فلان نبوة عنا أي مجانية . فيجب القطع بأن النبي مأخوذ من الانباء لا من النبوة (٣)

✽ الرسالة :

الرسول في اللغة مأخوذ من الارسال بمعنى التوجيه ، أو من الرسل بمعنى التتابع أخذا من قولهم : رسل اللبن اذا تتابع دره .

(١) لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري ، ط دارصادر بيروت ، مادة نبأ ، ١ / ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) سورة آل عمران ، آية (١٣٩) .

(٣) النبوات ، لابن تيمية ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م ،

جاء في لسان العرب :

(... والارسال : التوجيه ، وقد أرسل اليه ، والاسم الرسالة والمرسلة والرسول والرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر ، والرسول المرسل والرسول : معناه في اللغة : هو الذي يتابع أخبار من بعثه أخذاً من قولهم : جاءت الإبل رسلاً أي متتابعة وسمي الرسول رسولا لأنه ذو رسول أي ذو رسالة والرسول اسم من أرسلت وكذلك الرسالة (١) . وعلى ذلك فالرسول في اللغة إما أن يكون مأخوذاً من الارسال بمعنى التوجيه وهو ظاهر من حيث المعنى وإما أن يكون مأخوذاً من التتابع فيكون الرسول هو من تتابع عليه الوحي (٢) .

هذا بالنسبة للمعنى اللغوي لمداول النبي والرسول ، أما في الاصطلاح فللعلماء في تحديد الفرق بين النبي والرسول ، وتحديد مسمى كل منهما كلام كثير لا يسلم من نقد . لكن الأمر الراجح عند كثير من أهل العلم أن هناك فرقاً بين مسمى النبي ومسمى الرسول وان اختلفوا في تحديد المراد بكل منهما . وأيضاً فإن النبوة أعم من الرسالة فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ، والذي يظهر والله أعلم أن النبي : هو من نبأه الله بشرع سابق ينذر به أهل ذلك الشرع وقد يؤمر بتبليغ بعض الأوامر في قضية معينة ، أو الوصايا والمواظم وذلك كأنبياء بني إسرائيل إذ كانوا على شريعة التوراة ولم يأت أحد منهم بشرع جديد ناسخ للتوراة ، فتكون منزلته حينئذ بمنزلة المجدد لتعاليم الرسل السابقين (٤) .

أما الرسول فهو من بعثه الله بشرع وأمره بتبليغه إلى من خالفوا أو أمره . وسواء كان هذا الشرع جديداً في نفسه أو بالنسبة لمن بعث إليهم وربما أتى بنسخ بعض أحكام شريعة من قبله (٥) .

- (١) لسان العرب ، مادة رسل ، ١١ / ٢٨٢ - ٢٨٤ .
 (٢) انظر أصول الدين لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ، ط ٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠١ هـ ، ص ١٥٤ .
 (٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، ط ٦ ، المكتبة الاسلامي ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ، ص ١٦٧ .
 (٤) انظر النبوات ، ص ٢٥٥ - ٢٥٧ .
 (٥) انظر أصول الدين ، ص ١٥٤ .

المبحث الثاني

﴿ بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ﴾

-x-

لقد شاء الله العليم الحكيم أن يكون رسله الى الناس بشرا من جنس المرسل اليهم ويلسانهم ليبيّنوا لهم شرع ربهم ، ولتقوم بهم الحجّة على الناس ، وتنقطع عنهم المعاذير ، ويسهل عليهم اتباع رسّلمهم ، والفهم عنهم ، كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبيّن لهم ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ قالت لهم رسّلمهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمنّ على من يشاء من عباده ﴾ (٢) .

ويوضح الله بعض جوانب هذه البشرية فيقول سبحانه : ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويفشون في الأسواق ﴾ (٣) الآية ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعا من الرسل بل كان بشرا كغيره من الأنبياء والرسل السابقين عليه .

قال تعالى : ﴿ قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى اليّ وما أنا الا نذير مبين ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى اليّ ﴾ (٥) ، وهذا أبلغ تأكيد من الله على أن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا له كل خصائص البشر وصفاتهم وهو مع ذلك مفضل بالوحي والرسالة .

والآيات القرآنية تثبت بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم في مواقف كثيرة . وتوضح أنه بشر لم يخرج عن نطاق البشرية ، وأن ما أتى به من وحي

-
- (١) سورة ابراهيم ، آية (٤) .
 (٢) سورة ابراهيم ، آية (١١) .
 (٣) سورة الفرقان ، آية (٢٠) .
 (٤) سورة الاحقاف ، آية (٩) .
 (٥) سورة الكهف ، آية (١١٠) ، وسورة فطمت (٦) .

أو جرى على يديه من آيات فانما هو بقدرة الله وحده ، وأن الرسول لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا إلا أن يشاء الله . قال تعالى : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ . وكما أن الرسول لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فهو من باب أولسى لا يملك لغيره الضر والنفع أو الهداية والصلاح ، بل كل ذلك بيد الله وحده .

قال تعالى : (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون . ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ﴾ . وقال تعالى ﴿ قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (٥)

ولما طالب كفار قريش الرسول صلى الله عليه وسلم بمطالب تعجيزية ذريعة منهم للتكذيب ، والكفر ، كان رد الله تعالى عليهم هو التأكيد على بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلة . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ (٦) .

وفي قوله تعالى : ﴿ قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ تأكيد على أن الرسول بشر يقف عند حدود بشريته ، ولا يأتي بشيء من عنده .

-
- (١) سورة العنكبوت ، آية (٥٠) .
 - (٢) سورة الأعراف ، آية (١٨٨) .
 - (٣) سورة آل عمران ، آية (١٢٨ - ١٢٩) .
 - (٤) سورة الجن ، آية (٢١) .
 - (٥) سورة القصص ، آية (٥٦) .
 - (٦) سورة الاسراء ، آية (٩٠ - ٩٣) .

وحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته توضح هذا الأمر أتم توضيح فقد عاش صلى الله عليه وسلم بشرا تجرى عليه أعراض البشرية طيلة حياته منذ أن ولد الى أن مات فأكل وشرب ، ومشى في الأسواق ، وباع واشترى ، وتزوج وأنجب ، وحارب ، وسالم ، وغضب ، ورضي ، وفرح وحزن ، وأدركه المرض فمرض ، ومات كما يموت مائر البشر . صلى الله عليه وسلم .

وكل من عايش رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تتبع سيرته أدرك هذه الحقيقة تمام الإدراك . والرسول صلى الله عليه وسلم بأقواله وأفعاله يؤكد هذا الأمر فيقول فيما رواه مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود وفيه (. إنما أنا بشر مثلكم أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون) (١) .

وقال فيما رواه البخاري عن أم سلمة رضي الله عنها : (إنما أنا بشر وانكم تختصمون اليّ ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار) (٢) ففي الحديث الأول يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يتذكر وينسى أحيانا كما هو شأن البشر جميعا ، وفي الثاني يؤكد على عدم علمه للغيب بمقتضى طبيعته البشرية الا أن يطلعه الله على ما شاء من الغيب كما قال تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ﴾ (٣) .

ومع كون الرسول صلى الله عليه وسلم بشرا ، الا أن الله عز وجل هياه تهيئة خاصة تتناسب مع هذا الأمر العظيم الذي اصطفى له . فكملة في الخلق

(١) صحيح مسلم ، تحقيق وتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٢ م .

كتاب المساجد . باب السهو في الصلاة والسجود له ، ١/ ٤٠٢ .

(٢) صحيح البخاري ، دار احياء التراث العربي ،

كتاب الحيل ، باب اذا غصب جاريا فزعم أنها ماتت ، ٩/ ٣٢ ،

ومسلم كتاب الأفضية ، باب الحكم بالظاهر والحن بالحجة ، ٣/ ١٣٢٧ .

(٣) سورة الجن ، آية (٢٦ - ٢٧) .

والخلق ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل البشر في كافة الجوانب البشرية ، كما كان أكملهم عبودية لربه وقيامًا بحقه . فكمال الرسول صلى الله عليه وسلم في عبوديته التامة لربه سبحانه وتعالى .

لأجل هذا وصفه الله بالعبودية في أكمل مقاماته وأرفع درجاته صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ وأنسه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه ليداً ﴾^(٤) .

فمنزلة العبودية لله هي أرقى درجات الكمال البشري ، لأن الله انمنا خلق الخلق لعبادته ، وأكمل الخلق قياماً بهذا الأمر أتمهم عبودية له ، ولا يصدق هذا في المقام الأول الا على الأنبياء والرسل ، وأكملهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي أكمل الله له مقام العبودية . فلم يختر عليه ماسواه لعلمه بعظم هذه المنزلة عنده . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بحق هذه العبودية أتم قيام ، فدعا الناس إلى توحيد الله وافراده بالعبادة ، وأخرجهم من العبودية لأهوائهم وشهواتهم إلى العبودية لله رب العالمين ، كما صان مقام عبوديته لربه من كل ما يفسده أو يضعفه .

وأعلم أمته أن منزلته الحقيقية هي العبودية والرسالة فقال فيما رواه الامام أحمد بسنده عن أنس وفيه (...) أنا محمد بن عبدالله ، عبدالله - رسول الله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل^(٥)

(١) سورة الاسراء ، آية (١) .

(٢) سورة النجم ، آية (١٠) .

(٣) سورة الكهف ، آية (١) .

(٤) سورة الجن ، آية (١٩) .

(٥) مسند الامام أحمد بن حنبل . المكتب الاسلامي ودار صادر ، بيروت ١/١٥٣ ،

٢٤١ - والحديث صحح اسناده ابن عبد الهادي .

أنظر الصارم المنكي في الرد على السيكي . محمد بن أحمد بن عبد الهادي

ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٢٨٨ .

وأخرج البخاري بسنده عن عمر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : (لا تطروني كما أطرت النصارى لبين مريم انما
أنا عبده فقولوا عبدالله ورسوله)^(١) .

فاستحق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون العيد الأول لربه ،
ولذلك خصه الله من عبادته المرسلين بمالم يعطه أحدا غيره ، فهو أول من
تنشق عنه الأرض ، وأول شافع ، وأول مشفع ، وأول من تفتح له أبواب الجنة .
ومع وضوح بشريته صلى الله عليه وسلم في كافة أحواله ، إلا أن طوائف من
المنتسبين الى الاسلام خالفوا اجماع الأمة فخرجوا بالرسول صلى الله عليه
وسلم عن نطاق البشرية وغلوا فيه فوصفوه بصفات الله سبحانه وتعالى .

وسيتضح لنا ذلك في مباحث الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) صحيح البخارى . كتاب الانبياء . باب قول الله تعالى : (واذكر في الكتاب

المبحث الثالث

﴿ النبوة اصطفاة الهي ﴾

-x-

لقد جرت سنة الله في خلقه أن يصطفى بعض عباده لمهمة النبوة والرسالة كما قال تعالى : ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ قال ياموسى انى اصطفتك على الناس برسالاتى وبكلامى ﴾ (٣) .

وهذا الاصطفاء والاختيار منة الهية امتن الله بها على الأنبياء والمرسلين فلم يصلوا اليها بكسب ولا جهد ، ولا كانت ثمرة لعمل أو رياضة للنفس قاموا بها كما يزعم الضلال من الفلاسفة حيث ذهبوا الى أن النبوة مكتسبة وأن من هذب نفسه بالخلوة والعبادة وأخلى نفسه عن الشواغل العاشقة عن المشاهدة ، وراض نفسه ، وهذبها ، تهيأ للنبوة .

وبناء على ذلك قالوا ان النبي هو من اجتمعت فيه ثلاث خصال :

- أن يكون له اطلاع على المغيبات لصفاء جوهره وشدة اتصاله بالروحانيات العالية من غير سابقة تعلم ولا تعليم .
- أن تظهر على يديه خوارق العادات بحيث يؤثر بنفسه في قوى العالم المادي .
- مشاهدة الملائكة لا أرواحها لما عنده من قوة التخيل ، ويسمع كلامهم ووجههم اليه .

وبالتالي فان مرجع الوحي عندهم الى قوة الخيال لدى النبي لا أن الوحي ينزل عليه حقيقة ، فالقرآن اذا من عند النبي . (٤)

(١) سورة الحج ، آية (٧٥) .

(٢) سورة آل عمران ، آية (٣٤) .

(٣) سورة الأعراف ، آية (١٤٤) .

(٤) انظر . لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية نشرح الدر المضية في عقد الفرقة المرضية ، للشيخ محمد بن أحمد السفاريني ، مطابع الأصفهاني ، جدة ، ١٣٨٠ هـ ، ٢ / ٢٦٨ .

وقد كذبهم الله بقوله تعالى: ﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين ﴾ . أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴿^(١)

فالنبوّة والرّسالة محض فضل من الله يختص به من شاء من عباده ، وهو سبحانه أعلم بمواقع فضله ، ومحال رضاه ، وأعلم بمن يصلح لهذا الشأن ، فهو سبحانه صاحب الخلق والتدبير ، والاختيار والاصطفاء ، كما قال تعالى : وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحانه الله وتعالى عما يشركون ﴿^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴿^(٣)

ومع كون النبوّة منحة السهية . الا أن الله لا يختار لها الا أناسا خصهم وميزهم بخصائص ومميزات ليست موجودة في سائر البشر . فالرسل أكمل البشر خلقا وخلقا ، وأرجحهم عقلا ، وأوفرهم ذكاء ، وأظهرهم قلبا . وهذا هو شأن الرسل أجمعين . والرسول صلى الله عليه وسلم حينما اصطفاه الله لمهمة الرسالة الخاتمة ، خصه بخصائص ليست موجودة في غيره ، وهياها تهيئة خاصة تتناسب مع هذه المهمة الجليلة .

وظهرت آثار اصطفاء الله له في جوانب كثيرة منها :

١ - طهارة نسبه :

فلم ينل نسيه الطاهر شيء من سفاخ الجاهلية . فكان من سلالة آباء كرام ليس فيهم ما يشينهم أو يعيبهم . بل كانوا سادات قومهم في النسب والشرف والمكانة .



- (١) سورة يونس ، آية (٢٧ - ٢٩) .
 (٢) سورة القصص ، آية (٦٨) .
 (٣) سورة الأنعام ، آية (١٢٤) .

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم بسنده من واثلة بن الأسقع ما يؤكد ذلك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم)^(١) .

٢ - تعهد الله برعايته وحفظه :

وذلك أنه نشأ على الفطرة الزكية فلم يتدنس بشيء من أدران الجاهلية لأن الله حفظه منذ صغره ، فحفظ قلبه من تغيير الفطرة ووصول الشيطان اليه أخرج الامام مسلم بسنده عن أنس بن مالك (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقه . فقال : هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده مكانه)^(٢)

فهذا الحديث يبين أن الله طهر قلبه صلى الله عليه وسلم منذ صغره وحفظه من وصول الشيطان اليه وذلك ليعده فيما بعد لذلك المهمة الرسالية . فنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأخلاق الزاكية والخصال الحميدة ، والفطرة النقية السليمة ، فبغضت اليه الأوثان فلم يسجد لصنم قط ، وحسب اليه الخير ومكارم الأخلاق ، فكان في ذلك مضرب الأمثال ، وكيف لا ؟ وهو الملقب من قبل قومه بالصادق الأمين صلى الله عليه وسلم .

٣ - عصمته :

وكما حفظ الله قلب نبيه صلى الله عليه وسلم وفطرته . فكذلك عصمه من وجوه كثيرة . منها :

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم ،

٤ / ١٧٨٢ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم

الى السماوات ، ١ / ١٤٧ .

عصمته من تسلط أعدائه عليه بالقتل أو منعه من تأدية رسالة ربه ، قال تعالى :
 ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر
 الله والله خير الماكرين﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿والله يعصمك من الناس﴾ (٢)
 وأخرج البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه غزا مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل نجد ، فلما قفل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قفل معه ، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة ، فنزل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر ، فنزل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم تحت شمره وعلق بها سيفه ، ونمنا شومة ، فإذا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا ، وإذا عنده أمرابي فقال: "إن هذا
 اخترط علي سيفي وأنا نائم ، فاستيقظت وهو في يده صلتا ، فقال من يمنعك
 مني فقلت الله (ثلاثا) ولم يعاقبه وجلس" (٣) .

عصمته صلى الله عليه وسلم من كل ما يقدح في نبوته ، أو ينفّر الناس عن
 دعوته فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد الناس عن الاثم ، متنزها
 من كل ما يعيب أو يشين البشر في سلوكهم ، بعيدا عن سفاسف الجاهلية
 كما عصمه الله عن وقوع الخطأ والنسيان أو الكذب والكتمان فيما يبلغه عن ربه
 فقال تعالى : ﴿والنجم إذا هوى . ما ضل ما حيكم وما غوى . وما ينطق
 عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿يا أيها الرسول
 بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ (٥) .

٤ - تكميل الله له المحاسن خلقا وخلقاً :

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل الناس خلقا من حيث جمال
 صورته ، وتناسب أعضائه ، وطيب ريحه وعرقه ، ونظافة جسمه ، واكتمال قواه
 البدنية والعقلية ، كما كان أكمل الناس خلقا إذ جمع محاسن الأخلاق وكريم

- (١) سورة الأنفال ، آية (٢٠) .
- (٢) سورة العائدة ، آية (٦٧) .
- (٣) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب من علق سيفه بالشجر في السفر ٤٧/٤ - ٤٨
- (٤) سورة النجم ، آية (١-٤) .
- (٥) سورة المائدة ، آية (٦٧) .

(١) الشمائل ، وجميل السجيا والطباع . قال تعالى : ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾
وقد وعت كتب الشمائل والسير شمائله وأخلاقه ، وصفاته صلى الله عليه وسلم

٥ - تشریفه بنزول الوحي عليه :

قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري
الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك
لتهدى الى صراط مستقيم ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ نحن نقص عليك احسن القصص
بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ (٣)

٦ - كونه خاتم النبيين :

قال تعالى : ﴿ ما كان محمد ابا أحد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ﴾ (٤)

وأخرج البخاري ومسلم واللفظ له عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً
فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه . فجعل الناس يطوفون
به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ! قال : فأنا اللبنة
وأنا خاتم النبيين) (٥)

ومظاهر اصطفاؤه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم كثيرة لاتعدولاتحصى
لكثرة فضائله وما خصه الله به من صنوف الخير والفضل ويكفيه شرفاً أنه
سيد ولد آدم وأنه صاحب المقام المحمود والحوض المورود ولواء الحمد المعقود
فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . واصطفاؤه الله للنبي صلى الله عليه
وسلم دليل على حب الله له كما أنه يوجب محبة العباد لهذا النبي العظيم .

- (١) سورة القلم ، آية (٤) .
- (٢) سورة الشورى ، آية (٥٢) .
- (٣) سورة يوسف ، آية (٣) .
- (٤) سورة الأحزاب ، آية (٤٠) .
- (٥) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم
وسلم ، ٢٦٦/٤ ، ومسلم . كتاب الفضائل باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم
خاتم النبيين ، ٤ / ١٢٩١ .

الباب الأول

المحبة اتباعاً
وفيه فصلان

الفصل الأول :

محبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثاني :

الإتباع .

الفصل الأول

﴿ محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴾

-x-

وفيه أربعة مباحث

- x - x - x -

- | | |
|---------------|---|
| المبحث الأول | ﴿ مفهوم المحبة ﴾ . |
| المبحث الثاني | ﴿ وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴾ . |
| المبحث الثالث | ﴿ دواعي محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وأسباب زيادتها ﴾ . |
| المبحث الرابع | ﴿ مظاهر محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴾ . |

المبحث الأول

* مفهوم المحبة وانواعها *

أ - الحب في اللغة :

الحب كلمة دائرة على السنة الناس ، رمزا لتعلق القلوب وميلها الى ما ترضاه وتستحسنه . ويطلق في اللغة على صفاء المودة .

جاء في لسان العرب :

(الحب : نقيض البغض . والحب : الوداد والمحبة ... وأحب فهو محب
... والمحبة أيضا : اسم للحب ... وتحبب اليه تودد . وامرأة محبة
لزوجها ، ومحب أيضا ... والحب : الحبيب ، مثل خُدن وخديسـن
... والحب : المحبوب ، وكان زيد بن حارثة رضي الله عنه ، يدعي جبارسول
الله صلى الله عليه وسلم .

... وحُببت اليه : صرت حبيبا ... وهم يتحابون : أي يحب بعضهم
بعضا ... والتحبب : اظهار الحب)^(١)

وهذا النص كغيره من النصوص في المعاجم قد اقتصر على تعريف الحب بنقيضه
أو بمرادفه لكن نرى الراغب الأصفهاني يفصل أكثر فيقول :^(٢)

(١) لسان العرب . مادة " حبب " ١ / ٢٨٩ .

(٢) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (١٠٠ - ٥٠٢ هـ)
من تصانيفه : تحقيق البيان في تأويل القرآن ، الذريعة الى مكارم الشريعة ،
المفردات في غريب القرآن .

انظر : الأعلام للزركلي . ط ٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠م ، ٢٠/٢٥٥
ومعجم المؤلفين عمر رضا كحالة . نشر دار احياء التراث العربي . بيروت .

(...) حبيت فلانا يقال في الأصل بمعنى : أصبت حبة قلبه ، نحو :
(١)
شغفته وكبدته وفادته .

وأحبيت فلانا : جعلت قلبي معرضا لحبه ، لكن في التعارف وضع محبوب
موضع محب ، واستعمل حبيت أيضا في موضع أحببت .

ب - تعريف المحبة عند العلماء :

ثم يستطرد الراغب فيقول :

- (والمحبة ارادة ماتراه خيرا أو تظنه خيرا . وهي على ثلاثة أوجه :
- محبة للذة كمحبة الرجل المرأة . ومنه : * ويطعمون الطعام على حبه *
- محبة للنفع كمحبة شيء ينتفع به ، ومنه : * وأخرى تحبونها نصر
من الله وفتح قريب *
- ومحبة للفضل كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض من أجل العلم .

وإذا كان الراغب هنا قد فسر المحبة بإرادة ما يظنه الانسان خيرا فقد
كان القاضي عياض^(٥) أكثر وضوحا حين عرف المحبة : بأنها ميل الانسان الى ما يوافقه .

يقول القاضي عياض :

- (وحقيقة المحبة : الميل الى ما يوافق الانسان ، وتكون موافقته له :
١ - اما لاستلذاذه بادراكه كحب المور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة
اللذيذة وأشباهاها مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقته له .

(١) بمعنى أصبت شغاف قلبه ، وكبدته ، وفوادته .

(٢) سورة الانسان ، آية (٨) .

(٣) سورة الصف ، آية (١٣) .

(٤) المفردات في غريب القرآن . لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب
الأصفهاني . تحقيق . محمد سيد كيلاني . طبع مطبعة مصطفى الحلبي . مصر
١٩٦٢م ، مادة " حب " ص ١٠٥ .

(٥) هو أبو الفضل عياض بن صوس بن عياض اليحصبي السبتي (٤٧٦هـ - ٥٤٤هـ) عالم
المغرب وامام أهل الحديث في وقته . ولد في سبته وولي قضاها .
من تصانيفه : الشفا بتعريف حقوق المصطفى . ومشارك الأنوار . وشرح صحيح
مسلم ، وغيرها . توفي بمراكش .

انظر . وفيات الأعيان ٤٨٢/٣ وما بعدها والبداية والنهاية ١٢ / ٢٥٥ .

٢ - أو لاستلذاذه بأدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كحسب الصالحين والعلماء ، وأهل المعروف المأثور منهم السير الجميلة والأفعال الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف بأمثال هؤلاء... .

٣ - أو يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن اليها ^(١) .

وعلى ذلك فهذا الميل اما أن يكون حسيا أو عقليا أو قلبيا . وعلى هذه الجوانب الثلاثة - منفردة أو مجتمعة - يقوم الحب في القلب ، فما وافقها مال اليه القلب وأحبه ، وما خالفها نفر عنه وكرهه .

وأصل الحب قوة في القلب تحرك ارادة الانسان لتحصيل المحبوبات أصلا ، ودفع المكروهات تبعاً . فتميل النفس الى الشيء ان كان محبوا وتنفر عنه ان كان مكروها ^(٢) .

ويتوقف تعلق النفس بالشيء حيا ، أو النفور عنه كرهها على الادراك الفطري أو الكسبي .

فالحب اذا ثمره الادراك والمعرفة ، فكلما كانت المعرفة أتم كان الحب أقوى والعكس صحيح .

لأجل هذا كان الناس متفاوتين في حبهم للأشياء والأشخاص متفاوتا بيننا تبعاً لتفاوت ادراكهم ومعرفتهم .

وإذا كانت وسائل المعرفة والادراك لدى المرء سليمة وصحيحة أحب الانسان ما ينفعه ويصلحه ، والا أحب الضار يحسه نافعا والفاقد يحسه صالحا .

وبناء على هذا يمكن أن نعرف الحب بأنه : ميل القلب فطرة أو ادراكا ومعرفة الى ما يوافقه ويستحسنه .

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى . لطاقاضي عياض اليحصبي . طبع دار الكتب

العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ٢ / ٢٩ - ٣٠ .

(٢) انظر رسالة العبودية ، ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ، ١٠ / ١٩٢ .

ج - المحبة في النصوص الشرعية :

أما في الشرع فقد ورد لفظ الحب في القرآن والسنة بكل جوانبه الطبيعية والشرعية .

فالجوانب الفطرية أو الطبيعية مثل حب الآباء والأبناء والأزواج وحب المال وسائر الشهوات .

قال تعالى :

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾^(١) .

وقال تعالى :

﴿ وتحبون المال حبا جما ﴾^(٢)
وقال ﴿ وانه لحب الخير لشديد ﴾^(٣)
وقال ﴿ كلا بل تحبون العاجلة ﴾^(٤)

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يزال قلب الكبير شايبا في اثنتين : في حب الدنيا وطول الأمل)^(٥) ، وأخرج عن أنس بن مالك أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان حب المال وطول العمر)^(٦) .

هذه هي المحبة الفطرية الجبليّة كما وردت في النصوص الشرعية ، واما المحبة الشرعية - أعني حب الله ورسوله - فالنصوص الواردة فيها كثيرة واليك بيانها :

- (١) سورة آل عمران ، آية (١٤) .
- (٢) سورة الفجر ، آية (٢٠) .
- (٣) سورة العاديات ، آية (٨) .
- (٤) سورة القيامة ، آية (٢٠) .

(٥) ، (٦) صحيح البخاري . كتاب الرقاق . باب من بلغ ستين سنة ١١١/٨ .

د - حب الله عز وجل :

ولتبدأ بحب الله تعالى ، أما النصوص الواردة في حب الرسول صلى الله عليه وسلم فسوف تأتي في المبحث القادم .

فقد جاء لفظ الحب في القرآن والسنة لبيان حب الله لعباده المؤمنين وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿ ... فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿ ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾^(٢) وقوله تعالى : ﴿ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾^(٣) .

وفيما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله قال : " من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الي عبدي بشيء أحب الي مما افترضت عليه . وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ") الحديث^(٤) .

وأخرج البخاري ومسلم بسنديهما عن عائشة رضي الله عنها : (أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختمهم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ " فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أخبروه أن الله يحبه ")^(٥) .

كما ورد ما يشهد بحب المؤمنين لربهم عز وجل وذلك كقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾^(٦) .

-
- (١) سورة المائدة ، آية (٥٤) .
 - (٢) سورة البقرة ، آية (٢٢٢) .
 - (٣) سورة الصف ، آية (٤) .
 - (٤) صحيح البخاري . كتاب الرقاق . باب التواضع ، ١٣١/٨ .
 - (٥) صحيح البخاري . كتاب التوحيد . باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته الى توحيد الله تبارك وتعالى ، ٩ / ١٤٠ - ١٤١ .
 - ومسلم . كتاب صلاة المسافرين . باب فضل قراءة قل هو الله أحد ، ٥٥٢/١ .
 - (٦) سورة البقرة ، آية (١٦٥) .

وقوله تعالى : ﴿ ... فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ (١) ، وقوله
تعالى : ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ (٢) الآية .

وأخرج البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس بن مالك (أن رجلا سأل النبي صلى
الله عليه وسلم : متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : ما أعددت لها ؟ قال :
ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكنني أحب الله ورسوله . قال
أنت مع من أحببت) (٣) .

ومن ثم يتبين لنا أن الحب علاقة متبادلة بين الله تعالى وبين عباده
المؤمنين . لكن حب الله صفة من صفاته منزهة عن مشابهة صفات المخلوقين
ونصوص الكتاب والسنة تؤكد ذلك أتم تأكيد .

وجمهور السلف على اثبات حب الله لعباده كصفة من صفاته كما يليق بذاته
سبحانه ، بلا كيف ولا تأويل ولا مشاركة للمخلوق في شيء من خصائصها كما أنهم
يثبتون محبة العباد لربهم محبة حقيقية قلبية .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

(وهذه المحبة حق كما نطق بها الكتاب والسنة ، والذي عليه سلف الأمة
وأئمتها وأهل السنة والحديث وجميع مشايخ الدين المتبعون وأئمة التصوف أن
الله سبحانه محبوب لذاته محبة حقيقية ، بل هي أكمل محبة ، فانها كما قال
تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ (٤) وكذلك هو سبحانه يحب عباده
المؤمنين محبة حقيقية) (٥) .

(١) سورة المائدة ، آية (٥٤) .

(٢) سورة آل عمران ، آية (٣١) .

(٣) صحيح البخاري . كتاب الأدب . باب علامة الحب في الله ، ٤٩ / ٨ ، وصحيح مسلم
كتاب البر والصلة . باب المرء مع من أحب ، ٤ / ٢٠٢٣ .

(٤) سورة البقرة ، آية (١٦٥) .

(٥) مجموع فتاوي شيخ الاسلام أحمد بن تيمية . جمع وترتيب . عبدالرحمن

ابن محمد بن قاسم وابنه محمد . طبع مكتبة المعارف . الرباط . المغرب ١٠ / ٦٦

وانظر تفسير القاسمي . المسمى محاسن التأويل . محمد جمال الدين

القاسمي . تحقيق . محمد فؤاد عبد الباقي . ط ٢ ، طبع دار الفکر .

بيروت ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، ٦ / ٢٥٢ - ٢٥٥ .

ومع وضوح هذا الأمر الا أن أهل الأهواء والبدع من الجهمية ومن تابعهم من المتكلمين حادوا عن اثبات حب الله لعباده كصفة من صفاته سبحانه وتعالى. متأولين محبته سبحانه بإرادة الاحسان ، أو بإحسانه وانعامه على عباده . كما أنهم أولوا محبة العباد لربهم بأنها محبة طاعته ، أو محبة احسانه وثوابه .^(١)

وهذا التأويل - مع بطلانه - فانه يؤدي الى انكار المحبة، ومتى بطلت المحبة بطلت جميع مقامات الايمان والاحسان ، وخلت الأعمال من روحها، اذ هي أصل كل عمل ديني. فانكارهم للمحبة انكار لحقيقة الاسلام ، فانه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله ، فمن لا محبة في قلبه لله ورسوله فلا ايمان لله^(٢) البيت .

هـ - محبة الرسول صلى الله عليه وسلم :

وبعد أن تكلمنا عن ورود لفظ الحب في اللغة والشرع نريد أن نخلص الى تحديد مفهوم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فأقول انه لما كان الحب لغة : ميل القلب فطرة أو ادراكا ومعرفة الى ما يوافقه ويستحسنه .

فكذلك محبة الرسول صلى الله عليه وسلم معناها :

أن يميل قلب المسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ميلا يتجلى فيه ايثاره صلى الله عليه وسلم على كل محبوب من نفس ووالد وولد والناس أجمعين وذلك لما خصه الله من كريم الخصال وعظيم الشمائل ، وما أجراه على يديه

(١) انظر في بيان ذلك :

الكشاف من حقائق التنزيل في وجوه التأويل . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري . ط ١ . طبع دار الفكر . بيروت ، ١٩٧٧م ، ١ / ٦٢١ - ٦٢٢ .
والتفسير الكبير للفخر الرازي . ط ٣ ، دار احيا التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٥/٤ - ٢٠٨ .

(٢) انظر في الرد على هذا التأويل .

مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ٦ / ٤٧٧ وما بعدها ، ١٠ / ٦٦ وما بعدها والنبوات لابن تيمية ، ص ٩٦ وما بعدها .

ومدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين . لابن قيم الجوزية تحقيق . محمد حامد الفقي . طبع دار الكتاب العربي . بيروت ، ١٣٩٢ هـ

٣ / ١٨ وما بعدها .

من صنوف الخير والبركات لأمته ، وما امتن الله على العباد ببعثته ورسالته
الى غير ذلك من الأسباب الموجبة لمحبه عقله وشرعا .

يقول النووي ملخصا كلام القاضي عياض :

(وبالجملة فأصل المحبة : الميل الى ما يوافق المحب ، ثم الميل قد
يكون لما يستلذه الانسان ويستحسنه ، كحسن الصورة والصوت والطعام ونحوها وقد
يستلذه بعقله للمعاني الباطنة كحب المالحين والعلماء وأهل الفضل مطلقا .
وقد يكون لاحسانه اليه ودفن المضار والمكاره عنه .

وهذه المعاني كلها موجودة في النبي صلى الله عليه وسلم لما جمع من
جمال الظاهر والباطن ، وكمال خلال الجلال وأنواع الفضائل ، واحسانه الى جميع
المسلمين بهدايته اياهم الى الصراط المستقيم ودوام النعم والابعاد من
الجحيم (١) .

وحب المسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عمل قلبي من أجل
أعمال القلوب ، وأمر وجداني يجده المسلم في قلبه ، وعاطفة طيبة تجيش بها
نفسه ، وان تفاوتت درجة الشعور بهذا الحب تبعا لقوة الايمان أو ضعفه .

وليس هذا الحب أمرا عقليا مجردا عن الميل القلبي كما ذهب اليه
البيضاوي فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر : عند شرح قوله صلى الله عليه
وسلم : " أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما " قال :

-
- (١) صحيح مسلم بشرح النووي . طبع دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ هـ ، ٢ / ١٤ .
(٢) هو أبو سعيد ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي (٦٨٥ - ٧٥٠)
قاضي . أصولي . متكلم . مفسر .
من تصانيفه : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، طالع الأنوار ، منهاج
الوصول الى علم الأصول .
انظر . طبقات الشافعية الكبرى لشيخ الدين عبدالوهاب بن علي السبكي
تحقيق . عبدالفتاح محمد الطوب . ومحمود الطناحي . ط ١ ، مطبعة
عيسى الحلبي ، مصر ، ٨ / ١٥٧ ، ١٥٨ .
وبغية الوعاة ، ٢ / ٥٠ ، ٥١ .

(المراد بالحب هنا الحب العقلي الذي هو ايشار ما يقتضي العقل السليم رجحانه وان كان على خلاف هوى النفس ، كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ، ويميل اليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله .

فاذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهي الا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل - والعقل يقتضي رجحان ذلك - تمرن على الاثتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعاً له ، ويلتذ به التذاذاً عقلياً ، اذ الالتذاذ العقلي : ادراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك (١) .

وقد تعقبه صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد بقوله :

(... كلامه على قواعد الجهمية ونحوهم من نفي محبة المؤمنين لربهم ومحبتهم لهم والحق بخلاف ذلك . بل المراد في الحديث أن يكون الله ورسوله عند العبد أحب اليه مما سواهما حبا قلبياً .

... وأما مجرد ايشار ما يقتضي العقل رجحانه وان كان على خلاف هوى النفس كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه .

(٢) ... فهذا قد يكون في بعض الأمور علامة على الحب ولازماً له لا أنه الحب)
ثم ان ادراك العقل للكمال أو الخير أو أي معنى من المعاني الفاضلة لا يكفي حتى نسميه حبا ، بل لابد مع ذلك من الميل القلبي والتعلق النفسي .

وتمثيله حال من آثر محبة الله ورسوله - وان كان على خلاف هوى النفس - بحال المريض مع الدواء المر - الذي تعافه نفسه ويميل عقله الى تناوله - تمثيل غير مناسب وغير لائق أيضاً .

لأن من كانت محبته لله ورسوله كمحبة المريض للدواء المر جدير بأن يقال انه وجد مرارة الايمان لاحتوته .

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، ط دار المعرفة بيروت ١/٦٠ - ٦١ .
(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد . للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب . ط ٣ ، طبع المكتب الاسلامي . بيروت ، ١٣٩٧هـ ، ص ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

وانما يجد حلوة الايمان من كان هواه في تلك المحبة مناصرا لعقله
ومسايرا له جنبا الى جنب .^(١)

واذا كان هناك من فرح حب الله ورسوله بأنه حب عقلي ، فهناك من يظن
أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تعني طاعته ، وهذا فهم خاطئ إذ أن
محبهه هي أساس طاعته ، والطاعة شرط للمحبة وثمرتها .

فالتطاعة أمر زائد على المحبة ومرتب عليها .

كما أن هذا الحب أمر زائد على الإعجاب بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم
وسمو أخلاقه وعظمة تعاليمه .

إذ نرى كثيرا ممن لا ينتسبون الى الاسلام ولا يؤمنون برسوله صلى الله عليه
وسلم يبذلون أعجابهم وتقديرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويفيضون في بيان
جوانب عظمتهم ، ومع ذلك لا يمكن أن نسمي هذا الإعجاب حبا شرعيا حتى يكون
هناك إيمان بدين الاسلام .

ولقد كان أبو طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم يحبه ويحوظه ويصدق
عنه أذى قريش بما استطاع . ومع هذا فلم يثمر ذلك حبا وإيمانا منه بدين
الاسلام لأن حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان حب قرابة وحمية جاهلية .

نخلص من هذا الى أن المحبة الحقيقية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
هي المحبة الشرعية الإرادية الاختيارية وهي عمل قلبي من أجل أعمال القلوب
ورابطة من أوثق روابط النفوس تربط المسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وتجعل قلبه وهمه وفكره وإرادته متوجهة لتحصيل ما يحبه الله ورسوله من
الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة .

(١) انظر : المختار من كنوز السنة . محمد عبدالله دراز . راجعه وأشرف
على طبعه للشيخ عبدالله بن ابراهيم الأنصاري ، ط ٤ ، قطر ، ص ٤٤٠ .

و - الصلة بين محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم :

الصلة بين المحبتين هي صلة الفرع بالأصل والتابع بالمتبوع فمحبتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تابعة لمحبتنا لله عز وجل ، اذ هي أساس المحبة الدينية الشرعية ومصدرها ، وكل ما سواها من المحاب الشرعية تبع لها . وذلك كمحبة الأنبياء والصالحين ، ومحبة كل ما يحبه الله ورسوله .

قال ابن تيمية :

(وليس للخلق محبة أعظم ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم ، وليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه الا الله تعالى وكل ما يحب سواه فمحبته تبع لحبه ، فان الرسول عليه الصلاة والسلام انما يحب لأجل الله ويطاع لأجل الله ويتبع لأجل الله .

كما قال تعالى : ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ (١) (٢)

وعلى ذلك فلا تنفك احدى المحبتين عن الأخرى فمن أحب الله أحب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك سائر رسله ومحبة الرسول تبع لمحبة من أرسله . ولأجل هذا جاء حب الرسول صلى الله عليه وسلم مقترنا بحب الله عز وجل في أكثر النصوص الشرعية .

قال تعالى : ﴿ قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم

وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترهبوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ (٣)

وفي الحديث (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله

أحب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره ان يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) (٤)

وهذا الارتباط بين المحبتين ارتباط شرعي لا يتفك . فمن زعم أنه يحب الله

ولم يحب رسوله أو العكس فكلامه باطل واعتقاده فاسد .

(١) سورة آل عمران ، آية (٣١) .

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٠ / ٦٤٩ .

(٣) سورة التوبة ، آية (٢٤) .

(٤) صحيح البخارى . كتاب الايمان باب حلاوة الايمان ١٠/١

المبحث الثاني

✽ وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ✽

انتهينا مما سبق الى أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم هي ميل قلب المؤمن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ميلا يتجلى فيه ايشار حبه على كل من سواه من البشر وتتشوق النفس الى معرفة حكم هذه المحبة في الشرع مع بيان أدلتها من الكتاب والسنة .

فأقول ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم أصل عظيم من أصول الايمان يتوقف على وجوده وجود الايمان ، فلا يدخل المسلم في عداد المؤمنين الناجين حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب اليه من نفسه التي بين جنبيه بل ومن الناس أجمعين .

وأدلة هذا كثيرة في القرآن والسنة

فمن القرآن :

أ - قوله تعالى :

✽ قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ✽ (١)

ففي هذه الآية توعدهم الله من كان أهله وماله أحب اليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله بقوله : ✽ فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ✽ . ومعلوم أن الله لا يتوعد أحدا بمثل هذا الوعيد الشديد الا على تبرك واجب ، أو فعل محرم .

(١) سورة التوبة ، آية (٢٤) .

فعلم بذلك أنه يجب على كل مؤمن أن يكون الله ورسوله ، والجهاد في سبيله أحب إليه من الأهل والأخوان والأموال والأوطان.

يقول القاضي عياض مستدلاً بهذه الآية :

(فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ، ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم ، إذ قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله ، وتوعدهم بقوله تعالى : ﴿ فترصبوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله)^(١)

وقد ذكر الله في هذه الآية ثمانية أصناف وهم الأبياء والأبناء والأخوان والأزواج والعشيرة والأموال المكتسبة والتجارات والمساكن والديار. وهذه الأصناف تمثل مجموعها كافة الروابط الاجتماعية والاقتصادية وعليها مدار مصالح الخلق ومعاشهم . وهي التي تجذب الإنسان إلى الأرض وتثقله عن الجهاد في سبيل الله ما لم يكن حب الله ورسوله مستعليا في قلب المسلم على كل هذه الروابط والمصالح .

وفي ذكر الله للجهاد مقرونا بحبه سبحانه وتعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم دليل على أنه من أظهر العلامات على ذلك الحب لأنه هو المحك الذي يتجلى فيه صدق هذا الحب وإيثاره على غيره من المحاب التي ذكرها الله في هذه الآية .

ومن رحمة الله عز وجل أنه لم يذم حب الأهل والأقارب والأزواج ولا حب المال والكسب والمساكن ولم ينه عن ذلك . وإنما جعل من مقتضى الإيمان إيثار محبة الله ورسوله على حب هذه الأنواع ، وكذلك تقديم الجهاد إذا وجب عليها .

(٢) وهذا هو حال المؤمنين الصادقين في حبهم لله ورسوله .

(١) الشفا ، ٢ / ١٨ .

(٢) انظر تفسير المنار - محمد رشيد رضا - ط ٢ ، دار المعرفة ، بيروت ،

ب - قوله تعالى :

﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾^(١)

فهذه الآية اخبار عن مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم بيــــن المؤمنين ، كما أنها أيضا اخبار عن الحال التي ينبغي أن يكون فيها المؤمنون مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو أولى بهم من أنفسهم ولا يكون كذلك حتى يكون أحب اليهم من أنفسهم .

ويبين ابن القيم أن هذه الآية دليل على أن من لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم أولى به من نفسه فليس من المؤمنين ثم يوضح أن هذه الأولوية تتضمن أمرين :

١ - (. .) أن يكون أحب الى العبد من نفسه ، لأن الأولوية أهلها الحب ، ونفس العبد أحب اليه من غيره ومع هذا يجب أن يكون الرسول أولى به منها ، وأحب اليه منها ، فبذلك يحصل له اسم الايمان .

ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه والتسليم لأمره وإيثاره على ما سواه .

٢ - ومنها : أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلا ، بل الحكم على نفسه للرسول صلى الله عليه وسلم يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده فليس له في نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول الذي هو أولى به منها^(١) .

فتبين من هذا أنه يجب على كل مؤمن أن يكون الرسول أولى به من نفسه في كل شيء ، وأن يكون حكمه صلى الله عليه وسلم في أي شيء مقدما على رغبات النفس وتطلعاتها ، بل إن الحياة لتعدهينة ورخيصة بجانب تحقيق ما فرضه الله ورسوله وإن كان على خلاف هوا النفس .

(١) الرسالة التبوكية . لابن القيم . مراجعة الشيخ عبدالظاهر أبي السمح ، ط ١ ، نشر المطبعة السلفية ومكاتبها . مكة المكرمة ، ١٣٤٧ هـ ، ص ٢١ - ٢٢ .

لأن نفوسنا تدعوننا إلى الهلاك والرسول صلى الله عليه وسلم يدعوننا إلى
النجاة فكان أولى بنا من أنفسنا صلى الله عليه وسلم.

وحيثما أيقن المسلمون الأولون بذلك أعزهم الله ومكن لهم في الأرض فلما
غلبت الأهواء واتبعت الشهوات صار الحال مبدلاً معكوساً . ذلة وهوان بعد عزة
وضياع وتفرق بعد القوة والتمكين . والسيب هو تقديم الأهواء وشهوات الأنفس
على ما يحبه الله ورسوله .

وقد جاءت الأحاديث لتؤكد مدلول هاتين الآيتين - أبلغ تأكيد وأوضحه ألا وهو وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فمنها ما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (فو الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده)^(١) ، وأخرج البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)^(٢) .

فهذان الحديثان من أوضح الأدلة على وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن المؤمن لا يستحق اسم الإيمان الكامل ولا يدخل في عداد الناجين حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين . والتعبير "بأحب" دليل صريح على أن المحبة المطلوبة شرعا هي المحبة الراجعة ، وأن الإيمان الكامل متوقف على رجحان هذه المحبة في القلب على مساوها من محبة سائر المخلوقين .

وخص الوالد والولد بالذكر لكونهما أعز خلق الله على الإنسان ، بل ربما كانا أحب إليه من نفسه ، وفي هذا تأكيد على أنه يجب أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إلى نفس المؤمن من كل حبيب وعزيز عليه من سائر البشر جميعا .^(٣)

ونفى الإيمان في هذا الحديث هو نفي لكمال الإيمان الواجب الذي ينجو به صاحبه من الوعيد ويستحق دخول الجنة بفضل الله . وذلك لأن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم من واجبات الإيمان فمن اخل بها فقد اخل بواجب من واجبات الإيمان التي لا يتم الإيمان بدونها .

قال شيخ الإسلام تيمية :

(والمقصود هنا ان كل مانفاه الله ورسوله من مسمى أسماء الامور الواجبة كاسم الإيمان ، والاسلام والدين والصلاة والصيام والظهارة والحج ، وغير ذلك فانما يكون لترك واجب من ذلك المسمى ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾^(٤))

(١) صحيح البخاري . كتاب الإيمان . باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان ١٠/١
(٢) صحيح البخاري . كتاب الإيمان . باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان ١٠ / ١ ، ومسلم . كتاب الإيمان باب وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ١٠/١ .

(٣) انظر فتح الباري ، ١ / ٥٩ .

(٤) سورة النساء ، آية (٦٥) .

فلما نفى - الايمان - حتى توجد هذه الغاية ، دل على أن هذه الغاية فرض على الناس ، فمن تركها كان من أهل الوعيد ، لم يكن قد أتى بالايمان الواجب الذى وعد اهله بدخول الجنة بلا عذاب ، فإن الله أنما وعد بذلك من فعل ما أمر به وأما من فعل بعض الواجبات وترك بعضها فهو معرض للوعيد (١)

فنفي الايمان عند عدم وجود المحبة الراجعة يدل على أنها واجبة وان من لم يأت بها فقد تعرض للوعيد ، فإن الله ورسوله لا ينفيان اسم مسمى أمر - أمر به الله ورسوله - الا اذا ترك بعض واجباته فأما اذا كان الفعل مستحباً فى العبادة لم ينفها لانتقاء المستحب ، ولو صح هذا لنفي عن جمهور المؤمنين اسم الايمان والطلاة والزكاة والحج وحب الله ورسوله لأنه مامن عمل الا وغيره أفضل منه ، وليس أحد يفعل أفعال البر مثل ما فعلها النبي صلى الله عليه وسلم ، بل ولا أبو بكر ولا عمر ، فلو كان من لم يأت بكمالها المستحب يجوز نفيها عنه لجاز أن ينفي عن جمهور المسلمين من الأولين والآخرين وهذا لايقوله عاقل . فمن قال ان المنفي هو الكمال ، فان أراد أنه نفي الكمال الواجب الذى يذم تاركه ويتعرض للعقوبة ، فقد صدق .

وان أراد أنه نفي الكمال المستحب فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم (٢) .

ومعنى هذا أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم من لوازم الايمان وواجباته فلا يتحقق الايمان بدونها ، ولا يستحق المؤمن اسم الايمان بدونها ، وأن نفي الايمان في الحديث انما هو نفي لكمال الايمان الواجب اذا لم توجد المحبة الراجعة على مساوها من سائر المحاب فاذا وجدت هذه المحبة على هذه الصفة فهي دليل على كمال الايمان بالنسبة لمن اتصف بها فى هذا الجانب . واما اذا لم توجد هذه المحبة على الصفة الراجعة كان من اتصف بها معرض للوعيد لانه اخل بواجب من واجبات الايمان التى لا يتم الايمان بدونها .

ومن الأحاديث الدالة على وجوب المحبة ما أخرجه البخاري بسنده عن

(١) مجموع الفتاوى ، ١٥/٧ وما بعدها .

(٢) انظر المصدر نفسه ٣٧/ ٧

عبدالله بن هشام قال : (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بييد
 عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : يا رسول الله ، لانت أحب الي من كل شيء الا
 من نفسي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا والذي نفسي بيده ، حتى
 أكون أحب اليك من نفسك . فقال له عمر : فانه الآن والله لانت أحب الي من
 نفسي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الآن يا عمر)^(١)

فهذا الحديث يبين أنه لا يبلغ المسلم حقيقة الايمان حتى يكون الرسول
 صلى الله عليه وسلم أحب اليه من نفسه التي بين جنبيه .

وتلك هي قمة سمو في الحب حين يستعلي المسلم على رغبات النفس
 وشهواتها ، مؤثرا حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل ذلك ويتبين هذا
 اذا تعارض أي أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم مع رغبة من رغبات
 النفس فأيهما تقدم كان الحكم له .

ونقل ابن حجر في شرح هذا الحديث عن بعض الزهاد أن :

(تقدير الكلام لا تمدق في حبي حتى تؤثر رضي على هواك وان كان فيه الهلاك
)^(٢) وقال الخطابي : حب الانسان نفسه طبع ، وحب غيره اختيار بتوسط
 الأسباب وانما أراد عليه الصلاة والسلام حب الاختيار اذ لا سبيل الى قلب الطباع
 وتغييرها عما جبلت عليه) .

ثم يستطرد ابن حجر معلقا على كلام الخطابي فيقول :

(فعلى هذا فجواب عمر أولا كان بحسب الطبع ، ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن
 النبي صلى الله عليه وسلم أحب اليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من
 المهلكات في الدنيا والأخرى ، فأخبر بما اقتضاه الاختيار ولذلك حصل الجواب

(١) سبق تخريجه ، ص ٣٣ .

(٢) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي . نسبة الى زيد بن
 الخطاب (٢١٩ - ٢٨٨) امام . محدث . له في الحديث اليد الطولي . فهو
 أول من شرح البخاري . فقيه . من تصانيفه : أعلام الحديث في شرح
 صحيح البخاري ، ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود ، وغريب الحديث ،
 ورسالة في العزلة ، وشأن الدعاء ، والغنية عن الكلام وأهله .
 وغيرها .

انظر البداية والنهاية ١١ / ٢٣٦ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ، ٣ / ٣٠٩ .

بقوله : " الآن يا عمر " أي الآن عرفت فنطقت بما يجب (١).

١١١ . فلم يكن حصول المحبة عند عمر رضي الله عنه أمرا جديدا على نفسه وإنما كان الجديد لديه هو ادراكه لتلك المحبة والتفاته اليها .

وفي الحديث إشارة الى فضيلة التفكير .

فان عمر رضي الله عنه لما أجاب أول الأمر لم يكن قد تفكر في كسـون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب اليه من نفسه، فلما استوقفه الرسول صلى الله عليه وسلم وراجعته تفكر وامتنح نفسه فاذا به يصل الى النتيجة المطلوبة . وهي كون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب اليه من نفسه .

لأجل هذا كان التفكير سبيلا من سبل الوصول الى هذه المحبة . فاذا تفكر المسلم في النفع الحاصل له من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه سبب نجاته في الدنيا والآخرة ، وأدرك ذلك بقلبه يقينا عظمت عندذاك محبة النبي صلى الله عليه وسلم في قلبه .

وبعد أن تبين لنا وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بأدلته من القرآن والسنة .

أود أن أشير الى أن هذه المحبة - كما قال ابن رجب - على درجتين : (٢)

١ - احدهما - فرض : وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله ، وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم ، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية ، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه ، من تصديقه في كل ما أخبر به وطاعته فيما أمر به

(١) فتح الباري ، ١١ / ٥٢٨ .

(٢) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٢٢٦ هـ - ٢٩٥ هـ) محدث، فقيه . من تصانيفه : شرح سنن الترمذي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري لم يكمله ، جامع العلوم والحكم . ذيل طبقات الحنابلة وغيرها انظر . الأعلام ٢ / ٢٩٥ .

من الواجبات ، والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات ، ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة ، فهذا القدر لا بد منه ، ولا يتم الايمان بدونه .

٢ - والدرجة الثانية : فضل ، وهي المحبة التي تقتضي حسن التآسي بسبه ، وتحقيق الاقتداء بسنته ، في أخلاقه ، وآدابه ، ونوافله ، وتطوعاته ، وأكله ، وشربه ، ولباسه ، وحسن معاشرته لأزواجه ، وغير ذلك من آدابه الكاملة ، وأخلاقه الطاهرة . والاعتناء بمعرفة سيرته وآيامه ، واهتزاز القلب من محبته ، وتعظيمه ، وتوقيره ومحبة استماع كلامه . وايشاره على كلام غيره من المخلوقين . ومن أعظم ذلك ، الاقتداء به في زهده في الدنيا والاجتزاء باليسير منها ، ورغبته في الآخرة .^(١)

ومما سبق يتبين لنا أن المحبة والايان أمران متلازمان في قلب المؤمن تلازما مطردا يزيد أحدهما بزيادة الآخر وينقص ينقصانه .

كما جاء ذلك مبينا في قوله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) .^(٢)

فقد وضع هذا الحديث العلاقة بين الايمان والمحبة ، إذ علق كمال الايمان الواجب على وجود المحبة الراجعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها شرطا يتوقف عليه الايمان الذي ينجو به صاحبه من العقاب ويستحق دخول الجنة بفضل الله ورحمته .

ولا يتحقق ذلك الا اذا كان حب الرسول صلى الله عليه وسلم في قلب الملم راجعا على حب ما سواه من النفس والمال والولد وسائر البشر أجمعين .

فمن كان حبه لنفسه او لنشء من الاشياء كحبه لله ورسوله أو أشد فهو من اصحاب الوعيد لأن الله تعالى جعل المحبة الراجعة لله ورسوله من لوازم الايمان وجعل ما ودنها من اوصاف المشركين .

(١) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس . لأبي الفرج عبدالرحمن ابن رجب الحنبلي . طبع مطبعة الامام . مصر . ص ٢٤ ، ٢٥ .
(٢) سبق تخريجه ص ٤٢ .

فقال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾^(١)

فإذا قويت المحبة في قلب المؤمن وزادت أثمر ذلك زيادة في الإيمان ،
وذاق العبد حينئذ حلاوة الإيمان .

كما في صحيح البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ... الحديث)^(٢)

ولا يصل العبد إلى هذه المنزلة إلا إذا سعى في تحصيل ما يحبه الله ورسوله من الأقوال والأفعال .

وكلما كان سعي العبد حثيثا لتحصيل هذه المحبوبات كلما ازداد إيمانه وذاق حلاوته ، وإذا قصر العبد في أداء ما كلفه والالتزام بأداب الشرع فانما يرجع ذلك إلى نقصان في الإيمان الدال على نقصان المحبة ، فزيادة المحبة دليل على زيادة الإيمان ونقصانها دليل على نقصان الإيمان .

أما أصل الإيمان فلا يوجد بدون وجود المحبوبة ، ولا يوجد مسلم ليس في قلبه محبة - ولو كانت ضعيفة - لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فتبين لنا من هذا أن العلاقة بين المحبة والإيمان علاقة وثيقة فوجود أحدهما متوقف على وجود الآخر وزيادة أحدهما تعني زيادة الآخر .

(١) سورة البقرة ، آية (١٦٥)

(٢) صحيح البخاري . كتاب الإيمان . باب حلاوة الإيمان ١ / ١٠ .

وصحيح مسلم . كتاب الإيمان . باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ١ / ٦٦ .

المبحث الثالث

﴿ دواعي محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وأسباب زيادتها ﴾

يرتبط الحب في قلب الانسان بدوافع وبواعث تبعث عليه مهمتها أن تحرك القلب وتدفعه نحو محبوباته .

وتتعدد هذه الدوافع وتتنوع بحسب تنوع المحبوبات واختلافها . فمن الحب ما تدفع اليه البواعث الحسية ، أو العقلية ، أو القلبية . وذلك لوجود صفات قامت بالمحبوب واتصفت بها من كمال ، أو جمال ، أو احسان ، أو غير ذلك من الدواعي والأسباب الباعثة على الحب . وإذا نظرنا الى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم فنسجد أن البواعث عليها متنوعة ومتعددة ، وذلك لكثرة ما خصه الله به من أنواع الفضائل ، وما أجراه على يديه من الخيرات لأمتيه . الى غير ذلك من الدواعي التي ترجع الى مجموع خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته ومنها :

أولاً- أن حب المسلم للرسول صلى الله عليه وسلم تابع لحبه لله عز وجل :

وذلك لأن محبة الله تعالى هي أساس المحبة الشرعية ، لأن الله هو المحبوب لذاته ، وكل ما سواه مما يحب شرعاً فمحبته تابعة لمحبة الله عز وجل . وذلك كمحبة أنبيائه ورسوله وملائكته وعباده الصالحين ، وكذلك محبة الأعمال والأخلاق التي يحبها الله ويرضاها . فمحبة ذلك كله تبع لمحبة الله عز وجل وهي من لوازم محبته فان محبة الله توجب محبة ما يحبه الله .

وعلى ذلك فمن أحب الله أحب رسوله صلى الله عليه وسلم لأجل حب الله عز وجل ، فان الرسول إنما يحب لأجل الله ، ويطاع لأجل الله ^(١) كما قال الله تعالى : ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ ^(٢) .

(١) انظر . مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ١٠ / ٦٤٩ .

(٢) سورة آل عمران ، آية (٣١) .

ثانياً : أن الله تعالى أحبه واختاره من خلقه فحب ما يحبه الله من لوازم محبته

ذلك أن الله اصطفاه على الناس برسالته ، وجعله خاتم النبيين ، وأفضل الخلق أجمعين وحبيب رب العالمين ، كما روى مسلم بسنده عن واثلة بن الأسقع قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل . واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم) .^(١)

وأخرج البخاري ومسلم والفظالنه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله . إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه . فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ! قال : فأنا اللبنة . وأنا خاتم النبيين) .^(٢)

وأخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة أيضا قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع) .^(٣)

وقد ثبت في الحديث أن الله إذا أحب عبدا وضع له المحبة والقبول عند أهل الأرض والسماء .

أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا أحب الله عبدا نادى جبريل أن الله يحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء أن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل . باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم . ١٧٨٢ / ٤ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب . باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم . ٢٢٦ / ٤ ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، ١٧٩١ / ٤ .

(٣) كتاب الفضائل ، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق . ١٧٨٢ / ٤ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب المقة عن الله . ١٧ / ٨ .

قال ابن حجر :

(المراد بالقبول في حديث الباب : قبول القلوب له بالمحبة والمييل اليه والرضا عنه ويؤخذ منه أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله)^(١)
وإذا كان هذا الشأن في عامة عباد الله فأولى بهذه المحبة وذلك القبول أفضل الخلق أجمعين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد تحقق هذا وأضعاف أضعافه ، إذ لم تعرف الدنيا رجلا فاضت القلوب بحبه وفدته النفوس بكل عزيز وغال مثلما عرف ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أولئك الذين ناصبوه العداوة لم يملكوا أنفسهم من سيطرة الإعجاب برسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاله .

فرسول الله أهل لأن يحب ، لحب الله له واختياره لهذا الخير العميم .
ومظاهر حب الله لرسوله كثيرة جدا منها :

أ - اختياره واصطفاه لمقام النبوة والرسالة ، إذ لا يختار الله لهذا الأمر الا من أحبهم وارتضاهم .

كما قال تعالى : ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾^(٢) ،

وقال تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾^(٣) ،

وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ﴾^(٤) .

ب - تشريفه صلى الله عليه وسلم بانزال القرآن عليه .

قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا تهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم ﴾^(٥)

(١) فتح الباري ، ١٠ / ٤٦٢ .

(٢) سورة الحج ، آية (٧٥) .

(٣) سورة الأنعام ، آية (١٢٤) .

(٤) سورة الأحزاب ، آية (٤٥-٤٦) .

(٥) سورة الشورى ، آية (٥٢) .

وقال تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ﴾ (١)

ج - اكرامه صلى الله عليه وسلم بشرح صدره ووضع وزره ورفع ذكره واعلاء قدره كما قال تعالى : ﴿ ألم نشرح لك صدرك . ووضنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك ﴾ (٢) .

د - تكريمه بصلاة الله وملائكته عليه في الملأ الأعلى الى يوم الدين كما قال تعالى : ﴿ ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ (٣) . والصلوة من اللسنة تتضمن الثناء عليه ومن الطرافة الدعاء له صلى الله عليه وسلم .

هـ - تشريفه بمقام الخلعة ، وهي أرفع درجة من المحبة ، ولم ينلها من الأنبياء سوى ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خليل الرحمن كما كان ابراهيم عليه السلام خليل الرحمن .

أخرج مسلم بسنده عن جندب قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت يخمس وهو يقول : (اني أبرأ الى الله أن يكون لى منكم خليل فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا . ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد . ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، انى أنهاكم من ذلك) (٤) .

و - أن الله جعله رحمة للعالمين ، الانس والجن ، رحمة للمؤمنين منهم ، بالعز في الدنيا والنجاة في الآخرة ، وللكافرين بامهالهم وتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة . كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ (٥) .

(١) سورة الحجر ، آية (٨٧) .

(٢) سورة الشرح ، آية (٤١-) .

(٣) سورة الأحزاب ، آية (٥٦) .

(٤) صحيح مسلم . كتاب المساجد . باب النهي عن بناء القبور مساجد ١/٢٧٥-٢٧٦ .

(٥) سورة الأنبياء ، آية (١٠٧) .

قال ابن القيم :

(وأصح القولين في قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ أنه باق على عمومه وفيه على هذا التقدير وجهان :
أحدهما : أن عموم العالمين حمل لهم النفع برسالته ، أما أتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة ، وأما أعداؤه المحاربون له فالذين عجل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم لأن حياتهم زيادة لهم في تفليط العذاب عليهم في الدار الآخرة ، وهم قد كتب عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر ، وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته ، وهم أقل شرا بذلك العهد من المحاربين له . وأما المنافقون فحمل لهم باظهار الايمان به حقت دماثهم وأموالهم وأهلهم واحترامها ، وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيرها .

وأما الأمم النائية عنه فان الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين النفع برسالته .

الوجه الثاني : أنه رحمة لكل أحد ، لكن المؤمنيين قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى ، والكفار ردوها ، فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها^(١) .

وأخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع على المشركين ، قال : (اني لم أبعث لعانا ، وانما بعثت رحمة)^(٢) .

ز - ما خصه الله به وفضله على سائر الأنبياء ، كاحلال الغنائم له ، ونصرته بالرعب مسيرة شهر .

(١) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام لابن القيم . تحقيق طه

يوسف شاهين ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢) صحيح مسلم . كتاب البر والآداب والصلة . باب النهي عن لعن السدواب

وغيرها ٤ / ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ .

كما في الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الفنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)^(١) .

ح - تشريفه وتكريمه يوم القيامة بكونه صاحب المقام المحمود وهو الشفاعة العظمى في أن يقضي الله بين الخلائق .

وكونه أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع وصاحب لواء الحمد ، وصاحب الحوض المورود ، وأول من تفتح له أبواب الجنة ، إلى غير ذلك من وجوه التكريم والتشريف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والتي تعد من أقوى الدوافع إلى محبته .

ثالثا - كمال رأفته ورحمته بأمته وحرصه على هدايتها وانقاذها من الهلكة :

حتى كادت أن تذهب نفسه أسفا على قومه إلا يكونوا مؤمنين كما قال تعالى :

﴿ لعلك ياخذ نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾^(٢)

وقال تعالى :-

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين

رؤوف رحيم ﴾^(٣) . وقال تعالى :-

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ

كنتم أعداء فالألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من

النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آيته لعلكم تهتدون ﴾^(٤)

(١) البخاري . كتاب التيمم ، باب . قول الله تعالى: ﴿ فلم تجدوا مساء

فتيمموا صعيدا طيبا ﴾ ، ١ / ٩١ - ٩٢ .

(٢) سورة الشعراء ، آية (٣) .

(٣) سورة التوبة ، آية (١٢٨) .

(٤) سورة آل عمران ، آية (١٠٣) .

وقال تعالى : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (٢)

وقد جاءت أحاديث كثيرة تؤكد هذا المعنى. منها ما أخرجه البخاري ومسلم بسنديهما عن عبدالله بن زيد قال : (لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئا ، فكأنهم وجدوا إذ لم يصيبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فآلفكم الله بي ، وعالة فآغناكم الله بي ؟ كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله آمن . قال : ما يمنعكم أن تجيئوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله آمن . قال : لو شئتم قلتم : جئتنا كذا وكذا . ألا ترضون أن يذهب الناس بالثاة والبعير ، وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة ، لكنت امرأة عن الأنصار ولو سلك الناس واديًا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها . الأنصار شعار ، والناس دثار . انكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) (٣)

ومنها ما أخرجه مسلم بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص : (أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم : ﴿ رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ﴾ الآية (٤) . وقال عيسى عليه السلام : ﴿ ان تعذبهم فإنهم عبادك وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (٥) فرفع يديه وقال (اللهم ! أمّتي أمّتي) وبكى . فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ، فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال . وهو أعلم . فقال الله يا جبريل (اذهب إلى محمد فقل : انا سنرضيك في أمّتك ولا نسوءك) (٦)

- (١) سورة الأنفال ، آية (٣٣) . (٢) سورة الأنبياء ، آية (١٠٧)
 (٣) البخاري . كتاب المغازي . باب غزوة الطائف ، ٥ / ٢٠٠ ،
 ومسلم . كتاب الزكاة ، باب اعطاء المؤلفة قلوبهم على الاسلام وتصبر من قوي ايمانه ، ٢ / ٧٣٨ .
 (٤) سورة ابراهيم ، آية (٣٦) .
 (٥) سورة المائدة ، آية (١١٨) .
 (٦) صحيح مسلم . كتاب الايمان . باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمتيه وبكائه شفقة عليهم ، ١ / ١٩١ .

ومنها ما أخرجه البخاري ومسلم - واللفظ له عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لكل نبي دعوة مستجابة . فتعجل كل نبي دعوته . واني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة . فهي نائلة ان شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا)^(١) .

الى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي تبين حذب النبي صلى الله عليه وسلم وشفقته على أمته ورحمته بها .

وجدير بمن كان يمثل هذه الشفقة والرحمة أن تتوجه قلوب المسلمين بكليتها الى محبته وأن تجعل من حبه وسيلة قربي وزلفى الى الله عز وجل .

رابعا - كمال نصح أمته وهدايته لها واحسانه اليها:

اذ دل الأمة على كل خير يقربها الى ربها ، وحذرها من كل شر يجلب لها الدل والخزي في الدنيا والعذاب والنكال في الآخرة . فاصبح العز والتمكين في الدنيا والسعادة والنعيم في الآخرة متوقفا على اتباع منهجه وسلوك سبيله . كما قال تعالى :

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾^(٢)

وإذا كان الانسان بفطرته يحب من نصح أو أحسن اليه مرة أو مرتين فما بالناس بالناصح الأمين البير الشفيق على أمته والذي كانت حياته كلها نصحا لأمته وتعلما لها وتزكية لأرواحها وأبدانها . وهو الذي هدى البشرية - باذن ربها - الى الصراط المستقيم بعدما كانت تعيش في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء ، ولولا رحمة الله للناس ببعثته ورسالته لعاش الناس في محارم الظلمات تتقاذفهم الأمواج فلا يجدون الى ساحل الهداية سبيلا .

(١) صحيح مسلم . كتاب الايمان . باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته ١ / ١٨٩ ، والبخاري . كتاب الدعوات . باب لكل نبي دعوة مستجابة ، ٨ / ٨٢ .
(٢) سورة النحل ، آية (٩٧) .

يقول الله عز وجل :

﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾^(١)

وقال تعالى :

﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون، فاذكروني أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون ﴾^(٢)

لأجل هذا كانت المنة ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم عظمة والنعمة بذلك جسيمة . ولا يعرف قدر هذه النعمة إلا من أدرك الفرق بين الهدى والضلال وبين الجاهلية والاسلام وبين رضى الله وسخطه .

فمن عرف هذا الفرق وأدركه ادراكا يقينياً علم عظم هذه النعمة التي لا تعادلها نعمة على ظهر الأرض ، وأحب الرسول صلى الله عليه وسلم بكل قلبه وآثر حب الله ورسوله على ما سواههما .

ولأجل هذا كان الصحابة أشد الخلق حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم عاشوا الجاهلية وعايروها عن قرب فلما جاء الاسلام وأدركوا الفرق بين الظلمات والنور ازداد تمسكهم بالاسلام واشتد حبهم على مر الأيام لهذا النبي العظيم صلى الله عليه وسلم .

أما عظيم احسانه الى أمته ، فلأنه كان سبب انتفاع هذه الأمة بحياتها وأرواحها وأبدانها .

بل كان هو السبب - بإذن ربه - في حياة هذه الأمة كما قال تعالى :
﴿ يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾^(٣) الآية .
وإذا كان الانسان يحب أبويه لكونهما وسيلة وجوده ، ولأنهما منحاه الرعاية

-
- (١) سورة آل عمران ، آية (١٦٤) .
(٢) سورة البقرة ، آية (١٥٣-١٥١) .
(٣) سورة الأنفال ، آية (٢٤) .

والعناية حتى استطاع شق طريقه في الحياة .

فرسول الله أولى بذلك الحب لأنه كان سبب انتفاع الانسان بحياته وبدنه وروحه . فلولا الايمان به واتباع دينه لكان الانسان في درجة الحيوانات أو أخط كما كانت حال الجاهلية قبل أن تشرق عليهم شمس النبوة وهكذا الشأن في كل جاهلية قديما وحديثا .

خامسا - ما خصه الله به من كريم الخصال ورفيع الأخلاق مما ميزه على سائر الخلق أجمعين :

ولو لم تكن له معجزة الا أخلاقه العظيمة لكفت دليلا على صدق نبوته وسمو تعاليم رسالته .

والمطالع في سيرته صلى الله عليه وسلم ومواقفه المتعددة يجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز من كل خلق أرفعه، وتسلم ذرى الأخلاق حتى سما بها ، فكان كما وصفه ربه بقوله تعالى : ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ (١) .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الناس خلقا، وأوسعهم صدرا وأصدقهم لهجة ، وأكرمهم عشيرة ، وأوفاهم عهدا ، وأوصلهم للرحم ، قريبا من كل بر بعيدا عن كل اثم ، لا يقول الا حقا ، ولا يعد الا صدقا ، جوادا بماله ، فما قال لأحد : لا ، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، شجاعا يتقي به أصحابه عند شدة البأس صابرا محتسبا في جنب الله كل مكروه وأذى ، يسبق حلمه غضبه ويعفو عند المقدرة ، رحيم القلب ، طيب النفس ، آتاه الله الكمال في الخلق والخلق ، والقول والعمل ، وجمله بالسكينة والوقار ، وكساه حسن القبول ، فاستمال القلوب وملك زمامها ، فانقادت النفوس لموافقته ، وثبتت القلوب على محبته ، وفدته النفوس بكل عزيز وغال .

(١) سورة القلم ، آية (٤) .

فجدير بمن كان بتلك المنزلة أن تتوجه القلوب لمحبيته ، وكلما اطلع
الانسان على جوانب خلقه الكريم ازداد حبا له . ولذلك كان الصحابة رضوان
الله عليهم أكمل الأمة حبا له لما شاهدوه وعايينوه من أحواله الشريفة
وأخلاقه الكريمة صلى الله عليه وسلم .

هذا من أهم موجبات محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ودواعيها وهذه
المحبة قد تضعف في قلب المسلم بسبب المعاصي والذنوب ، أو الاقبال على
حطام الدنيا . لأجل هذا يجب على المسلم أن يأخذ بالأسباب التي تزيد من
محبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

أسباب زيادة المحبة

يرتبط الحب في القلب بما يحركه من تذكر وتفكير ، وروية للأثار وسماع للأخبار .

ومع وجود هذه المحركات يزداد الحب في قلب الانسان وتطلب النفس تحصيل المحبوبات . وحب المسلم للرسول صلى الله عليه وسلم يحركه في قلبه أمور كثيرة منها :

١ - تذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله :

ان للمعرفة ارتباطا وثيقا بالحب ، واذا لم يعرف المسلم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ويتعرف عليه وعلى عظيم قدره ومكانته في نفسه وعند ربه ، فسيكون حبه له ضعيفا منزويا في أعماق الشعور والوجدان .

فاذا أراد المسلم أن يزداد حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلا بد له من معرفته ومعرفته جوانب شخصيته وأخلاقه وذلك بمطالعة سيرته وشمائله وأيامه والنظر فيها يتمعن لاستخلاص الدروس والعبر والعيش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والأحداث التي واجهته والمواقف التي وقفها والأعمال التي قام بها والنظر الى حال الصحابة معه وكيف كسان عيشتهم وجهادهم لأعدائهم وحبهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم .

فكلما طالع الانسان سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدبرها أدرك عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فازداد حبا له وشوقا اليه . ومما يكمل هذا الجانب التفكير فيما لاقاه الرسول صلى الله عليه وسلم في سبيل تبليغ الدين وعظيم حرمه على هداية الناس جميعا وشفقته على أمته ورحمته بهما فاذا أدرك المسلم هذا الأمر ازداد حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ - الوقوف على هديه والاشتغال بالسنة قولاً وعملاً :

الوقوف على هديه وتدبير سنته والاقترداء به في كل أمر من أمور الدين حتى يكون المسلم على بصيرة ويقتين من أنه على جادة الاتباع فيجعل الرسول

صلى الله عليه وسلم امامه في كل أمر يقوم به من أمور الدين وكأنه واحد من أصحابه ياتمر بأمره وينتهي بنهيه وكلما استمسك المسلم بهديه وسنته وعاش معها بقلبه ووجدانه كلما كان ذلك أدعى الى تذكر رسول صلى الله عليه وسلم وحبه .

وإذا كان الحب مرتبطاً بالمعرفة والتذكر ، فأكثر الناس حبا له أهل سنته المشتغلون بها علما وعملا ، رواية ودراية لأنهم أعلم الأمة بأقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأخلاقه وشمائله ، ولو لم يكن لهم نصيب من حب سوى الصلاة والسلام عليه لكفى بهذا شرفا .

٣ - معرفة نعمة الله على عباده بهذا النبي صلى الله عليه وسلم :

ومن أعظم أسباب هذه المعرفة التفكير في النفع الحاصل لهذه الأمة بسبب بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فيها ونزول القرآن عليه .

وأنة سبب نجات هذه الأمة في الدنيا والآخرة وأن كل خير وعز وسعادة حصلت لهذه الأمة أو يقدر لها أن تحصل فيسبب اتباعه .

وأن كل بلاء حصل لهذه الأمة أو سيحصل فسببه مخالفة ما جاء به من عند ربه . وحتى تكتمل هذه المعرفة يتخيل الانسان كيف سيكون حال هذه الأمة لو لم يبعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف كان حالها قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ثم كيف أصبح حالها بعد بعثته ونزول القرآن عليه . وكيف أن الله جمع به بعد فرقة ، ورفع به شأن هذه الأمة وأخرجها به من الظلمات الى النور .
قال تعالى :

﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى مراط مستقيم ﴾ (١)

فإذا عرف المسلم قدر هذه النعمة ازداد حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم

٤ - كثرة الصلاة والسلام عليه :

اذ أنها من أعظم ما يربط قلب المسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويجعله متذكرا له دائما ، قال تعالى : ﴿ ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ (١) .

وقد ورد الحث عليها والأمر بالاكثار منها في أحاديث كثيرة منها ما أخرجه مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من صلى عليّ مرة صلى الله عليه بها عشرا) (٢) .

وسياتى لهذا مزيد بيان في المبحث القادم ان شاء الله .

(١) سورة الأحزاب آية (٥٦) .

(٢) صحيح مسلم . كتاب الصلاة . باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد ، ١ / ٣٠٦ .

المبحث الرابع

﴿ مظاهر محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴾

الحب وان كان من أعمال القلوب الا أنه لا بد وأن تظهر آثاره على الجوارح قولاً وفعلاً . ولما كان الحب أمراً يمكن أن يستتر وراء الدعوى والمزاعم ويقع فيه الاشتباه ، كان لا بد من التمييز بين الصادق فيه وبين الدعي الكاذب وبين من سلك فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً صحيحاً وبين من انحرف بمسلك فيه عن الصواب .

وقد جرت العادة أن الدعوى لا تقبل الا ببيّنات ، فالبينة على من ادعى، ولو يعطى الناس بدعواهم لاختل ميزان الحق والعدل . وظالما استغلت دعوى الحب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم أو حب الصالحين لتسويغ ألوان من البدع وضروب من الفلو وجعلها مقبولة ظالماً كان دافعها هذا الحب المزعوم .

لذا أردت في هذا المبحث الكلام على الشواهد الصادقة والمظاهر الواضحة لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعها بآثارها على السلوك والأفعال .

وذلك لبيان أن حب الرسول صلى الله عليه وسلم مقيد بضوابط تحكّمه ، ومحدد بعلامات تؤكد صدقه ، وآثار تظهر على من اتصف به . وهذه العلامات والمظاهر كثيرة ، لكنني سأتكلم عن أظهرها وأبينها .

أولاً - طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه :

ان أقوى شاهد على صدق الحب - أيما كان نوعه - هو موافقة المحب لمحبهه وبدون هذه الموافقة يصير الحب دعوى كاذبة وأكبر دليل على صدق الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو طاعته واتباعه .

فالاتباع هو دليل المحبة الأول وشاهدها الأمثل ، وهو شرط صحة هذه المحبة ، وبدونه لا تتحقق المحبة الشرعية ولا تتصور بمعناها الصحيح .

وإذا كان الله سبحانه قد جعل اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم دليلاً على حبه سبحانه ، فهو من باب أولى دليل على حب النبي صلى الله عليه وسلم .
قال تعالى :

(١) ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾

قال ابن كثير رحمه الله :

(هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية بأنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله .

كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " (٢) . ولهذا قال : (..... ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم ، وهو أعظم من الأول ، كما قال بعض العلماء الحكماء :
" ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب " .

وقال الحسن البصري وغيره من السلف :

زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال : ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ (٣) ، فتبين من هذا أن الاتباع هو أعظم شاهد على صدق المحبة ، بل هو من أجل ثمارها .

فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم هو من أطاعه واقتدى به وآثر ما يحبه الله ورسوله على هوى نفسه ، وظهرت آثار ذلك عليه من موافقته في حب ما يحبه وبغض ما يبغضه .

(١) سورة آل عمران ، آية (٣١) .

(٢) أخرجه البخاري تعليقا في كتاب الاعتصام . باب اذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود ، ٩ / ١٢٢ .
ومسلم في كتاب الأضوية . باب نقض الأحكام الباطلة ، ورد محدثات الأمور ٣ / ١٢٤٤ .

(٣) تفسير ابن كثير . للامام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ط دار الفكر ، بيروت ، ١ / ٢٥٨ .

ويؤكد القاضي عياض على ارتباط هذه المحبة بالموافقة والاتباع فيقول :
 " اعلم أن من أحب شيئا آثره وآثر موافقته ، والا لم يكن صادقا في حبه وكان
 مدميا ، فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه ،
 وأولها :

الاعتداء به واستعمال سنته ، واتباع أقواله وأفعاله ، وامتنثال أوامره
 واجتناب نواهيه ، والتأدب بأدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه ، وشاهد هذا
 قوله تعالى :

﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ (١) ،

وايثار ما شرعه على هوى نفسه وموافقة شهواته ، قال الله تعالى ﴿ ولا يجدون
 في صدورهم حاجة مما أوتوا ويوشرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ (٢) .

وقد استفاضت نصوص الكتاب والسنة في تعظيم شأن الاتباع وبيان أهميته ،
 وأن سعادة المسلم في الدارين موقوفة على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم ،
 وأن شقاء من شقي وهلاك من هلك إنما كان بسبب مخالفته لما جاء به الرسول صلى
 الله عليه وسلم ، وسنعرض لهذه النصوص في مبحث وجوب الطاعة .

نخلص من هذا الى أن أقوى مظهر وأوضح شاهد على صدق المحبة لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم هو الاتباع ويدونه تصبح المحبة دعوى مجردة عن الدليل
 وقولا لا يصدقته عمل .

وهذا الاتباع محدد أيضا بشواهد وعلامات تؤكدونه وسنعرض لها فيما بعد .

(١) سورة آل عمران ٣١

(٢) سورة الحشر ، آية (٩) .

(٣) الشفا ، ٢ / ٢٤ .

ثانيا - تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره والأدب معه :

تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم هو ما يقتضيه مقام النبوة والرسالة من كمال الأدب وتمام التوقير ، وهو من أعظم مظاهر حبه ، ومن أكد حقوقه صلى الله عليه وسلم على أمته ، كما أنه من أهم واجبات الدين .

وهذا التعظيم مثل المحبة من حيث كونه تابعا للمعرفة ، فعلى قدر المعرفة يكون التعظيم وتكون المحبة .

لذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم أكثر الناس حبا وتعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لمعايشتهم له وقربهم منه . وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم يكون بالقلب ، واللسان ، والجوارح . فالتعظيم بالقلب هو ما يستلزم اعتقاد كونه رسولا اصطفاه الله برسالته ، وخصه بنبوته ، وأعلى قدره ، ورفع ذكره وفضله على سائر الخلق أجمعين ، كما يستلزم تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين .

أما التعظيم باللسان فيكون بالثناء عليه بما هو أهله ، مما أثنى به على نفسه ، أو أثنى به عليه ربه من غير غلو ولا تقصير ، ويدخل في ذلك الصلاة والسلام عليه ، كما يشمل الأدب في الخطاب معه والحديث عنه صلى الله عليه وسلم .

وأما التعظيم بالجوارح فيشمل العمل بطاعته ، وتجريد متابعتة ، وموافقتة في حبا يحبه ، ويفض ما يبغضه ، والسعي في اظهار دينه ، ونصرة شريعته ، والأدب عنه وصون حرمة .^(١)

وعلى ذلك فأساس التعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم وقاعدته التي ينبني عليها هو تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، واجتناب ما منه نهى وزجر ، وعبادة الله بما شرع . فمن فقد هذا الأساس أو أخل به فقد أخل بتعظيمه وتوقيره صلى الله عليه وسلم . وهذا الاخلال يأتي من أمرين كليهما على طرفي نقيض :

(١) أنظر . الصارم المنكى في الرد على السبكي ، لابن عبدالهادي ، ص ٢٤١ -

أولهما : الجفاء والتفريط في حقوقه صلى الله عليه وسلم . وذلك كنسبته الى ما لا يليق بمقام النبوة كالظعن في صدقه أو أمانته وعدالته وذلك كصنيع ذي الخويصرة التميمي الذي ظعن في قسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم للفنائم كما روى ذلك البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله اعدل فقال : ويليك . ومن يعدل إذا لم اعدل ؟ قد خبت وخسرت ان لم أكن اعدل ، فقال عمر : يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه . فقال : دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يصدقون من الدين كما يصدق السهم من الرمية)^(١) الحديث .

ويشبه هذا الصنيع صنيع المنافقين ومن انطمت بصائرهم فلم يعرفوا للنبي صلى الله عليه وسلم قدره ولم يحفظوا حرمة . ومما يلحق بالجفاء عدم التأدب في الحديث والكلام عن النبي صلى الله عليه وسلم كصنيع بعض الشعراء والكتاب في تشبيه بعض الولاة والحكام أو وصفهم بصفات الرسول صلى الله عليه وسلم . كقول المعري مثلا :^(٢)

لولا انقطاع الوحي بعد محمد	قلنا محمد عن أبيه بديل
هو مثله في الفضل الا أنه	لم يأت به برسالة جبريل ^(٣)

- (١) صحيح البخاري . كتاب المناقب . باب علامات النبوة في الاسلام (٢٤٣/٤ - ٢٤٤) .
(٢) هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي الملقب بالمعري . نسبة لمعرة النعمان بلدته (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ) كان من أعلام الشعراء غير أنه كان زائغ الاعتقاد متشككا يميل الى الزهد الفلسفي ولذلك كان متقلبا فتارة يكون موحدا و أخرى يكون ملحدا . وله عسدة دواوين من أشهرها سقط الزند ، واللزوميات وغيرها . انظر . البداية والنهاية ، ١٢ / ٧٢ - ٧٦ ،
ولسان الميزان لابن حجر ، ١ / ٢٠٣ - ٢٠٨ .
(٣) هذان البيتان من قصيدة للمعري يمدح بها رجلا من العلويين . انظر . سقط الزند - لأبي العلاء المعري . طبع دار صادر ، ص ١٤٢ ،
١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .

وقد نقل القاضي عياض أمثلة من هذا القبيل من أقوال بعض الجفـاء
(١)
والمناققين
ومما يلحق بالجفاء ترك الصلاة والسلام عليه لفظاً وخطاً ، أو الاستهانة بهديه وسنته
وقلة المبالاة بها أو التعظيم لشأن المفكرين والكتاب و القادة بما يفض من
شأنه صلى الله عليه وسلم ، مع أن هؤلاء مهما بلغوا لن يصلوا الى مرتبة واحد
من عامة الصحابة .

وقد كثر الجفاء في زماننا هذا بكثرة المارقين والمنهزمين من الكتاب
والأدباء الذين سودوا الصحائف بالاستهزاء بتعاليم الاسلام وقيمه وربما بالتطاول
على مقام النبوة . كما عزف كثير من المسلمين عن مطالعة سيرة النبي صلى الله
عليه وسلم ومذاكرة سنته وكثرة الصلاة والسلام عليه . مما أدى الى الجفاء للنبي
صلى الله عليه وسلم وعدم توقيره .

ولقد كان سلفنا الصالح اذا ذكر عندهم النبي صلى الله عليه وسلم أو حديثاً
من أحاديثه ظهر عليهم من الهيبة والاحلال والتأدب كما لو كان النبي صلى
الله عليه وسلم امامهم حتى ان بعضهم كان يبكي عند ذكره صلى الله عليه وسلم
فكان محمد بن المنكدر اذا سئل عن حديث بكى حتى يرحمه الجالسون، وكان
عبدالرحمن بن مهدي اذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم أمر الحاضرين
بالسكوت وقال : لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﷺ ويتأول أنه يجب له
من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب عند سماع قوله صلى الله عليه وسلم
(٢)
(٣)
(٤)
(٥)

(١) انظر الشفا ، ٢ / ٢٣٨ - ٢٤٧ .

(٢) هو أبو عبدالله محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير القرشي من أعلام
التابعين روى عن جماعة من الصحابة وعنه جمع من الأئمة ، كان سيد القراء
قال ابن عيينة : كان من معادن الصدق ، يجتمع اليه الصالحون .

انظر . تذكرة الحفاظ للذهبي ، ١ / ١٢٧ - ١٢٨ .

(٣) هو أبو سعيد عبدالرحمن بن مهدي بن حسان البصري - من أعلام المحدثين
حدث عن شعبة وسفيان وأمما ، وعنه ابن المبارك وأحمد وابن المديني .

انظر . تذكرة الحفاظ ، ١ / ٣٢٩ - ٣٣٢ .

(٤) استشهد بقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق
صوت النبي ﷺ سورة الحجرات ، آية (٢) .

(٥) انظر الشفا ، ٢ / ٤٠ - ٤٧ .

هكذا كان أدب سلفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته فاين منا هذا الأدب وذلك التوقير . نعال الله العافية .

ثانيهما : الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم ورفعته فوق مرتبته التي وضعه الله عليها . وذلك كاعتقاد أنه يعلم الغيب مطلقا أو أن وجوده سابق لهذا العالم وأن من نوره خلق الكون كله الى غير ذلك من الاعتقادات الباطلة التي لم ترد في كتاب ولا في سنة . وسيأتي لهذا مزيد بيان في فصل الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد أوجب الله على الأمة كلها تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره فقال تعالى : ﴿ انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ (١) .

فالتسبيح لله عز وجل والتعزير والتوقير للنبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى : ﴿ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ (٢) . والتعزير بمعنى التعظيم .

قال ابن جرير في تفسير الآية الأولى :

(معنى التعزير في هذا الموضع : التقوية بالنصرة والمعونة ولا يكون ذلك الا بالطاعة والتعظيم والاجلال) (٣) .

ويعرف ابن تيمية التعزير بأنه :

(اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه ، والتوقير : اسم جامع لكل ما فيه سكينه وطمانينة من الاجلال والاكرام وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرج عن حد الوقار) (٤) .

(١) سورة الفتح ، آية (٩) .

(٢) سورة الأعراف ، آية (١٥٧) .

(٣) تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن . لأبي جعفر محمد ابن جرير الطبري . ط ٢ ، مصطفى الحلبي . القاهرة ، ١٣٧٢ هـ ، ٢٦ / ٧٥ .

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول . لابن تيمية .

تحقيق . محمد محي الدين عبدالحميد ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت

١٣٩٨ هـ ، ص ٤٢٢ .

وقد أبان الله في كتابه عن وجوه الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه ، وما ينبغي على المسلم أن يتأدي به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك في آيات شتى وبأساليب متنوعة . وقد اشتملت سورة الحجرات في صدرها على مجموعة من التوجيهات التربوية للمسلمين في كيفية تعاملهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتأدي معه .

فقال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم . يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحيط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم ﴾^(١)

فقد أشارت هذه الآيات الى بعض وجوه الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم

منها :

- عدم التقدم بين يدي الله ورسوله يقول أو فعل أو اذن أو تصرف كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾^(٢)

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية :

(لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم ، قبل أن يقضى

الله لكم فيه ، ورسوله ، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله)^(٣)

وهذا الأمر باق على الأمة الى يوم القيامة - مثل طاعته صلى الله

عليه وسلم حيا وميتا - فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته صلى الله

عليه وسلم كالتقدم بين يديه في حياته ، ولا فرق بينهما عند نبي

العقول السليمة ، فالأدب كل الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تقديم سنته

وأقواله على كل قول أو رأي .^(٤)

(١) سورة الحجرات ، آية (١ - ٥) .

(٢) سورة الحجرات ، آية (١) .

(٣) تفسير ابن جرير ، ٢٦ / ١١٦ .

(٤) انظر . مدارج السالكين لابن القيم ، ٢ / ٢٨٩ .

- ومنها عدم رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم ، وعدم الجهر له بالقول مخافة حيوط العمل . فالأدب معه في حياته غضى الصوت عنده مع الهيبة والاحلال له ، وأن يكون مجلسه مجلس علم وحلم ووقار وسكينة ، وأن يكون الحديث معه بشاذب وتلطف .

وإذا كان الله قد حرم رفع الأصوات فوق صوت نبيه ، وحرم الجهر له بالقول لما في ذلك من الجفاء والايذاء لنبيه صلى الله عليه وسلم ، فكذلك رفع الأصوات عند قبره صلى الله عليه وسلم في حكم رفع الصوت عنده في حياته من حيث التحريم لأن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمة حيا .

وقد شدد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه النكير على رجلين رفعوا أصواتهما في المسجد النبوي وذلك فيما رواه البخاري يسنده عن السائب ابن يزيد قال :

(كنت قائما في المسجد فحسبني رجل ، فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فأتني بهذين ، فجثته بهما . قال : من أنتما - أو من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف . قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما . ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم !)^(١)

فإذا تنقصر هذا علمنا ان ما يحدث من كثير من الناس عند قبره صلى الله عليه وسلم من رفع الأصوات واختلاطها ، وصنيع من يسمون " بالمزورين " من رفع الأصوات عند القبر والتشويش في المسجد النبوي ، كل هذا من الأمور المحرمة لما فيها من ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وانتهاك حرمة المسجد .

ومن مخالفة الأدب في هذا الباب رفع آراء بعض اليثر وأقوالهم ومذاهبهم على سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومحاولة اسكات صوت السنة والداعين اليها وفي هذا من الايذاء والجفاء ما هو أكبر بكثير من مجرد رفع الصوت عند النبي صلى الله عليه وسلم .^(٢)

(١) صحيح البخاري . كتاب الصلاة . باب رفع الصوت في المساجد ١ / ١٢٧ .

(٢) انظر . مدارج السالكين ، ٢ / ٣٨٩ .

قال أبو بكر بن العربي (١) :

(حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمة حيا ، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه ، فاذا قريء كلامه وجب على كل حاضر أن لا يرفع صوته عليه ، ولا يعرض عنه ، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به ، وقد نبه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة في قوله تعالى : ﴿ واذا قريء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ﴾ (٢) . وكلام النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي ، وله من الحرمة مثل ما للقرآن الا معاني مستثناه (٣) ، بيانها في كتب الفقه والله أعلم . (٤)

ومن الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم عدم جعل دعائه كدعاء الناس بعضهم بعضا ، كما قال تعالى : ﴿ لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾ (٥) وللمفسرين في معنى هذه الآية قولان :

- أحدهما : معناه أن لاتجعلوا دعاءكم ونداءكم للرسول صلى الله عليه وسلم كما ينادي بعضكم بعضا باسمه المجرى فنهاهم الله أن ينادوا رسوله صلى الله عليه وسلم بيا محمد . بل الأدب معه صلى الله عليه وسلم أن ينادوه : بيارسول الله ، ويانبي الله ، مع خفض الصوت احتراما

(١) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأشبيلي المالكي المعروف بابن العربي ، (٤٦٨ هـ - ٥٤٣ هـ) .

محدث . فقيه - قاض ، بلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين ، وله مصنفات كثيرة منها : عارضة الأحوذى في شرح الترمذي . وأحكام القرآن ، والعواصم من القواصم وغيرها انظر وفيات الأعيان (٢٩٦/٤ - ٢٩٧) ونفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب للشيخ احمد بن محمد المقرئ التلمساني . تحقيق د . احسان عباس ، ٢٥/٢ وما بعدها

(٢) سورة الأعراف ، آية (٢٠٤) .

(٣) ذكر العلماء فروقا بين الحديث والقرآن منها :

- ان كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ليس معجرا كالقرآن

- اننا متعبدون بالقرآن وتلاوته في الصلاة وخارجها وليس الحديث كذلك

- ان القرآن لا يقرأه القارئ الا وهو ظاهر على خلاف في ذلك وليس الحديث كذلك

(٤) أحكام القرآن ، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، تحقيق

على محمد البجاوي ، ١٧٠٢/٤ - ١٧٠٣ .

(١)
وتوقيرا له .

- الثاني : أن لا تجعلوا دعاء الرسول لكم من جنس دعاء بعضكم بعضا
إذا شاء أجاب وان لم يشأ لم يجب . بل الأدب معه أنه إذا دعاكم لم
يسمكم إلا اجابته والسمع والطاعة له .^(٢)

ومن الأدب معه صلى الله عليه وسلم أن أصحابه إذا كانوا معه على أمر
جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه .

كما قال تعالى :

﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم
يذهبوا حتى يستأذنه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله
فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله أن الله غفور رحيم ﴾^(٣)

قال ابن القيم :

(ومن الأدب معه : أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع - من خطبة أو جهاد
أو رباط - لم يذهب أحدهم مذهباً في حاجته حتى يستأذنه فإذا كان هذا
مذهباً مقيداً بحاجة عارضة ، لم يوسع لهم فيه إلا بإذنه فكيف بمذهب مطلق في
تفاصيل الدين : أموله ، وفروعه ، دقيقه ، وجليله ؟ هل يشرع الذهاب اليه
بدون استئذانه ، ﴿ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾^(٤) ومن الأدب معه . .
أن لا يستشكل قوله . بل تستشكل الآراء لقوله ، ولا يعارضه بغيره . بل
تهدر الأتيسة وتلقى لنموه ، ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه
معقولا ، نعم هو مجهول ومن الصواب معزول .

ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد . فكل هذا من قلة الأدب معه

(١) انظر تفسير ابن كثير ، ٣ / ٣٠٦ - ٣٠٧ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن
بالقرآن . الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، طبع مطبعة المدني ، مصر ،

٦ / ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٢) انظر مدارج السالكين ، ٢ / ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٣) سورة النور ، آية (٦٢) .

(٤) سورة النحل ، آية (٤٣) .

وسورة الأنبياء ، آية (٧) .

صلى الله عليه وسلم ، وهو عين الجراءة (١) .

ومن الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيمه : التأدب في الحديث معه والحديث عنه . وذلك باختيار أحسن الألفاظ وأعديها ، وأرق المعانسي والطفها ، وتجنب كل ما فيه جفاء أو إساءة أدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم وتنزيه مقام النبوة والرسالة من كل عيب أو نقص يناقضي عصمته صلى الله عليه وسلم .

لأجل هذا نهى الله المؤمنين عن الجهر بالقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما نهاهم عن مخاطبته كما يخاطب بعضهم بعضا كما سبق أنفا . لما فيه من الجفاء والإيذاء له . ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرننا واسمعوا . وللكافرين عذاب أليم ﴾ (٢)

فنهى الله المؤمنين أن يقولوا لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ راعنا ﴾ لما فيها من احتمال معنى : ارعنا نرعاك على سبيل المقابلة كما يقال حادثنا وجالسنا ، نحادثك ونجالسك . فكانهم لا يرعونه إلا برعايته لهم . بل حقه صلى الله عليه وسلم أن يرعى على كل حال ، أو يكون معناها : ارعنا سمعك حتى نفهمك وتفهم منا وكلا المعنيين فيه جفاء لا يليق بمقام النبوة . (٣)

وقيل نهوا عن ذلك لما فيه من التشبه باليهود لأنهم كانوا يورثون بهذه الكلمة عن الرعونة فنهى المسلمون عن قولها قطعا للدريرة ، ومنعوا للتشبه بهم في قولهم . (٤)

وعلى ذلك فكل كلام يشعر بالجفاء وإن لم يقصده المتكلم - لا يجوز أن يخاطب به الرسول صلى الله عليه وسلم أو يتحدث به عنه لما في ذلك من إيذائه صلى الله عليه وسلم وإهباب هيئته من النفوس .

- (١) مدارج السالكين ، ٢ / ٣٩٠ .
- (٢) سورة البقرة ، آية (١٠٤) .
- (٣) انظر . تفسير الطبري ، تحقيق محمود وأحمد محمد شاكر ، طبع دار المعارف مصر ، ٢ / ٤٦٣ - ٤٦٦ .
- (٤) انظر . الشفا للقاضي عياض ، ٣٧/٢ ، وتفسير ابن كثير ، ١ / ١٤٨ - ١٤٩ .

ومن تعظيمه صلى الله عليه وسلم . الشناء عليه بما هو أهله مما أثنى به على نفسه ، أو أثنى به عليه ربه سبحانه وتعالى من غير غلو ولا تقصير ، ومن أعظم الشناء عليه : الصلاة والسلام عليه في مواطنها ، وعند ورود ذكره الشريف صلى المسامح واللسان وعند الخط بالبنان .

ويتضمن معنى الصلاة عليه : ثناء الله عليه والاشارة برفع ذكره ، والطلب من الله أن يعلي ذكره ، ويزيده تعظيما وتشريفا ، والمراد بالطلب هنا هو طلب الزيادة - زيادة الشناء والتشريف - لا طلب أصل الصلاة . أما السلام فيتضمن سلامته صلى الله عليه وسلم من كل آفة وعيب .^(١)

أورد البخاري تعليقا عن أبي العالية قال : " صلاة الله : ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء .

قال ابن عباس

يملون : يبركون^(٢)

وقد أخبر الله أنه وملائكته يملون على النبي وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فقال تعالى : ﴿ ان الله وملائكته يملون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ .^(٣)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :

" والمقصود من هذه الآية : أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين ، وأن الملائكة تظلي عليه . ثم أمر تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والسلام عليه ليجتمع الشناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا "^(٤) .

(١) انظر . جلالا في سام في الصلاة والسلام على خير الأنام . لابن القيسم تحقيق . الشيخ طه يوسف شاهين . نشر دار الكتب العلمية . بيروت ، ص ٨٤ ، وما بعدها ، وفتح الباري ١١ / ١٥٢ - ١٥٣ ، ١٦٩ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير . باب ﴿ ان الله وملائكته يملون على النبي ﴾ ١٥١ / ٦ .

(٣) سورة الأحزاب ، آية (٥٦) .

(٤) تفسير ابن كثير ، ٣ / ٥٠٧ .

كما رهب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة والسلام عليه فسي
 أحاديث عدة : منها ما أخرجه مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي
 الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من صلى عليّ
 صلاة صلى الله عليه بها عشرا)^(١)

وأخرج أبو داود بسنده عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم : (ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم
 وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة ، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن
 صلاتكم معروضة عليّ قالوا يا رسول الله : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟!
 يقولون : بليت . قال : ان الله عز وجل حرم على الأرض أن تاكل أجساد
 الأنبياء)^(٢)

وأخرج الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : (رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ) الحديث .^(٣)

وأخرج الترمذي أيضا بسنده عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : (البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ)^(٤)

وأخرج أبو داود بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : (لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عبدا وصلوا

(١) صحيح مسلم . كتاب الصلاة . باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد
 التشهد ، ١ / ٣٠٦ .

(٢) سنن أبي داود . كتاب الصلاة . باب فضل الجمعة وليلة الجمعة ، ١ / ٦٣٥ ،
 ورواه أحمد في المسند ٤ / ٨ ، والنسائي في كتاب الصلاة ، باب أكثاب
 الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ٣ / ٩١ - ٩٢ ،
 واسناده صحيح . صححه الحاكم ١ / ٢٧٨ . ووافقه الذهبي . وصححه النسوي
 في الأذكار ، ط ٤ ، مصطفى الحلبي ، مصر ، ص ١٠٦ .

(٣) سنن الترمذي . كتاب الدعوات . باب ما جاء في فضل التوبة والاستغفار
 وما ذكر من رحمة الله لعباده ٥ / ٢١٠ ، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان
 نشر محمد عبدالمحسن الكتبي ، المدينة المنورة .

وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، ١ / ٥٤٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ٥ / ٢١١ ، ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ١ / ٥٤٩ .

عليّ فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) (١)

وقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه وأمته كيف يصلون عليه في الصلاة وغيرها وذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم بسنديهما عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال : (لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدي لك هدية ، ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا ، فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال : قولوا : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد) (٢)

وأخرجا أيضا بسنديهما عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا : يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد) (٣)

الى غير ذلك من الصيغ التي علمهم النبي صلى الله عليه وسلم اياها وأرشدهم اليها . وهذه الكيفية التي علمها النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وأمته من بعدهم هي أفضل كفيات الصلاة والسلام عليه لأنها صادرة من مشكاة النبوة ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يختار لهم ولنفسه الا الأشرف والأفضل والأكمل من الأعمال والكيفيات .

فاذا تبين هذا علمنا أن ما ابتدعه كثير من مشايخ الصوفية من صيغ في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم زاعمين لها من الفضل والثواب الشيء

(١) سنن أبي داود . كتاب المناسك . باب زيارة القبور ٢ / ٥٣٤ . ورواه أحمد في المسند ٢ / ٣٦٧ . والحديث سنده حسن على شرط مسلم ، وهو صحيح بماله من طرق وشواهد . انظر أحكام الجنائز وبدعها للشيخ الألباني ، ط ٤ ، طبع المكتب الاسلامي ، ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٢) البخاري . كتاب الدعوات . باب . الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ٨ / ٩٥ ومسلم . كتاب الصلاة . باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد ١ / ٣٠٥ .

(٣) البخاري ، السابق نفسه ، ٨ / ٩٥ - ٩٦ ، ومسلم ، السابق نفسه ، ١ / ٣٠٦ .

الكثير ، هذه الصلوات لا ترتقي الى مرتبة الصيغ التي علمها النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وأمته في كيفية الصلاة والسلام عليه . هذا ان سلمت تلك الصلوات من الغلو وضروب البدع . كما يلاحظ أنه لم يرد في شيء من صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لفظ السيادة (سيدنا) .

فدل عدم ورودها على أنها ليست مشروعة أو خلاف الأولى وقد سئل الحافظ ابن حجر عن صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة أو خارج الصلاة سواء قيل بوجوبها أو نذبيتها ، هل يشترط فيها أن يصفه صلى الله عليه وسلم بالسيادة . كأن يقول مثلاً . اللهم صل على سيدنا محمد أو على سيد الخلق ، وعلى سيد ولد آدم ؟ أو يقتصر على قوله : اللهم صل على محمد ؟ وأيها أفضل ، الاتيان بلفظ السيادة لكونها صفة ثابتة له صلى الله عليه وسلم ، أو عدم الاتيان بها لعدم ورود ذلك في الآثار ؟

فاجاب رحمه الله :

(نعم اتباع الألفاظ الماثورة أرجح ، ولا يقال : لعلة ترك ذلك تواضعا منه صلى الله عليه وسلم كما لم يكن يقول عند ذكره صلى الله عليه وسلم : " صلى الله عليه وسلم " وأمته مندوبة الى أن تقول ذلك كلما ذكر . لانا نقول لو كان ذلك راجحا لجاء عن الصحابة ثم عن التابعين . ولم نقف في شيء من الآثار عن احد من الصحابة ولا التابعين لهم : قال ذلك مع كثرة ما ورد عنهم من ذلك) .^(١)

وللصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مواطن يتأكد وجوبها أو استحبابها فيها : منها : التشهد الأخير في الصلاة ، واختلف في وجوبه واستحبابه على قولين . ومنها عند دخول المساجد والخروج منها ، وبين يدي الدعاء .^(٢)

وعند ذكره صلى الله عليه وسلم ، وورود اسمه الشريف وكتابته وفي الخطب

(١) أوردها بتمامها : الألباني نقلا عن الحافظ محمد بن محمد القراييلي تلميذ الحافظ ابن حجر .

انظر . صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، تأليف محمد ناصر الدين

الألباني ، ط ١١ ، المكتب الاسلامي ١٤٠٣ هـ ، ص ١٥٣ - ١٥٥ .

(٢) انظر : جلاء الافهام ، ص ١٩٣ - ٢١٦ .

وصفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ص ١٦٢ .

وعند رواية الحديث وتعليم الناس العلم الى غير ذلك من المواطن .^(١)

ومن تعظيمه صلى الله عليه وسلم نصرته والذب عنه ، وقد أوجب الله على الأمة تعزيز نبيه صلى الله عليه وسلم وتوقيره ، وسبق أن بينا أن تعزيزه صلى الله عليه وسلم يتضمن معنى النصر والتعظيم . فوجب على الأمة أن تنصر الله ورسوله ، وأن تنتصر لله ورسوله ، وإذا كان نصر آحاد المسلمين واجباً ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)^(٢) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته)^(٣) .

فكيف لا يكون نصر الرسول صلى الله عليه وسلم من أوجب الواجبات ، بل حقه أن يفدى بالأنفس والأموال وأن يوشى بكل عزيز وغال .

قال تعالى :

﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ﴾^(٤) الآية .

فحرم الله على المؤمنين التخلف عن نصرته والريفة بالأنفس عنه ، وأوجب على المؤمنين نصرته ، وذلك في آيات عدة من القرآن منها :

قوله تعالى :

﴿ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾^(٥) .

وقال تعالى : ﴿ الا تنصروه فقد نصره الله ﴾^(٦) الآية .

-
- (١) للوقوف على هذه المواطن وغيرها . انظر الشفا ، ٦٤ / ٢ - ٦٨ ، وجلاء الاقهام ، ١٩٣ - ٢٦١ ، وفتح الباري ، ١١ / ١٦٩ .
- (٢) أخرجه البخاري في كتاب المظالم . باب . أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً ١٦٨ / ٣ ، والامام أحمد في المسند ، ٣ / ٩٩ .
- (٣) أخرجه البخاري في كتاب المظالم . باب . لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ١٦٨ / ٣ .
- (٤) سورة التوبة ، آية (١٢٠) .
- (٥) سورة الأعراف ، آية (١٥٧) .
- (٦) سورة التوبة ، آية (٤٠) .

وقال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ... ﴾ الآية (١)

وامتدح الله المهاجرين بقوله تعالى : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ (٢)

كما أشنى على الأنصار بقوله : ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فـي سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ (٣) ونصر الرسول صلى الله عليه وسلم يشمل نصره باللسان والسنان والبنان ، بالقول والفعل . نصرا له في ذات نفسه حماية لعرضه ، وصونا لحرمة ، وارفاماً لأعدائه ومبغضيه ، وانتصارا له من كل من يؤذيه ، واجلالا لمقام النبوة من أي قدح أو عيب .

وقد أجمع أهل العلم على وجوب قتل من سب الرسول صلى الله عليه وسلم أو عابه أو ألحق به نقما في نسبه أو دينه أو خصلته من خصاله ، أو عرضيه أو شبهه بشيء على طريق السب له والازراء عليه أو التحقير لشانه .

فحكم من أتى بذلك أن يقتل بلا استتابة لأنه أدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يستوجب اهدار دمه ان كان مسلما ، ونقض عهده وقتله ان كان ذميا . (٤) كل ذلك حماية لعرضه صلى الله عليه وسلم وصونا لمكانته ومنزلته .

ومن نصر الرسول صلى الله عليه وسلم نصر سنته والذب عن شريعته ودفع كيد الكائدين وطعن الطاعنين في سنته وسيرته ، يرد شبههم ودحض مقترباتهم واطهار ما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق .

(١) سورة الصف ، آية (١٤) .

(٢) سورة الحشر ، آية (٨) .

(٣) سورة الأنفال ، آية (٧٤) .

(٤) انظر في بيان ذلك . الشفا ٢ / ٢١٤ وما بعدها . والصارم المسلول

ص ٣ وما بعدها ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .

ويدخل في نصر الله ورسوله نصر الشريعة وأهلها والداعين إليها وتكثير
سوادهم واعانتهم على أمورهم ، وقمع أعدائهم . ولا يتأتى هذا النصر ولا يتحقق
إلا برفع علم الجهاد في سبيل الله جهادا للكفار والمنافقين ، وتتبع الزنادقة
والملاحدين ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإقامة حدود الله في
أرضه . وتطبيق شرعه .

وترك النصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه والتخاذل عنها تمكين
لأعداء الإسلام من الظعن فيه وتشويهه وإضعاف شوكته وانتهاك حرمة واهتمام
هبة النبي صلى الله عليه وسلم من النفوس .

ولا يكون ذلك إلا إذا ترك الجهاد في سبيل الله ، وذهبت الغيرة على محارم
الله من القلوب ، حينها يكون الرضى بالذل والهوان حيا للدنيا وكراهية للموت
وهذا هو حال المسلمين اليوم . فالانتصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم حق
على كل من آمن به واتبعه وزعم أنه يحبه ، فمن ادعى حبه ولم ينصره وينتصر
له فهو كاذب في دعواه .

فمقتضى الحب الصحيح أن تنصره وتفديه بالنفس والمال وأن تغار على حرمة
الله أن تنتهك . تلك هي أهم جوانب تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم
وتوقيره . لكن بقي أن أنبه إلى أمرين مهمين في هذا الباب :

الأمر الأول :

أنه يجب على المسلم المعظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرق
بين حقوق الله تعالى التي هي من خصائص ربوبيته وألوهيته ، والتي لا يجوز
صرفها لغير الله تعالى ، وبين حقوق النبي صلى الله عليه وسلم ليفتح كل شيء
في موضعه حتى يكون على الصراط المستقيم .

فالتجاء المضطر - مثلا - الذي أحاطت به الكروب ، ونزلت به الشدايد التي
لا يقدر على كشفها إلا الله وحده ، حق من حقوق الله تعالى لا يجوز صرفه لغير
الله بحال من الأحوال ، لأن كشف الضر ، وإجاية المضطر بيد الله وحده .
فصرف هذا الحق لله وإخلاصه له هو عين طاعته سبحانه ومرضاته ، وهو طاعة
لرسوله صلى الله عليه وسلم واتباع له في تجريد التوحيد من كل شواشب الشرك

أما صرف هذا الحق - أو غيره من الحقوق الخاصة بالله - لغير الله ولو لرسوله صلى الله عليه وسلم بدعوى أنه تعظيم له - فهذا عين المحادة والمشاقة لله ورسوله ، وهو من الشرك الذي نهى الله ورسوله عنه فاذا تبين ذلك علمنا أن ما يفعله بعض المنتسبين الى الاسلام من التجاهل وقت الشدائد الى غير الله طالبين منه كشف الضر ورفع الشدة، وما يفعل من هذا القبيل عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، يدموى أنه تعظيم له . كل هذا من قبيل الشرك السني حرمه الله ورسوله .

الامر الثاني :

الفرق بين التعظيم المشروع وغير المشروع ، ينبغي على المسلم أن يعلم أن التعظيم الذي أوجبه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم هو التعظيم المشروع اللائق بمقام النبوة والرسالة .

ومدار هذا التعظيم وأساسه هو الاتباع والافتداء به صلى الله عليه وسلم فمن كان أكثر اتباعا وافتداء كان أكثر محبة وتعظيما ، وأبعد عن الغلو والبدع . وليس كل ما يظن أنه من باب التعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو في الحقيقة تعظيما مشروعاً في حقه .

(١)

قال ابن عبد الهادي :

(فالتعظيم نومان : أحدهما : ما يحبه المعظم ويرضاه ويأمر به ويشئى على فاعله ، فهذا هو التعظيم في الحقيقة .

(١) هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي (٧٠٥ هـ - ٧٤٤ هـ) شارك في كثير من العلوم وحصل منها ما لا يبلغه الشيوخ الكبار ، وترك تصانيف كثيرة منها : الأحكام . في فقه الحنابلة . وتراجم الحفاظ وفضائل الشام . والمحرر في الحديث . والعقود الدرية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية . والصارم المنكي في الرد على السبكي وغيرها انظر البداية والنهاية (١٤ / ٢١٠) والدرر الكامنة في أعيان المائسة الثامنة ، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق ، محمد سيد جاد الحق ، نشر دار الكتب الحديثة . عايدين ، مصر (٤٢١/٣ ، ٤٢٢) .

والثاني : ما يكرهه ويبغضه ويذم فاعله ، فهذا ليس بتعظيم ، بل هو غلو مناف للتعظيم ، ولهذا لم يكن الرافضة معظمين لعلى بدعواهم الالهية والنبوة أو العصمة ونحو ذلك ، ولم يكن النماري معظمين للمسيح بدعواهم فيه ما ادعوا ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد أنكر على من عظمه بما لم يشرعه ، فانكر على معاد سجوده له ، وهو محض التعظيم .

وفي المسند ياسناد صحيح على شرط مسلم عن أنس بن مالك : أن رجلا قال : (يا محمد ، ياسيدنا ، وابن سيدنا ، وخيرنا ، وابن خيرنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عليكم بقولكم ، ولاستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبدالله ، ميدالله ورسوله والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل) (١) ، وقال صلى الله عليه وسلم : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فانما أنا عبد ، فقولوا عبدالله ورسوله) (٢)

وكان يكره من أصحابه أن يقوموا له إذا رأوه ، ونهاهم أن يملوا خلفه قياما . ، وقال : (ان كدتم أنفا لتفعلون فعل فارس والروم ، يقومون على ملوكهم) (٣) ، وكل هذا من التعظيم الذي يبغضه ويكرهه . (٤)

وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على من قال له : ما شاء الله وشئت أخرج الامام أحمد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما : (أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أجعلتني والله عدلا . بل ما شاء الله وحده) (٥)

وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الى أن يقولوا - إذا أرادوا - ما شاء الله ثم شاء محمد . كما في سنن الدارمي وابن ماجه بسنديهما عن الطفيل بن سخبرة أخى عائشة لأمها قال : قال رجل من المشركين لرجل من المسلمين

(١) المسند ، ٣ / ١٥٣ ، ٢٤١ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ٩ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة . باب ائتمام المأموم بالامام ، ١ / ٣٠٩ ، والنسائي في كتاب السهو . باب الرخصة في الالتفات في الصلاة يميناً وشمالاً ، ٣ / ٩ .

(٤) الصارم المنكي في الرد على السيكي ، ٢٨٨ .

(٥) المسند ، ١ / ٢١٤ ، والحديث أسناده حسن .

انظر السلطة الصحيحة ١ / ٥٦ - ٥٧ .

نعم القوم أنتم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد .^(١)

فيجب على المسلم أن يفرق بين المشروع وبين غيره في هذا الجانب وعدم التفرقة بينهما هو الذي أوقع المبتدعة في الغلو الذي ذمه الله ورسوله وذلك كاستغاثة به وطلب الحاجات منه ودعائه من دون الله واعتقاد أنه خلق من نور وأن الكون كله قد خلق من نوره ، وأنه يتصرف في الأكوان . ويعلم الغيب مطلقا الى غير ذلك من العقائد الباطلة . وابتداع أنواع كثيرة من الصلوات عليه . فكل هذا من الغلو والشرك الذي نهى الله عنه ، وفاعل هذا مفساد لتعظيمه صلى الله عليه وسلم .

ثالثا - ومن مظاهر محبته على الله عليه وسلم :

كثرة تذكره وتمني رؤيته والشوق الى لقائه ، ذلك أن من أحب شيئا أكثر من ذكره ، ولا يكون ذلك الا اذا شغلت المحبة قلب المحب وفكره ، وسبب ذلك استحضار الأسباب والدواعي الياعة على حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة قدر النعمة التي أنعم الله بها على الناس اذ بعث فيهم رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى :

﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون . فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾^(٢)

(١) سنن الدارمي . كتاب الاستعدادان . باب في النهي عن أن يقول ما شاء الله وشاء فلان ٢ / ٢٩٥ .

وابن ماجه . كتاب الكفارات . باب النهي عن أن يقال ما شاء الله وشئت ١ / ٦٨٤ . والحديث صحيح بشواهد . انظر السلسلة الصحيحة ١ / ٥٤ - ٥٦ .

(٢) سورة البقرة ، آية (١٥١ - ١٥٢) .

ويتبع ذلك تمني رؤيته صلى الله عليه وسلم والشوق الى لقائه وسؤال الله اللحاق به على الايمان وأن يجمع بينه وبين حبيبه ونيبه صلى الله عليه وسلم في مستقر رحمته . وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه سيوجدني هــذه الامة أناس يودون رؤيته بكل ما يملكون .

فأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أشد أمتي لي حبا ، ناس يكونون يعدي يود أحدهم لو رآني ، بأهله وماله)^(١) .

ويدخل في هذا الشوق الى لقائه صلى الله عليه وسلم اذ كل حبيب يحسب لقاء حبيبه . وحينما قدم الأشعريون المدينة كانوا يرتجزون (غدا نلقى الأبية ، محمدا وصحبه)^(٢) .

ولما احتضر بلال نادت امرأته ، واويلاه ، وهو يقول وافرحاه (غدا نلقى الأبية . محمدا وحزبه)^(٣) .

فمزج مرارة الموت بخلوة الشوق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تقدمه من الصحابة .

وكان خالد بن معدان الكلاعي^(٤) - وهو من أعلام التابعين - لا يأوى الى فراش مقلبه الا وهو يذكر فيه شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى

- (١) صحيح مسلم . كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها . باب فيمن يود رؤيته النبي صلى الله عليه وسلم بأهله وماله ، ٤ / ٢١٧٨ .
- (٢) أخرجه الامام أحمد في المسند ، ٣ / ١٠٥ ، ١٥٥ ، ١٨٢ . قال الشيخ الألباني (اسناده صحيح على شرط مسلم) انظر . السلسلة الصحيحة ٢ / ٥٠ - ٥١ .
- (٣) أورد هذه الحكاية ابن عساكر في ترجمة بلال بن رباح رضي الله عنه . انظر . تهذيب تاريخ دمشق . الشيخ عبدالقادر بدران ، ط ٢ ، دار المسيرة بيروت ، ١٣٩٩ هـ ، ٣ / ٣١٧ .
- (٤) هو أبو عبد الله خالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي الشامي الحمصي ، تابعي ثقة من الطبقة الثالثة ، أدرك سبعين صحابيا ، وروي عن بعضهم وكان من خيار عباد الله ، توفي سنة ثلاث أو أربع بعد المائة . انظر . تهذيب تاريخ دمشق ، ٥ / ٨٩ - ٩١ . وتهذيب التهذيب لابن حجر ، ١١٨ - ١٢٠ .

أصحابه من المهاجرين والأنصار ثم يسميهم ويقول : (هم أطي وفطلي ، واليههم يحن قلبي ، طال شوقي اليهم فعجل ربي قبضي اليك) . حتى يغليه النوم .^(١)

وهكذا شأن المحب دائما أن يشتاق الى لقاء حبيبه ويتمنى رؤيته بكل ما يستطيع ويملك .

فأين شوق المسلمين اليوم الى نبيهم وحبيبيهم صلى الله عليه وسلم أين هو؟ لقد غاب عند أكثر العالمين الا من رحم الله . نعم . لقد غاب . لأن الفكر والقلب قد شغل بالتنافس في حطام الدنيا حتى قل تذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فضلا عن الشوق الى لقاءه . فنسال الله أن يوقظنا من رقدة الغافلين وأن يرزقنا الشوق الى لقاءه ولقاء حبيبه صلى الله عليه وسلم في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .

رابعا - ومن مظاهر محبته صلى الله عليه وسلم محبة قرابته وآل بيته وأزواجه وصحابته .

ويتمثل هذا في توقيرهم ومعرفة فضلهم وحفظ حرمتهم ومكانتهم وبغض من أبغضهم أو آذاهم .

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم الأمة بآل بيته خيرا فقال :
(أذكركم الله في أهل بيتي) .

أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا . بماء يدعى "خما" بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر . ثم قال : أما بعد . ألاأيها الناس ! فانما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب . وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله . واستمسكوا به) فحدث على كتاب الله ورغب فيه . ثم قال : (وأهل بيتي . أذكركم الله

(١) روى ذلك الخبر القاضي عياض في الشفا ، ٢ / ٢١ . وابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ، ٥ / ٩٠ ، عن عبدة بنت خالد بن معدان .

في أهل بيتي . أذكركم الله في أهل بيتي . أذكركم الله في أهل بيتي (فقال له حصين ومن أهل بيته ؟ يا زيد ! أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته . ولكن أهل بيته . من حرم الصدقة بعده . قال ومن هم ؟ قال : هم آل عليّ ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ، قال كل هؤلاء حرم الصدقة بعده ؟ قال : نعم) .^(١)

وأخرج البخاري عن ابن عمر أن أبا بكر الصديق قال : (ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته) .^(٢)

ومن مظاهر حبه صلى الله عليه وسلم حب أصحابه ومعرفة فضلهم وقدرهم والشناء عليهم بما هم أهلهم ، والانتصار لهم ممن يؤذيهم وبغير الخير يذكرهم ، فهم خير هذه الأمة بعد نبيها ، ويكفي أنهم فازوا بشرف صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن الله قد خصهم بهذا الشرف دون غيرهم من العالمين فكانت لهم منزلة الصحبة التي لا تعادلها أي منزلة سواها في هذه الأمة . وقد أثنى الله عليهم في كتابه في مواضع كثيرة منها :

قوله تعالى :

﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ .^(٤)

وقال تعالى :

﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ الآية .^(٥)

-
- (١) حصين هو ابن سيرة راوي الحديث عن زيد بن أرقم .
 (٢) صحيح مسلم . كتاب فضائل الصحابة . باب فضائل علي رضي الله عنه ، ٤ / ١٨٧٣ .
 (٣) صحيح البخاري . كتاب فضائل الصحابة ، ٥ / ٢٦ .
 (٤) سورة التوبة ، آية (١٠٠) .
 (٥) سورة الفتح ، آية (١٨) .

وقال تعالى :

﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم ﴾^(١)

فهذه الآيات وغيرها تتضمن الثناء على الصحابة وتذكرهم بالخير وسابق الفضل وعلو المنزلة .

كما تبين حال من أتى بعدهم من المؤمنين بأنهم يستغفرون لهم ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلا لهم . وهذا هو شأن المؤمنين مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أتى بعدهم من صالح المؤمنين .

وقد أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على أصحابه خيرا فقال كما في الصحيحين عن عمران بن حصين وغيره : (خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) قال عمران : فلا أدري . أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا^(٢) الحديث .

وقال فيما أخرجه الشيخان بسنديهما عن أبي سعيد الخدري : (لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)^(٣) .

-
- (١) سورة الحشر ، آية (٨ - ١٠) .
 (٢) صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ٥ / ٢ - ٣ .
 وصحيح مسلم . كتاب فضائل الصحابة . باب فضل الصحابة . ٤ / ١٩٦٤ .
 (٣) صحيح البخاري . كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : (لو كنت متخذاً خليلاً) ٥ / ١٠ .
 وصحيح مسلم . كتاب فضائل الصحابة . باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم ، ٤ / ١٩٦٧ .

ولقد صدق عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في وصفهم حيث قال : (ان الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه ، وابتعشه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رأوه سيئا فهو عند الله سيئا)^(١)

فصار من لوازم محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم محبة صحابته وقرابته وأهل بيته ومعرفة فضلهم والثناء عليهم بما هم أهله والدفاع عنهم وحرمتهم .

خامسا - ومن مظاهر محبة النبي صلى الله عليه وسلم محبة سنته والداعين اليها

والمتمسكين بها وأهل العلم الذين لهم في هذه الأمة قدم صدق وهم السلف الصالح ومن أتى بعدهم على منهاجهم حتى يومنا هذا وتوليهم والدفاع عنهم ومعرفة قدرهم وحفظ حرمتهم والتأديب معهم والاعتذار لمن أخطأ منهم بأحسن المعاذير ، وحمل أقوالهم وأحوالهم على أحسن المحامل والوجوه ، لأن قصدهم إنما هو نصره الدين ، ولا يعني ذلك عدم تبيين الحق فيما اختلفوا فيه أو الصواب فيما أخطأوا فيه فذلك هو واجب العلماء الى يوم القيامة .

وانما المقصود هو احسان الظن بهم وانصافهم والتأديب معهم ، لأنهم حملة الشريعة ، ولولا أن الله هيأهم لهذا الأمر لما كان لنا عن هذا الدين خير ، فهم سلفنا الصالح فلنكن لهم خير خلف ، لا أن نفيد من تراثهم ونجد فضلهم ، أو نتلمس معائبهم ومطاعنهم دون النظر الى فضائلهم ، فهذا هو سبب ذهاب بركة العلم . ولن نرزق بركة العلم والدين اذا لم نعترف لهم بسابق الفضل والمنزلة وتسلم صدورنا لهم ونترحم عليهم ونسأل الله لهم المغفرة ، وهذا هو شأن المؤمنين في كل زمان .

(١) أخرجه أحمد في المسند ، ١ / ٣٧٩ ،

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، ٣ / ٧٨ - ٧٩ .

قال تعالى :

﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم ﴾^(١)

قال شارح العقيدة الطحاوية :^(٢)

(فيجب على كل مسلم بعد موالة الله ورسوله موالة المؤمنين ، كما نطق به القرآن خصوصا (العلماء) الذين هم ورثة الأنبياء ، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم ، يهتدي بهم في ظلمات الير والبحر .

وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم ، اذ كل أمة قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم علمائها شرارها ، الا المسلمين ، فان علماءهم خيارهم ، فانهم خلفاء الرسول من أمته ، والمحيون لما مات من سنته ، فيهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، وكلهم متفقون اتفاقا يقينيا على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم . ولكن اذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له في تركه من عذر^(٣) فلهم الفضل علينا والمنة بالسبق ، وتبليغ ما أرسل به الرسول صلى الله عليه وسلم اليها ، وايضا ما كان منه يخفى علينا ، فرضي الله عنهم وأرضاهم^(٤) .

وكما أن من لوازم المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم محبة سنته والداعين اليها فان من لوازمها بغض من أبغض السنة وأهلها والدعاة اليها من علماء هذه الأمة وسلفها ، كما هو صنيع أهل البدع قديما وحديثا من الطعن في السنة وأهلها والوقية فيهم وتشويه صورتهم وتاريخهم .

(١) سورة الحشر ، آية (١٠) .

(٢) هو علي بن علي بن أبي العز الحنفي ، (٧٣١ - ٧٩٢) فقيه ولي منصب قاضي القضاة بدمشق ثم بالديار المصرية .

من تصانيفه : التنبيه على مشكلات الهداية . في الفقه الحنفي . وشرح العقيدة الطحاوية وغيرها . انظر . الدرر الكامنة لابن حجر ، ٢ / ١٥٩ - ١٦٠ ، والاعلام للزركلي ، ٤ / ٣١٣ .

(٣) بين الشيخ بعد ذلك الأعداء التي اعتذر بها أهل العلم للأئمة . وقد بسط شيخ الاسلام ابن تيمية القول في بيانها في رسالته القيمة (رفع الملام عن الأئمة الاعلام) فلتراجع ضمن مجموع الفتاوى ، ٢٠ / ٢٣١ وما بعدها .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ، ط ٦ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٤٠٠هـ ، ص ٥٥٥ .

فيجب على المسلم معرفة هؤلاء المبتدعة وبغضهم في الله ، كما ينبغي التنبيه للمارقين والمنافقين والمنهزمين من حملة الأقلام المسمومة من الكتاب والأدباء والمؤرخين ، الذين راحوا يشوهون التاريخ ويقلبون الحقائق ويطعنون في خيار هذه الأمة من الصحابة ومن بعدهم من علماء هذه الأمة ويختلقون الأكاذيب أو ينقلونها على هوى وعدم بصيرة فيجب على أهل الاختصاص من المسلمين الكشف عن مخططاتهم وتعريف الأمة بهم والرد عليهم وتبيين الحقائق .

﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ﴾ (١)

تلك هي أهم مظاهر محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ولوازمها في صورتها العامة والتي يجب أن يتحلّى بها المسلم في سلوكه وفعله وتظهر آثار ذلك عليه .

(١) سورة الأنفال ، آية (٤٢) .

* آثار المحبة على السلوك والأفعال :

المقصود بهذه الآثار هو ما يظهر على سلوك المؤمن المحب لله ورسوله .
 وفعله . لأن هذه الآثار هي التي تبين صدق هذه المحبة ، وهي عنوان انتفاع
 المسلم بهذه المحبة ، وإذا كان الحب يحرك ارادة القلب نحو تحصيل المحبوبات
 ودفع المكروهات ، فإن محبة المؤمن لله ورسوله تحمله على تحصيل ما يحبه الله
 من أعمال القلوب والجوارح ، واجتناب ما يبغضه الله ورسوله من الأقوال والأفعال
 فلا يبد لكل محبة في القلب من آثار تظهر على الجوارح . وآثار محبة الرسول صلى
 الله عليه وسلم منها ما هو ظاهر يقع عليه الحكم وينطبق فيه الوصف ، ومنها
 ما هو باطن بمنزلة الثمرة الايمانية .

فاما الظاهرة منها : فهي أن يكون المسلم محبا لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم مؤثرا حبه على كل محبوب وغال ، وأن يكون مكثرا لذكره وتذكره
 والصلاة عليه متشوقا لرؤيته ، سائلا الله اللحاق به والاجتماع به في الجنة ،
 والورود على حوضه والشرب منه .

ومنها: أن يكون معظما لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما شرعيا
 يليق به ، موقرا له ، ومتأدبا معه وحافظا لحرمة ، ومعظما لدينه وسنته ،
 متجافيا عن البدع والفلو وضروب المعاصي .

ومنها: أن يكون متبعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في منشته ومكرهه ،
 في سره وعلانيته ، باذلا كل ما في وسعه للوقوف على هديه واتباع سنته ، متحريرا
 في كل أقواله وأفعاله موافقه سنته ، وأن يكون حريصا على الاقتداء به في
 الواجبات والمستحبات ، في القرائن والنوافل ، مكثرا من ذكر الله والدار الآخرة
 مجاهدا في سبيل الله بكل ما يستطيع .

ومنها: أن يكون متأدبا بأدابه متأسبا بأخلاقه صلى الله عليه وسلم من
 سعة الصدر ولين الجانب وسماحة الخلق ، وبذل الندى وكف الأذى ، وبسط الوجه ،
 وأن يكون صبورا حلما ، قريبا من السر ، بعيدا عن الأثم ، ودودا لآخوانه ،
 منصفا لهم ، ينزل الناس منازلهم ، ويعرف لأهل الفضل فضلهم . ويمتليء قلبه
 حبا لآخوانه المسلمين ، غير عياب ولا متفحش ولا ملتئم للبراءة المعاييب

زاهدا في حظام الدنيا وزخارفها ، راغبا فيما عند الله من الأجر والمثوبة .

تلك هي بعض أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، والتي يجب على من أحبه أن يتأسى به فيها ، لا أن يدعي حبه ، وخلقه وسمته مياين لخلق الصالحين والأبرار، وان حسن الخلق هو عنوان استفادة المسلم من هذا الدين وهديه وهو الركيزة الأساسية في النجاة من النار وسلوك مسلك الأبرار بعد تقوى الله عز وجل .

ومنها أن يكون محبا لأصحابه وقربته وآل بيته والصالحين والعلماء وكل ما يحبه الله ورسوله ، وأن يبغض كل من أبغض الله ورسوله أو أصحابه أو آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، أو أبغض دينه وكره ظهوره من الكفرة والمنافقين .

ثمرات المحبة :-

أما الآثار الباطنة فمن أعظمهما أن يجد المؤمن في قلبه حلوة الايمان كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم بسنديهما عن أن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاث من كن فيه وجد حلوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)^(١) .

فهذا الحديث يبين أثر محبة الله ورسوله في قلب المؤمن وهو أن يجد حلوة الايمان في قلبه اذا اتصف بهذه الصفات الثلاث .

(١) سبق تخريجه ص ٣٧ .

يقول ابن تيمية :

(أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، لأن وجد الحلاوة بالشئ يتبع المحبة له ، فمن أحب شيئا أو اشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك ... فحلاوة الايمان المتضمنة من اللذة به والفرح بما يجده المؤمن الواحد من حلاوة الايمان تتبع كمال محبة العبد لله ، وذلك بثلاثة أمور . تكميل هذه المحبة ، وتفريعتها ، ودفع ضدها .

(" فتكميلها " أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب ، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما تقدم :

" وتفريعتها " أن يحب المرء لا يحبه إلا لله .

" ودفع ضدها " أن يكره ضد الايمان أعظم من كراهته الالتقاء في النار)^(١)

وكلما ازداد المؤمن محبة لله ورسوله كلما ازداد ذوقه لحلاوة الايمان فان للايمان من الحلاوة في القلب واللذة والبهجة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه إلا لمن ذاقه ، والناس متفاوتون في ذوق الايمان واللذة به تفاوتاً عظيماً لا يعلمه إلا الله .

والمقصود أن أهل الايمان يجدون بسبب محبتهم لله ورسوله من حلاوة الايمان ما يناسب هذه المحبة^(٢) .

وأما عاقبة هذه المحبة فهي أن يكون المرء مع من أحب كما أخبر بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم . فمن أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه في الجنة باذن الله ، ولو لم يكن لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم ثواب سوى مرافقته في الجنة والتنعم برويته لكفى .

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠ / ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ، ١٠ / ٦٤٨ - ٦٥٠ .

أخرج البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه : (أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : وماذا أعددت لها ؟ قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكنني أحب الله ورسوله ، قال أنت مع من أحببت)^(١) .

وفي رواية : (قال : وماذا أعددت لها ؟ قال : لا شيء إلا أنني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقال : أنت مع من أحببت) قال أنس فما فرحنا بشيء فرحنا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : أنت مع من أحببت . قال أنس : فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم ، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم)^(٢) .

وأخرج البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال (جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب)^(٣) .

فهذه الأحاديث تبين أن المرء مع من أحب طالما كان هذا الحب سببه محبة الأعمال الصالحة وأهلها . فالمحبة الصحيحة تقتضي مشاركتهم في أصل عملهم وهو فعل الواجبات وترك المنكرات ، وإن لم يبلغ درجتهم في التقرب الى الله عز وجل وعلى ذلك دل قول السائل : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ويقصد بذلك ما زاد على الواجبات من النوافل التي تقبل الكثرة والزيادة ، أو أن حظه منها قليل جدا بالمقارنة مع فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأكابر أصحابه رضي الله عنهم .^(٤)

-
- (١) صحيح البخاري . كتاب الأدب ، باب علامة حب الله عز وجل ، ٤٩ / ٨ .
 (٢) صحيح البخاري . كتاب فضائل الصحابة . باب مناقب عمر بن الخطاب ١٤/٥ - ١٥ وأخرجه مسلم في البر والصلة . باب المرء مع من أحب ، ٤ / ٢٠٣٢ .
 (٣) صحيح البخاري . كتاب الأدب ، باب علامة حب الله عز وجل ، ٤٨ / ٨ - ٤٩ ، ومسلم . كتاب البر والصلة . باب المرء مع من أحب ، ٤ / ٢٠٣٢ .
 (٤) ويدل على هذا إحدى روايات مسلم وفيها : (ما أعددت لها من كثير أحمد عليه نفسي) صحيح مسلم ٤ / ٢٠٣٢ .

ويؤكد هذا قول أنس رضي الله عنه : فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم يحيي اياهم ، وان لم أعمل بمثل أعمالهم .

قال ابن حجر :

(.....) ودل الخير على أن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وان كان الأصل أنه لا يحمل الا بامتنثال جميع ما أمر به ، أنه قد يحصل من طريق التفضل باعتقاد ذلك وان لم يحصل استيفاء العمل بمقتضاه بل محبة من يعمل ذلك كافية في حصول أصل النجاة والكون مع العاملين بذلك . لأن محبتهم انما هي لأجل طاعتهم ، والمحبة من أعمال القلوب ، فأشاب الله محبتهم على معتقده . إذ النية هي الأصل والعمل تابع لها ، وليس من لازم المحبة الاستواء في الدرجات (١) .

نخلص من هذا الى أن من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا صحيحا يصدقه الاتباع كان معه في الجنة باذن الله فضلا وتكرما منه سبحانه ، أما مجرد ادعاء الحب بدون تحقيق الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم قلن يصل صاحبها الى هذه المعية ما لم يحقق الاتباع .

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى :

(ابن آدم لا تغتر بقول من يقول : المرء مع من أحب ، انه من أحب قوما اتبع آثارهم ، ولن تلحق بالأبرار حتى تتبع آثارهم ، وتأخذ بهديهم ، وتقتدي بسنتهم وتصبح وتمسي وأنت على منهاجهم ، حريصا على أن تكون منهم ، فتسلك سبيلهم ، وتأخذ طريقهم وان كنت مقصرا في العمل ، فانما ملاك الأمر أن تكون على استقامة ، أما رأيت اليهود ، والنصارى وأهل الأهواء المرديّة يحيون أنبياءهم وليسوا معهم ، لأنهم خالفوهم في القول والعمل ، وملكوا هير طريقهم فصار موردتهم النار ، نعوذ بالله من ذلك) (٢) .

(١) فتح الباري ، ١٠ / ٥٥٨

(٢) استنشاق نسيم الأنس ، لابن رجب ، ص ٨٧ .

الفصل الثاني

* الاتباع *

-x-

وفيه ثلاثة مباحث

- * المبحث الأول (مفهوم الاتباع)
- * المبحث الثاني (وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه)
- * المبحث الثالث (مظاهر الاتباع)

المبحث الأول

* مفهوم الاتباع *

الاتباع في اللفظة : مصدر اتبع الشيء وتبعه اذا سار في أثره .

جاء في معجم مقاييس اللفظة :

("تَبِعَ" التاء والياء والعين أصل واحد لا يشد عنه من الباب شيء، وهو التلو والقنو . يقال تبعته فلانا اذا تلوته واتبعته . وأتبعته اذا لحقته والأصل واحد غير أنهم فرقوا بين القنو واللحق فغيروا الياء أدنى تغيير ، قال تعالى : * فأتبع سباً ^(١) * و * ثم أتبع سباً ^(٢) * ، فهذا معناه على هذه القراءة اللحق ومن أهل العربية من يجعل المعنى فيهما واحداً " .

والتبع هو الظل ، وهو تابع أبداً للشخص ، والتببع ولد البقرة اذا تبع أمه ... والتبع فوائس الدابة وسميت بذلك لأنه يتبع بعضها بعضاً . والتبع النصير ، لأنه يتبعه نصره . والتببع الذي لك عليه مال ، فأنت تتبعه .

وفي الحديث : (مظل الفني ظلم ، واذا اتبع أحدكم على ملء فليتببع ^(٣))
يقول : اذا أحييل عليه فليحتل ^(٤) " .

وجاء في لسان العرب :

(" وتبعته الشيء وأتبعته ردفته وأردفته ومنه قوله تعالى :
* الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب * ^(٥) ، قال أبو عبيد . أتبعته القسوم

-
- (١) سورة الكهف ، آية (٨٥) .
 - (٢) سورة الكهف ، آية (٨٩) .
 - (٣) أخرجه البخاري في كتاب الحوالات . باب في الحوالة ، ٣ / ١٢٣ .
 - (٤) معجم مقاييس اللفظة ، أبو الحسين أحمد بن فارس تحقيق عبد السلام هارون ط ٢ ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٦٩هـ ، ١ / ٣٦٢ - ٣٦٣ .
 - (٥) سورة الصافات ، آية (١٠) .

مثل افعلت اذا كانوا قد سبقوك فلحقهم ، قال . واتبعتم مثل : افتعلت
اذا مروا بك فمضيت ، وأتبع فلان فلانا اذا اتبعه يريد به شرا. كما
أتبع الشيطان الذي انسلخ من آيات الله فكان من الفاوين ، وكما أتبع فرعون
موسى

..... وأتبع القرآن : اهتم به وعمل بما فيه .
..... وتابع بين الأمور متابعة: واتر ووالي .
..... والتبعية والتباعدة : ما فيه اثم يتبع به . وتابع عمله وكلامه :
أتقنه وأحكمه (١) .

وعلى ذلك فالكلمة تدور حول معاني اللحاق والافتقار والافتداء . ومما
يقترّب من هذا المعنى التآسي والأوة . يقال تآسى به اذا اتبع فعله واقتدى
به ، واقتسره أي اقتد به وكن مثله . (٢)

قال الراغب في المفردات :

(الأُسوة والابوة كالأقدوة والقدوة . وهي الحالة التي يكون الانسان
فيها في اتباع غيره ان حسنا أو قبيحا ، وان سارا وان ضارا ولهذا قال
تعالى : * لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة * فوضفها بالحسنة (٤)
فاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هو الاقتداء به واقتفاء آثاره والتآسي به ،
وقد بحث الأصوليون في باب أفعاله صلى الله عليه وسلم عن هذه المعاني وذلك
لأننا متعبدون باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والتآسي به في أفعاله .
لأجل هذا نراهم يتحدثون عن معاني الاتباع والمتابعة والتآسي والموافقة
والمخالفة .

وسأعرض لبيان هذه المعاني حتى يتضح لنا مفهوم الاتباع والمقمود به

(١) لسان العرب ، مادة (تبع) ، ٨ / ٢٧ - ٢٢ .

(٢) انظر لسان العرب ، مادة (أسا) ، ٤ / ٣٤ - ٣٦ .

(٣) سورة الأحزاب ، آية (٢١) .

(٤) المفردات ، ص ١٨ .

(١)
قال أبو الحسين البصري :

(أما التأسّي بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد يكون في فعله وفي تركه
أما التأسّي به في الفعل ، فهو أن نفعل صورة ما فعل على الوجه الذي فعل
لأجل أنه فعل . والتأسّي به في الترك . هـو أن نترك مثل ما ترك على الوجه
الذي ترك ، لأجل أنه ترك . وإنما شرطنا أن تكون صورة الفعل واحدة ، لأنه
صلى الله عليه وسلم لو صام وصلينا لم نكن متأسّين به ، وأما الوجه الذي
وقع عليه الفعل ، فهو الأغراض والنيات . فكل ما عرفناه أنه عرض في الفعل
اعتبرناه ، ويدخل في ذلك نية الوجوب والنفل ، ألا ترى أنه لو صام واجباً
فتطوعنا بالعموم لم نكن متأسّين به ، وكذلك لو تطوع بالعموم فافترضنا به .

(٢)
وإنما شرطنا أن نفعل الفعل (لأجل أنه فعله) ، لأنه صلى الله عليه
وسلم لو صلى ، صلى مثل صلته رجلان من أمته لأجل أنه صلى ، لوصف كل واحد
منهما بأنه متأسّي به صلى الله عليه وسلم . ولا يوصف كل واحد منهما بأنه
متأسّي بالآخر ، وإنما قلنا أن التأسّي يكون في الترك ، لأن النبي صلى الله
عليه وسلم لو ترك الصلاة عند طلوع الشمس فتركناها في هذا الوقت لأجل تركه
كنا متأسّين به .

..... فإما اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد يكون في القول،
وقد يكون في الفعل ، وقد يكون في الترك ، فالاتباع في القول هو المصير إلى
مقتضاه من وجوب ، أو نذب ، أو حظر لأجله والاتباع في الفعل أو في الترك
هو إيقاع مثله في صورته على وجهه ، لأجل أنه أوقعه .

(١) أبو الحسين محمد بن علي الطيب البصري (٠٠٠٠ - ٤٣٦ هـ)
أصولي . متكلم . كان من أئمة المعتزلة . له تصانيف عديدة منها :
غرر الأدلة . شرح الأصول الخمسة . كتاب في الإمامة والمعتمد في أصول
الفقه .

انظر . تاريخ بغداد للخليفة البغدادي ١٠٠/٣ ، الفتح المبين في طبقات
الأصوليين . الشيخ عبد الله مصطفى المراغي ، ط ٢ ، مطبعة محمد أمين دمج ، بيروت ،
١ / ٢٣٣ .

(٢) ما بين القوسين ليس في الأصل المحقق ولكن في نسخة أخرى أشبتها المحقق في
الحاشية فرأيت اثباتها في الأصل تحقيقاً للفائدة .

..... وانما شرطنا في الاتباع ما شرطنا في التآسي ، لأنه صلى الله عليه وسلم ، لو صام فعلينا ، أو صام واجبا فتتفلنا بالهجوم ، أو صمنا لا لأنه صام ، لم نكن متبعين له في هذه الأحوال كلها (١) .

وعلى هذا يكون الاتباع في الفعل هو التآسي بعينه ، أما الاتباع في القول فهو امتثاله على الوجه الذي اقتضاه ذلك القول من وجوب أو نـسـدب أو غير ذلك .

وأما الموافقة - فهي كما يرى الأمدي (٢) - : (مشاركة أحد الشخصين للآخر في صورة قول أو فعل أو ترك أو اعتقاد أو غير ذلك . وسواء كان ذلك من أجل ذلك الآخر ، أو لا من أجله) (٣) .

ومعنى هذا أنه لا يشترط في الموافقة أن يكون فعل أحد الشخصين من أجل فعل الآخر ، لأن الموافقة المقصودة هنا هي ما كانت بمعنى المصادفة والمشاركة . أما الموافقة المقصودة شرعا فهي الاتباع بعينه . وأما المخالفة فقد تكون في القول وقد تكون في الفعل أو الترك ، فالمخالفة في القول : ترك امتثال ما اقتضاه القول من أمر أو نهي ، والمخالفة في الفعل : هي العدول عن ايقاع الفعل مع كونه واجبا ، فأما إذا لم يكن الفعل واجبا فلا يسمى تاركه مخالفا . والمخالفة في الترك هي أن نفعل فعلا على وجه العبادة مما تركه الرسول صلى الله عليه وسلم لعدم مشروعيته (٤) .

(١) المعتمد : أبو الحسين البصري ، تحقيق محمد حميد الله وآخرون ، نشر

المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٣٨٤هـ ، ١ / ٢٧٢ - ٢٧٤ .

(٢) هو أبو الحسن سيف الدين علي بن محمد بن سالم التغلبي الأمدي (٥٥١ - ٥٦٣هـ)

أصولي متكلم من تصانيفه . أحكام الأحكام . ومختصره منتهى السؤل

وأبكار الأفكار في علم الكلام .

انظر . طبقات الشافعية للسبكي ، ٥ / ١٢٩ .

ولسان الميزان لابن حجر ، ٣ / ١٣٤ .

(٣) الأحكام في أصول الأحكام . أبو الحسن الأمدي ، تحقيق الشيخ عبدالرزاق عفيفي

ط ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ ، ١ / ١٧٢ .

(٤) انظر المعتمد ، ١ / ٢٧٥ .

وبعد بيان هذه المصطلحات نريد أن نعرف مدى علاقة الزمان والمكان بالتاسي والمتابعة .

يقول الأمدي :

(.....) فلو وقع فعله في مكان وزمان مخصوص فلا مدخل له في المتابعة والتاسي وسواء تكرر أو لم يتكرر ، إلا أن يدل الدليل على اختصاص العبادة به كاختصاص الحج بعرفات واختصاص الطلوات بأوقاتها ، وصوم رمضان^(١) {

وتأتي أهمية هذا الأمر لأن ارتباط الزمان أو المكان له أهمية في تحديد صحة الفعل من خطئه ، وكون الفعل الواقع في الزمان أو المكان سنة أو بدعة وكون فاعله متبعاً أو مبتدعاً .

فاذا علمنا تخصيص الشارع أزمنة معينة أو أماكن بنوع من العبادة وقعدنا نحن تخصيص هذه الأزمنة والأمكنة بهذا النوع من العبادة كنا متبعين . أما إذا قعدنا زماناً أو مكاناً بنوع من العبادة لم يخصه به الشارع فنكون حينئذ مبتدعين .

يقول ابن تيمية موضحاً أهمية هذا الأمر .

(وذلك لأن المتابعة أن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذي فعل ، فاذا فعل فعلاً على وجه العبادة شرع لنا أن نفعله على وجه العبادة ، وإذا قصد تخصيص مكان أو زمان خصناه بذلك . كما كان يقعد أن يطوف حول الكعبة ، وأن يستلم الحجر الأسود ، وأن يعطي خلف المقام ، وكان يتحرى الصلاة خلف اسطوانة مسجد المدينة ، وقعد المعود على الصفا والمروة ، والدعاء والذكر هناك ، وكذلك عرفة ومزدلفة وغيرهما .

وأما ما فعله بحكم الاتفاق ولم يقصده - مثل أن ينزل بعكان ويعطي فيه لكونه نزله لا قعداً لتخصيصه بالملاة والنزول فيه - فاذا قعدنا تخصيص ذلك المكان بالملاة فيه أو النزول لم نكن متبعين ، بل هذا من البدع التي كان

ينهى عنها عمر بن الخطاب كما ثبت بالاسناد الصحيح من حديث شعبة عن سليمان التيمي عن المعرور بن سويد ، قال : كان عمر بن الخطاب في سفر فطلى الغداة ثم أتى على مكان فجعل الناس يأتونه فيقولون صلى فيه النبي صلى عليه وسلم فقال عمر : " انما هلك أهل الكتاب أنهم اتبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كناش وبيعا . فمن عرضت له الصلاة فليعمل والا فليمض " ^(١)

فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقدم تخصيصه بالصلاة فيه بل صلى فيه لأنه موضع نزوله رأى عمر أن مشاركته في صورة الفعل من غير موافقة له في قصده ليس متابعة ، بل تخصيص ذلك المكان بالصلاة من بدع أهل الكتاب التي هلكوا بها ، ونهى عن التشبه بهم في ذلك ، ففاعل ذلك متشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في الصورة ومتشبه باليهود والنصارى في القصد الذي هو عمل القلب . وهذا هو الأصل ، فان المتابعة في السنة ^(٢) أبلغ من المتابعة في صورة الفعل ^(٣) وعلى ذلك يتبين لنا أن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هو الاقتداء به في أقواله وأفعاله على الوجه الذي جاءت به من وجوب أو ندم مع توفر القصد والنية في متابعتها والتأسي به . ولما كنا في باب الاتباع متعبدين بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم لأنها مناط الاتباع وكانت أفعاله صلى الله عليه وسلم متفاوتة الرتبة وليست على درجة واحدة من الوجوب أو الندب أو الإباحة فهي تشمل كل هذا ، كما أن من أفعاله ما كان ماديا ومنها ما قصد به التشريع الى غير ذلك مما فصلته كتب الأصول .

لما كان الامر كذلك احببت ان اشير اشارة سريعة الى افعاله صلى الله عليه وسلم .

(١) هذا الأثر عزاه ابن تيمية الى سنن سعيد بن منصور في اقتضاء الصراط المستقيم ، ٢ / ٧٤٤ ، وقد صححه ها هنا في القاعدة الجليلة .

(٢) لعل الصواب : النية

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ط ١ ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ . ص ١٠٥ - ١٠٦

﴿ أفعال النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ (١)

تنقسم أفعال النبي صلى الله عليه وسلم عند الأصوليين الى ثلاثة أقسام رئيسية :

أولا : الأفعال الجبلية (العادية) كالقيام والقعود والأكل والشرب وغيرها فهذه الأفعال محمولة على الإباحة بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم والى أمته ، ولا يجب علينا التأسى والاقتراء به في هذا النوع من الأفعال ، وهذا هو مذهب الجمهور .^(٢)

الا إن ورد في السنة ما يرشد الى بعض الهيئات بالنسبة لهذه الأفعال الجبلية فينتقل حكمها من الإباحة الى الوجوب أو الندب على ما هو مقرر عند الفقهاء .

مثال ذلك : الأكل باليمين ، والشرب قاعدا ، والنوم على الجانب الأيمن .

وقال قوم : ان التأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا النوع مندوب . وقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه يتتبع مثل هذا النوع من الأفعال ويحرص على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما صدر عنه من مثل ذلك وان كان قد فعله الرسول صلى الله عليه وسلم عليه وسلم اتفاقا ولم يقصده .

(١) انظر في بيان ذلك

الأحكام في أصول الأحكام للآمدي ، ١ / ١٧٣ ، وما بعدها ،
والعدة في أصول الفقه ، للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء
الحنبلي ، تحقيق د . أحمد بن علي المبارك ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ،
بيروت ، ١٤٠٠ هـ ، ٣ / ٧٣٤ وما بعدها .
وارشاد الفحول ، لمحمد بن علي الشوكاني ، ط ١ ، مطبعة مصطفى الحلبي ،
مصر ، ١٣٥٦ هـ ، ص ٣٥ وما بعدها .

وأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالاتها على الأحكام ، د . محمد
العروسي عبدالقادر ، ط ١ ، دار المجتمع ، جدة ، ١٤٠٤ هـ .

(٢) انظر . ارشاد الفحول ، ص ٣٥ .

وجمهور الصحابة كانوا على خلاف ذلك ، كما قرره شيخ الاسلام
ابن تيمية مبينا أن الأصل في المتابعة هو أن نفعل ما فعله الرسول
صلى الله عليه وسلم قاصدين لفعله على الوجه الذي فعله من اباحة
أو وجوب أو نذب ، ما لم يكن داخلا في باب الخصائص^(١) .

ثانيا : الأفعال التي علم أنها من خصائصه صلى الله عليه وسلم :
قد ذكر الأصوليون في باب خصائصه صلى الله عليه وسلم أمورا من
المباحات والواجبات والمحرمات . بعضها متفق عليه والبعض الآخر
متنازع فيه . فمن المباحات في حقه صلى الله عليه وسلم الزيادة
على أربع نسوة ، والنكاح بلا مهر كنكاح الموهوبة ، ومن الواجبات
وجوب التهجد وقيام الليل ، ومن المحرمات الأكل من الصدقة ،
وأكل ذي الرائحة الكريهة كالثوم والبصل . فهذه الخصائص خاصة
بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيها غيره ولا يقتدى به فيها .

(٢)

قال الشوكاني :

(والحق أنه لا يقتدى به صلى الله عليه وسلم فيما صرح لنا
بأنه خاص به كائنا ما كان إلا بشرح يخصنا ، فاذا قال مثلا : هذا
واجب عليّ مندوب لكم . كان فعلنا لذلك الفعل لكونه أرشدنا إلى
كونه مندوبا لنا لا لكونه واجبا عليه ، وإن قال : هذا مباح لي
أو حلال ولم يزد على ذلك ، لم يكن لنا أن نقول هو مباح لنا أو
حلال لنا وأما لو قال : هذا حرام علي وحدي ولم يقل حلال لكم
فلا بأس بالتنزه عن فعل ذلك الشيء ، أما لو قال : حرام على حلال
لكم فلا يشرع التنزه عن فعل ذلك الشيء . فليس في ترك الحلال ورع)^(٤) .

(١) انظر . القاعدة الجليلة ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٢) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٥ هـ)
مفسر . محدث أصولي فقيه ، مجتهد ، كان من كبار علماء اليمن في عصره ،

انظر . الأعلام ، ٦ / ٢٩٨ ، ومعجم المؤلفين ، ٥٣ / ١١ - ٥٤ .

(٣) يقصد الشوكاني من وراء كلامه هذا الرد على من ذهب إلى أن التماسي بالنبي صلى

الله عليه وسلم في خصائصه مستحب في الواجبات والمحرمات دون المباحات .

(٤) ارشاد الفحول ، ٣٥ - ٣٦ .

ثالثا : الأفعال المجردة عما سبق وانما المقصود بها التشريع ، فهذه نطالب بالتأسي فيها ، الا أن صفتها الشرعية تختلف بحسب الوجوب أو الندب أو الإباحة - وتتنوع هذه الأفعال الى عدة أنواع بحسب القرائن :

أ - فاما أن تكون بيانا لمجمل ورد في القرآن أو تقييدا لمطلق أو تخصيصا لعام أو امثالا لأمر فحكم هذه الأفعال هو حكم ما بينته من وجوب أو ندب أو اباحة ، ويعرف ذلك اما بصريح القول ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم في الصلاة : (صلوا كما رأيتموني أصلى) ، وقوله في الحج : (خذوا عنى مناسككم) ، واما بقرائن الأحوال ، كقيامه صلى الله عليه وسلم بفعل صالح للبيان عند الحاجة الى ذلك ، كقطعه يدالمسارق من الرسخ ، فانه بيان لقوله تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ . ففي هذه الأحوال يكون البيان تابعاً للمبين في الحكم من حيث الوجوب أو الندب أو الإباحة .

ب - فان لم يكن الفعل بيانا بل ورد ابتداءً فاما أن تعرف صفته الشرعية أولاً . فان عرفت صفته من وجوب أو ندب أو اباحة فان أمته في ذلك مثله وهذا هو الرأي الحق كما قال الشوكاني (٤) ودليل ذلك القرآن وفعل الصحابة رضوان الله عليهم . أما القرآن فمثل قوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ وقوله تعالى ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ وقوله تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ (٥) (٦) (٧) (٨)

- (١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان . باب الأذان للمسافراد إذا كانوا جماعة والاقامة ١٦٢ / ١ - ١٦٣
- (٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج . باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا ٩٤٢ / ٢ ، والنسائي . كتاب المناسك . باب الركوب الى الجمار واستغلال المحرم ٢٦٩ / ٥ - ٢٧٠ .
- (٣) سورة المائدة ، آية (٢٨) .
- (٤) انظر . ارشاد الفحول ، ص ٣٦ .
- (٥) سورة الحشر ، آية (٧) .
- (٦) سورة آل عمران ، آية (٣١) .
- (٧) سورة النور ، آية (٦٣) .
- (٨) سورة الأحزاب ، آية (٢١) .

وأما الصحابة فقد كانوا يرجعون الى فعله صلى الله عليه وسلم احتجاجا واقتداءً به في مواضع كثيرة ، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تقبيل الحجر الأسود ، وقال : " لولا أنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك " (١)

فان جهلت صفة الفعل الشرعية فأما أن يظهر قصد القرية أولا فان ظهر فيه قصد القرية ، بأن كان مما يتقرب به الى الله عز وجل كصلاة ركعتين من غير مواظبة عليهما ، فيدل على النذب لأن أقل ما يفيد جانب الرجحان وقال قوم بأنه واجب . (٢)

وان لم يظهر فيه قصد القرية بل كان مجردا مطلقا فانه يدل على النذب ، لأن الفعل وان لم يظهر فيه قصد القرية فلا بد أن يكون لقرية ، وأقل ما يتقرب به المندوب ، وقال قوم بأنه يدل على الاباحة ، وقال آخرون بالتوقف حتى يقوم دليل على الوجوب أو النذب . (٣)

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الحج ، باب ما ذكر في الحجر الأسود ، ٢ / ١٨٣ ،
ومسلم . كتاب الحج ، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف ،
٢ / ٩٢٥ .

(٢) انظر . ارشاد الفحول ، ص ٢٨ .

(٣) انظر . المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

المبحث الثاني

وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
واتباعه

لقد اصطفى الله محمدا صلى الله عليه وسلم بنبوته ورسالته وأنزل عليه الكتاب والحكمة ، وأمره باتباع ما أوحى اليه وتبليغ ما أنزل اليه ، فقام صلوات الله وسلامه عليه بتبليغ الرسالة ، وأداء الأمانة .

وقد شهد الله له بالصدق والعصمة واستمساكه بما أمره به كما شهد له بالهدى في نفسه ، وأنه هاد لمن اتبعه ، فقال سبحانه :

﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا الى الله تصير الأمور ﴾ (١) .

وهذه منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدين فهو المبلغ عن الله دينه ووجيه وهو الأمر باذن هولاه والهادي الى الصراط المستقيم فمن آمن به فبالله آمن ، ومن أطاعه فقد أطاع الله ، ومن قبل عنه فعن الله قبل .

لأجل هذا أمر الله العباد بطاعته وأوجب عليهم اتباع أمره وتصديق خبره ، وحذرهم من مخالفته وعصيانه وجعل طاعته فرضا لازما لكل من آمن بالله ولم يجعل لمؤمن اختيارا في أي أمر بعد قضاء الله ورسوله فيه . وقد استفاضت آيات الكتاب العزيز في بيان أهمية هذا الأمر والتأكيد على وجوبه وفرضيته ، منها قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا رسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ﴾ (٢)

(١) سورة الشورى ، آية (٥٢ - ٥٢) .

(٢) سورة الأنفال ، آية (٢٠) .

وقال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾^(١)

وقال تعالى :

﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾^(٢)

وقال تعالى :

﴿ وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾^(٣)

فبين الله بعد الأمر بطاعة رسوله أن طاعته سبب للهدى والرحمة، كما بين سبحانه أنه لا سعادة للعباد ولا نجات لهم في المعاد إلا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته، فقال تعالى : ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾^(٤) ، وقال : ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ﴾^(٥) .

وقد أوجب الله على المؤمنين رد تضايهم وما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله وجعل سبحانه ذلك من مقتضيات الإيمان ولوازمه ، وأخبرهم أن ذلك خير لهم في العاقبة والمآل ، فقال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾^(٦)

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية :

(..... ولهذا قال تعالى : ﴿ أطيعوا الله ﴾ أي اتبعوا كتابه ،

﴿ وأطيعوا الرسول ﴾ أي خذوا بسنته ، ﴿ وأولي الأمر منكم ﴾ أي فيما أمروكم

-
- (١) سورة محمد ، آية (٣٣) .
 - (٢) سورة آل عمران ، آية (١٣٢) .
 - (٣) سورة النور ، آية (٥٤) .
 - (٤) سورة الأحزاب ، آية (٧١) .
 - (٥) سورة النساء ، آية (١٣) .
 - (٦) سورة النساء ، آية (٥٩) .

به من طاعة الله لا في معصية الله ، فانه لاطاعة لمخلوق في معصية الله .

..... وقوله تعالى : ﴿ فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ﴾ قال مجاهد وغير واحد من السلف : أي الى كتاب الله وسنة رسوله . وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك الى الكتاب والسنة ، كما قال تعالى : ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ﴾ .^(١)

فما حكم به الكتاب والسنة وشهادته بالصحة فهو الحق . وماذا بعد الحق الا الضلال . ولهذا قال تعالى : ﴿ ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع الى الكتاب والسنة ولا يرجع اليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر . وقوله ﴿ ذلك خير ﴾ أي التحاكم الى كتاب الله وسنة رسوله والرجوع اليهما في فعل النزاع خير ﴿ وأحسن تأويلا ﴾ أي وأحسن عاقبة ومالا^(٢) .

وكما أوجب الله على المؤمنين الرد الى كتابه وسنة رسوله فقد أوجب عليهم تحكيم نبيه صلى الله عليه وسلم والتحاكم اليه والتسليم لحكمه وجعل ذلك من مستلزمات الايمان فقال : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾^(٣) .

قال ابن القيم :

(..... أقسم سبحانه بنفسه على نفي الايمان عن العياد حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل ، ولم يكتف في ايمانهم بهذا التحكيم بمجردة حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق من قضائه وحكمه ولم يكتف منهم أيضا بذلك حتى يسلموا تسليما ، وينقادوا انقيادا ، قال تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾^(٤) .

-
- (١) سورة الشورى ، آية (١٠) .
 (٢) تفسير ابن كثير ، ١ / ٥١٨ .
 (٣) سورة النساء ، آية (٦٥) .
 (٤) سورة الأحزاب ، آية (٣٦) .

فأخبر سبحانه أنه ليس لمؤمن أن يختار بعد تضاؤه وقضاء رسوله ، ومن
تخير بعد ذلك فقد ضل ضللاً مبيناً (١) .

وقد أمرنا الله بأن نتبع رسوله صلى الله عليه وسلم ونمثل أمره ونهيه
في كل ما جاءنا به ، فقال : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه
فانتهوا ﴾ (٢) .

قال ابن كثير :

(أي : " مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه فإنه إنما
يأمر بخير ، وإنما ينهى عن شر) (٣) .

وهذا الأمر من الله عام شامل لكل ما جاءنا به الرسول صلى الله عليه
وسلم سواء أكان منصوصاً بعينه في القرآن أم لا ؟ ذلك لأن النصوص الواردة في
هذا الشأن كلها توجب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وإن لم نجد ما قاله
منصوصاً بعينه في القرآن ، ولأن الله لم يفرق بين طاعته سبحانه وبين طاعة
نبيه صلى الله عليه وسلم ، بل جعل طاعة نبيه طاعة له سبحانه فقال : ﴿ من
يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ (٤) .

وغالب الآيات قرنت بين طاعته سبحانه وطاعة نبيه ، ولأن ما سنه الرسول
صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه نص كتاب فأنما سنه بأمر الله ووحيه .

(١) اعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ، تحقيق محمد محي الدين

عبد الحميد ، ط ، دار الفكر ، بيروت ، ١ / ٥١ .

(٢) سورة العشر ، آية (٧) .

(٣) تفسير ابن كثير ، ٤ / ٣٣٦ .

(٤) سورة النساء ، آية (٨٠) .

قال الامام الشافعي:

(وما من رسول الله فيما ليس لله فيه حكم - فيحكم الله سنّه ، وكذلك أخبرنا الله في قوله : ﴿ وانك لتهدى الى صراط مستقيم . صراط الله ﴾ (١) ، وقد سنّ رسول الله مع كتاب الله ، وسنّ فيما ليس فيه بعينه نصّ كتاب . وكل ما سنّ فقد ألزمتنا الله اتباعه ، وجعل في اتباعه طاعته ، وفي العنود عن اتباعها معصيته التي لم يعذر بها خلقا، ولم يجعل له من اتباع سنن رسول الله مخرجا) (٢) .

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة من النبي صلى الله عليه وسلم في الدلالة على وجوب طاعته واتباع سنته منها ما أخرجه البخاري بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (انما مثلي ومثلي ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما ، فقال : يا قوم أني رأيت الجيش بعيني، واني أنا النذير العريان ، فالنجاء ، فأطاعه طائفة من قومه ، فادلجوا ، فانطلقوا على مهلهم ، فنجوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش ، فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ، ومثّل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق) (٤) .

(٥) قال الطيبي : فيما نقله عنه الحافظ بن حجر :

(شبه صلى الله عليه وسلم نفسه بالرجل ، وانذاره بالعذاب القريب بانذار

- (١) سورة الشورى ، آية (٥٢ - ٥٣) .
- (٢) العنود : العتو والظفيان ، أو الميل والانحراف . انظر لسان العبير ٣ / ٣٠٧ وما بعدها .
- (٣) الرسالة . للامام محمد بن ادريس الشافعي . تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط١ ، مطبعة مصطفى الحلبي ، مصر ، ١٣٥٨ هـ ، ص ٨٨ - ٨٩ .
- (٤) البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٩ / ١١٥ ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته ٤ / ١٧٨٨ - ١٧٨٩ .
- (٥) هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي (. . . . - ٧٤٣ هـ) ، مفسر محدث ، كان شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة . من تصانيفه شرح المشكاة وشرح الكشاف للزمخشري ، شرحه شرحا حسنا ، ورد عليه فيما خالف فيه مذهب أهل السنة والجماعة . انظر : الدرر الكامنة لابن حجر ، ٢ / ١٥٦ - ١٥٧ .

الرجل قومه بالجيش المصَّبَّح ، وشبهه من أطاعه من أمته ومن عصاه ، بمن كذب الرجل
(١)
في انذاره ومن صدقه) .

وأخرج البخاري أيضا بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : (كل أمتي يدخلون الجنة الا من آبي ، قالوا : ومن يآبى ؟
قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد آبى) (٢)

والمراد بالآباء هنا هو الامتناع عن التزام سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعصيان أمره . والموصوف بالآباء ان كان كافرا فلا يدخل الجنة أبدا
وان كان مسلما منع من دخولها مع أول داخل الا من شاء الله تعالى . (٣)

وأخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : (من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع
أميري فقد أطاعني ، ومن عصى أميري فقد عصاني) (٤)

فهذا الحديث يؤكد أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة لله
كما قال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ (٥)

وفي الحديث وجوب طاعة ولاة الأمر - وهم العلماء والأمراء - ما لم يأمروا
بمعصية فان أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة .

وأخرج الترمذي وأبو داود وأحمد - واللفظ له - عن العرياض بن سارية
قال : (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم أقبل
علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل
يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ، فقال : أوصيكم

-
- (١) فتح الباري ، ١١ / ٣١٧ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء ، بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ١١٤٩ .
(٣) انظر : فتح الباري ، ١٣ / ٢٥٤ .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب قوله تعالى ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا
الرسول ﴾ ٩ / ٧٧ .
(٥) سورة النساء ، آية (٨٠) .

بتقوى الله والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا ، فانه من يعيش منكم بعدي فسيبى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة (١) .

ففي هذا الحديث يوصي الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه ومن يأتي بعدهم بالتمسك بالسنة ولزومها والاعتصام بها .

قال ابن رجب :

(وهذا اخبار منه صلى الله عليه وسلم بما وقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف في أصول الدين وفروعه ، وفي الأعمال والأقوال والاعتقادات ، وهذا موافق لما روي عنه من افتراق أمته على بضع وسبعين فرقة وأنها كلها في النار الا واحدة وهي ماكان عليه وأصحابه (٢)) ولذلك في هذا الحديث أمر عند الافتراق والاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده ، والسنة هي الطريق المسلوك ، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال ، وهذه هي السنة الكاملة .

..... والخلفاء الراشدون الذين أمرنا بالاعتداء بهم هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم . (٣)

وكما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بطاعته ، حذرهم من الخروج عن سنته ورهبهم من تركها والاعراض عنها فقال فيما أخرجه البخاري عن

(١) المسند ٤ / ١٢٧ ، وأبو داود . في السنة ، باب لزوم السنة ٥ / ١٣ - ١٥ ، والترمذي في العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ، ٤ / ١٤٩ - ١٥٠ وقال : حسن صحيح ، وقال الحافظ أبو نعيم ، هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين . انظر - جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، طبع دار الفكر ، بيروت ، ص ٢٤٣ .

(٢) يشير الى حديث افتراق الأمة ولغظه " ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على شنتين وسبعين ملة ، وان هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين شنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة " ،

أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب شرح السنة ٥ / ٥ - ٦ ، وأحمد في المسند

٤ / ١٠٢ ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ١ / ١٢٨ .

انظر . السلسلة الصحيحة للإباني ، ١ / ٣٥٨ وما بعدها .

(٣) جامع العلوم والحكم ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

أبي هريرة ومسلم عن أنس رضي الله عنهما : (فمن - من - رغبت عن سنتي
(١)
فليس مني) .

وقال فيما أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها : (من عمل عملا ليس
(٢)
عليه أمرنا فهو رد) .

وقد نبه الرسول صلى الله عليه وسلم على من يحاول رد السنة ورفضها
بدعوى الاكتفاء بالقرآن . وذلك فيما أخرجه أحمد وأبو داود - واللفظ له -
والترمذي - وصححه وحسنه - عن أبي رافع عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : (لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به
أو نهيت عنه فيقول : لا ندري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) (٣)

وأخرج أبو داود عن المقدم بن معد يكرب عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال : (ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شعبان
على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلووه
وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ، ولا كل
ذي ناب من السبع ، ولا لقطة معاهد الا أن يستغني عنها صاحبها ، وممن
نزل بقوم فعليهم أن يقرؤه ، فان لم يقرؤه فله أن يعقبهم بمثل قراه) (٤)

قال الخطابي :

" هذا الحديث يحتمل وجهين :

- (١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ، ٢ / ٧ ،
ومسلم ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تآقت اليه نفسه ووجد
مؤنة ٢ / ١٠٢٠ .
- (٢) سبق تخريجه ص ٥٣
- (٣) سنن أبي داود . كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، ١٢ / ٥ ،
والترمذي ، كتاب العلم ، باب ما نهى أن يقال عند حديث النبي صلى الله
عليه وسلم ٤ / ١٤٤ ، والمسند ٦ / ٨ .
- (٤) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، ١٢ - ١٠ / ٥ ،
الحديث اسناده صحيح .
انظر . المشكاة ، ١ / ٥٧ - ٥٨ .

أحدهما : أنه - صلى الله عليه وسلم - أوتي من الوحي الباطن غير المتلو -
مثل ما أوتي من الظاهر المتلو .

والثاني : أن معناه أنه أوتي الكتاب وحيا يتلى ، وأوتي مثله من البيان ،
أي أذن له أن يبين ما في الكتاب فيعم ويخص وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس في
الكتاب له ذكر فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به كالظاهر المتلو من
القرآن^(١) .

وقد تضمن هذا الحديث تحذيرا شديدا من مخالفة السنن التي سنّها رسول
الله صلى الله عليه وسلم استثناء عنها بالقرآن .

يقول الخطابي :

" يحذر بذلك من مخالفة السنة التي سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم
مما ليس له ذكر في القرآن على ما ذهب إليه الخوارج والروافض
فانهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي تضمنت بيانا للكتاب
فتحيروا وظلوا"^(٢) .

ثم اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا التحذير ببيان أحكام
ثبتت شرعيتها بالسنة ولم يرد لها ذكر في القرآن وذلك كتحریم لحم الحمار
الأهلي وكل ذي ناب من السباع. وهذا تأكيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم
على أن السنة - متى ثبتت - حجة بنفسها وان تضمنت أحكاما زائدة على ما في
القرآن .

قال الخطابي :

" في الحديث دليل على أن لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب ، وأنه
مهما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حجة بنفسه .

(١) معالم السنن للخطابي بهامش سنن أبي داود ، ١٠ / ٥ .

(٢) معالم السنن ، ١٠ / ٥ .

فأما ما رواه بعضهم أنه قال : " إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافقه فخذوه " فانه حديث باطل لا أصل له ، وقد حكى زكريا الساجي عن يحيى بن معين أنه قال : " هذا حديث وضعته الزنادقة " (١)

وهذا الحديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ، اذ ظهرت في الأمة طوائف تنكر السنة كلها أو بعضها بدعوى الاستغناء عنها بالقرآن وكان ممن أوائلهم الخوارج والروافض والمعتزلة حيث أشر عن هذه الطوائف انكار لبعض الأحكام التي وردت في السنة .

وقد وجدت منهم عناصر في زمن الامام الشافعي وناظر بعضهم . وتوالى ظهور من يدعو الى مثل هذه الأفكار على مر التاريخ حتى عصرنا الحاضر ، اذ وجدت فرقة تسمت باسم (القرآنيين) ، قد ظهرت في الهند والباكستان ، وسرت عدواها الى مصر وغيرها من البلاد العربية .

وتذهب هذه الفرقة الى انكار السنة وحجبتها بدعوى الاكتفاء بالقرآن ، واخترعوا ديناً جديداً لا مرجع فيه الى السنة . وانما اعتمدوا على القرآن يزعمهم ، مدعين أن القرآن وحده كاف لاقامة الحياة الاسلامية وليست هناك حاجة الى السنة .

وبناء على ذلك تأولوا - بأهوائهم - آيات القرآن بما يجعله شاملاً للأحكام بتفاصيلها ، وراحوا يلتمسون من الشبهات ما يقوي بنيانهم ، ولو أننا استغنيينا عن السنة لا نهدم الدين من أساسه ولا نفتح باب الزندقة على مصراعيه . وليس المقام هنا مقام الرد على هؤلاء الزنادقة ودحض شبهاتهم فقد اكتفيت فيه برد غيري . (٢)

(١) معالم السنن ، ٥ / ١١ .

(٢) انظر . كتاب جماع العلم ضمن كتاب الأم للامام الشافعي ، ط ٢ ، نشير دار المعسوفة ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ ، ٧ / ٢٧١ وما بعدها .

(٣) انظر في عرض آراء هذه الفرقة وشبهاتها والرد عليها ، رسالة : فرقة أهل القرآن بباكستان وموقف الاسلام منها ، رسالة ماجستير مقدمة من الباحث خادم الهسي حسين بخش الى جامعة أم القرى ، ١٤٠١ هـ .

وقد جاءت الآثار عن الصحابة والتابعين بالتحذير منهم ، فأخرج الدارمي بسنده عن عمر رضي الله عنه قال : (انه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنة فان أصحاب السنة أعلم بكتاب الله)^(١) .

وأخرج الأجرى بسنده عن سعيد بن جبير أنه حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فقال رجل : (ان الله قال في كتابه كذا وكذا ، فقال : لا أراك تعارض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الله عز وجل ، رسول الله أعلم بكتاب الله عز وجل سبحانه وتعالى)^(٢) .

وأخرج ابن عبد البر بسنده عن أيوب السختياني أن رجلا قال لمطرف ابن عبد الله بن الشخير : (لاتحدثونا الا بالقرآن . فقال له مطرف : والله ما نريد بالقرآن بدلا ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا)^(٣) يريد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بقي أن أنبه الى أمر مهم جدا تغافل عنه أكثر المسلمين اليوم ألا وهو مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته من الدين ، فأكثر المسلمين اليوم على أن اتباع السنة وتطبيقها أمر اختياري من باب المستحبات لا الواجبات ، والسبب الأكبر في ذلك غلبة الجهل بالسنة ومكانتها من الدين ، وسكوت العلماء والدعاة - الا من رحم الله - عن نشر السنة وتقريبها الى الناس، هذا مع غلبة التعصب المذهبي على أكثرهم مما حال بينهم وبين البحث عن الهدى النبوي الشريف .

(١) سنن الدارمي ، ١ / ٤٩ .

(٢) كتاب الشريعة للامام أبي بكر محمد بن الحسين الأجرى ،

تحقيق محمد حامد الفقي ، نشر

حديث أكاديمي ، فيصل آباد ، باكستان ، ص ٥١ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله للامام أبي عمر

يوسف بن عبد البر . المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، ٢ / ١٩١

لأجل هذا صارت السنة في أكثر البقاع مهجورة وغريبة وأغرب منها من يستمسك بها ويدعو اليها .

هذا مع ادعاء الأكثرية أنهم ما زالوا على الصراط المستقيم ، وأنهم مطيعون متبعون ، وكان الاتباع يثبت بمجرد الدعوى دون أدلة وشواهد حقيقية وواقعية .

ورغم كل هذا فلا تزال طائفة من هذه الأمة في كل بلد قائمة بالسنة داعية اليها صابرة على ما تلاقى من الوان الأذى والصد عن سبيل الله .

كما أخبر بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله :-

(لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي امر الله وهم كذلك)^(١) .

لذا كان لابد من تحديد آثار الاتباع ومظاهره حتى يتبين المتبع حقا من غيره ، وهذا ما سأبينه في المبحث القادم أن شاء الله .

(١) صحيح مسلم . كتاب الامارة . باب قوله صلى الله عليه وسلم :
لاتزال طائفة من امتي ظاهرين ٣ / ١٥٢٢ .

المبحث الثالث

﴿ مظاهر الاتباع ﴾

-x-

اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم أمر واجب وفرض عين على الأمة كلها في عسرها ويسرها ومنشطها ومكرهها . ولا يصير المسلم مسلماً حتى يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع أقواله وأفعاله حسب علمه واستطاعته ، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم مثل محبته من حيث كونه مقترناً بشواهد تؤكده ومظاهر عملية تحدده وبدونها يصير الاتباع دعوى مجردة عن الدليل .

وأود في هذا المبحث أن أبين بعض مظاهر الاتباع التي إذا تحققت تحقق الاتباع وصدقت المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن هذه المظاهر:

أولاً - الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم والتأسي به :

قال تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر
وذكر الله كثيراً ﴾^(١)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :

" هذه الآية أهل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبى صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل . صلوات الله وسلامه عليه دائماً الى يوم الدين .

ولهذا قال تعالى للذين تضرعوا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم

الأحزاب ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله صلى الله عليه وسلم^(٢)

(١) سورة الأحزاب ، آية (٢١) .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٣ / ٤٧٥ .

والتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم هو : أن نفعل مثلما فعل على الوجه الذي فعله ، من وجوب أو ندب ، وأن نترك ما تركه ، أو نهى عنه من محرم أو مكروه ، كما يشمل التأسي به التأدب بآدابه والتخلق بأخلاقه صلى الله عليه وسلم . وعلى ذلك فالتأسي والافتداء شامل لكافة أمور الدين .

فإذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً قلنا مثل قوله ، وإذا فعل فعلاً فعلنا مثله ، وإذا ترك شيئاً تركناه فيما لم يكن خاصاً به ، وإذا عظم شيئاً عظمناه ، وإذا حقر شيئاً حقرناه ، وإذا رضي لنا أمراً رضينا به ، وإذا وقف بنا عند حد وقفنا عنده ولم يكن لنا أن نتقدم عليه أو نتأخر عنه .

وبالجملة فإن الافتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم هو تجريد متابعتة والتلقي عنه وحده فكما أن الرب سبحانه واحد فالرسول الذي أمرنا باتباعه واحد فهما توحيدان : توحيد المرسل وهو الله سبحانه وتعالى ، وتوحيد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وبدون هذا لا يصير المسلم مسلماً . ذلك هو الافتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم . وهو المعيار الذي ينبغي أن توزن به أفعال الناس وأقوالهم وعقائدهم وسائر أمورهم . وطريق التأسي به مبني على العلم بهديه صلى الله عليه وسلم في كافة أمور الدين والعمل به .

وقد وعت دواوين السنة وكتب السير والشمايل كافة أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وسجاياه وأخلاقه وكل ما يتصل به من تريب أو بعيد وحفظت ذلك أتم حفظ .

وقام أولو العلم في كل عصر بتقريب الناس من هذا الهدى النبوي الشريف قياماً بواجبهم في تبليغ هذا الدين ونصحا للمسلمين ، فما تركوا شيئاً ممن هديه صلى الله عليه وسلم إلا وبينوه أتم بيان ، فأبان الله بهم السبيل وقطع بهم المعادير ، فالسعيد من اتبع خطاهم والشقي من تنكب طريقهم وجفاهم .

فعلى كل مسلم يحب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتعلم من سننه وهديه ما يدخل به في عداد المقتدين المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم .

قال ابن القيم :

" وإذا كانت سعادة العيد في الدارين معلقة يهدي النبي صلى الله عليه وسلم فيجب على كل من نصح نفسه ، وأحب نجاتها وسعادتها ، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به من الجاهلين به ، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه ، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ^(١) ."

والسبيل العملي للتأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم هو تطبيق السنة في حياة الفرد والجماعة . وهذا التطبيق يشمل كافة جوانب الدين من اعتقادات وعبادات ومعاملات وأخلاق وآداب ونظم اجتماعية وإدارية وسياسية شرعية. ومما يعين على تطبيق السنة ، احيائها بنشر العلم الشرعي الموروث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا واجب على كل من علم من الدين شيئا أن يبلغه ، ويتعين هـذا ويتأكد وجوبه في حق أهل العلم وحملة الشريعة ، أخذاً من قوله تعالى :
 ﴿ واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ^(٢)
 فنبدوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشتررون ﴾ .

فهذه الآية وان نزلت في حق أهل الكتاب توبيخا لهم لكتمانهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به مع علمهم بأنه هو النبي الخاتم والمبشر به من قبل أنبيائهم ، الا أن فيها تحذيراً لعلماء هذه الأمة ممن أن يسلكوا مسلك أهل الكتاب في كتمان العلم فيصيبهم ما أصابهم . فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه ^(٣)
 شيئا .

(١) زاد المعاد من هدي خير العباد لابن القيم ، تحقيق شعيب ومبدالقادر الأرنؤوط

ط ٨ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، ١ / ٦٩ - ٧٠ .

(٢) سورة آل عمران ، آية (١٨٧) .

(٣) انظر . تفسير ابن كثير ، ١ / ٤٣٧ .

كما ورد في السنة الحث على تبليغ العلم في أحاديث كثيرة منها ما أخرجه البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)^(١) .

وأخرج الترمذي بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع)^(٢) .

وكتب عمر بن عبدالعزيز الى أبي بكر بن حزم : " انظر ما كان ممن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه ، فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا تقبل الا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ولتفشوا العلم ، ولتجلسوا حتى يُعَلِّمَ من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا"^(٣) .

والأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة وكلها تؤكد وجوب تبليغ السنة ونشرها في كل عصر ومصر . ويتحتم هذا الأمر في حالة الجهل بالسنة أو الاعراض عنها وهجرانها كما هو الحال في هذا الزمان الذي عم فيه الهجران للسنة وتعاليم الدين كافة بلاد المسلمين الا قليلا ممن هداهم الله ووفقهم للتمسك بالسنة والصبر عليها .

والسبب في ذلك قلة الاهتمام بالعلم الشرعي ، وتقصير أهل العمل في القيام بواجبهم في تبليغ هذا الدين على الوجه المطلوب ، هذا مع غلبة التعصب

(١) البخاري . كتاب أحاديث الأنبياء . باب ما ذكر عن بني اسرائيل ٢٠٧/٤ .

(٢) سنن الترمذي . كتاب العلم ، باب في الحث على تبليغ السماع ١٤٢/٤ ، وأخرجه أحمد في مسنده ٤٢٧ / ١ ، وابن ماجه في المقدمة ، باب ممن بلغ علما ٨٥ / ١ .

والحديث متواترا رواه أربعة وعشرون صحابيا .
انظر . دراسة حديث " نضر الله امرءاً سمع مقالتي " رواية ودراية .
تأليف عبدالمحسن العباد ، ط ١ ، المدينة المنورة ، ١٤٠١هـ .

(٣) هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . تابعي فقيه ، استعمله عمر بن عبدالعزيز على امرة المدينة وقضاها ، ولهذا كتب اليه .
انظر فتح الباري ، ١ / ١٩٤ .

(٤) أورده البخاري في كتاب العلم . باب كيف يقبض العلم ، ١ / ٣٥ .

المذهبي والتقليد الأعمى على أكثر الناس ، مما جعل بين المسلمين وبين هدى نبيهم جفاء ١٦ وبعدا - إلا من رحم الله . فيجب على كل مسلم يحب الله ورسوله أن يقوم بواجبه في تبليغ هذا الدين حسب علمه واستطاعته ، صابرا في سبيل ذلك على ما يلاقى ، محتسبا في جنب الله كل أذى . متأسيا في ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الذين وقفوا حياتهم لتبليغ هذا الدين ، باذلين في سبيل ذلك النفس والنفيس . فرضي الله عنهم وعمن سار على نهجهم الى يوم الدين . وهذا هو مظهر الاتباع والحب الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال البيهقي :

" وإذا لزم اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سنّ ، وكان لزومه فرضا باقيا ، ولا سبيل الى اتباع سنته الا بعد معرفتها ، ولا سبيل لنا الى معرفتها الا بقبول خير الصادق عنه لزم قبوله ليتمكننا متابعتة ، ولذلك أمر بتعليمها والدعاء اليها ، وبالله التوفيق " (١)

ثانيا - تحكيم السنة والتحاكم اليها :

ان مما يؤكد صدق الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحكيم سنته والتحاكم اليها وجعلها الميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال والأحكام فما وافقها قبل وما خالفها رد وان قاله من قاله . وقد وردت آيات كثيرة تؤكد هذا الأمر . منها قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ (٢)

فأمر الله المؤمنين برد قضاياهم وما تنازعوا فيه الى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأعلمهم أن ذلك خير لهم في الدنيا وأحسن عاقبة

(١) الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد للامام أبي بكر البيهقي ، تصحيح كمال

يوسف الحوت ، ط ١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٥٤ .

(٢) سورة النساء ، آية (٥٩) .

في الأخرى ، وفي الأمر بالرد الى كتاب الله وسنة رسوله دلالة صريحة على أنهما كافيان لفصل النزاع وتقديم الحل لكل مشكلة تقع بين المسلمين. وان ايمان المؤمن ليحمله على الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله آنأ بعد آن لمعرفة حكم الشرع في كل ما يجد له من أمور الحياة .

وفائدة هذا الأمر عظيمة جدا ، اذ يظل المسلم على جادة الاتباع لايحيد عن الصراط المستقيم طالما أحسن الرجوع الى الكتاب والسنة ، وقد أمر الله بتحكيم نبيه - في حياته وسنته بعد مماته - في كافة أنواع النزاع للفصل فيها فقال تعالى : ﴿ فلا وريك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ (١) .

فأقسم سبحانه بذاته على أنه لا يثبت للمؤمنين الايمان حتى يحكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في موارد النزاع في كافة الأمور وأن هذا التحكيم غير كاف حتى يجتمع اليه الرضى بحكمه والتسليم لأمره مع انشراح صدورهم وطيب نفوسهم بقضائه وحكمه .

وأهل ذلك أن المسلم متبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كافة أحواله فاذا عرض له أمر أو تنازع مع أخيه المسلم في أي شأن من شؤون الدين أو الدنيا فزع عند ذلك الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يجد فيها جوابا شافيا كما كان حال الصحابة معه صلى الله عليه وسلم في حياته ، يفرعون اليه يسألونه في كافة أمورهم ، ويحتكمون اليه في كل شئونهم ، فاذا حكم بشيء قبلوا حكمه وسلموا به عن طيب نفس ورضى .

وبعد موته عليه الصلاة والسلام كان الصحابة اذا اختلفوا في أمر أو خفي عليهم حكمه تحاكموا الى من يعلم بالسنة فيما اختلفوا فيه ، فاذا ثبتت عندهم السنة لم يتجاوزوها الى غيرها .

فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : " أذكر الله امرأ سمع من

(١) سورة النساء ، آية (٦٥) .

النبي في الجنين شيئاً ؟ فقام حمل بن مالك بن النابغة ، فقال : كنت بين جاريتين لي ، يعني ضربتين ، فضربت احدهما الأخرى بمسطح ، فألقت جنيناً ميتاً ، ففضي فيه رسول الله بفرقة ^(٢) . فقال عمر : لو لم أسمع فيسسه لقضينا بغيره ^(٣) .

وأخرج الشافعي بسنده عن سعيد بن المسيب : (أن عمر بن الخطاب كان يقول : الدية للعاقلة ، ولا تترك المرأة من دية زوجها شيئاً . حتى أخبره الضحاك بن سفيان أن رسول الله كتب إليه : أن يورث امرأة أشيم الضبابي ^(٤) من دينته . فرجع إليه عمر ^(٥)) .

وقد جمع الامام الشافعي جملة من الآثار عن الصحابة ومن بعدهم تؤكد أخذهم بالسنة متى ثبتت وأطرح كل رأي يخالفها وان كان قد جرى عليه العمل ^(٦) .

ولنا في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلف هذه الأمة أعظم

-
- (١) المسطح : هو عود من أعواد الخبء والفسطاط " الخيمة " ، انظر . النهاية في غريب الحديث . لابن الاثير ، تحقيق محمود الطناحي مطبعة عيسى الحلبي ، مصر ، ٤ / ٢٣٠ .
- (٢) الفرة : العبد أو الأمة ، والفرقة هي ما بلغ ثمنه نصف عشر الدية من العبيد أو الاماء ، قال ابن الاثير : " وانما تجب الفرة في الجنين اذا سقط ميتاً ، فان سقط حياً ثم مات ففيه الدية كاملة . انظر . النهاية في غريب الحديث ، ٢ / ٢٥٢ .
- (٣) أخرجه الشافعي في الرسالة ٤٢٧ . وأصل الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الديات . باب جنين المرأة وأن العقل على الوالد ، ٩ / ١٤ - ١٥ ، وانظر فتح الباري ، ١٢ / ٢٦٤ - ٢٥٢ .
- (٤) أشيم الضبابي صحابي قتل خطأ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، انظر . الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، طبع دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١ / ٦٧ .
- (٥) رواه الشافعي في الرسالة ٤٢٦ ، وأحمد في المسند ، ٣ / ٤٥٢ ، والترمذي في أبواب الفرائض ، باب ما جاء في توريث المرأة من دية زوجها وقال حديث حسن صحيح ، ٣ / ٢٨٨ ، والحديث صححه الهيتمي من رواية الطبراني . انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي ، ط ٣ ، ٤ / ٢٣٠ - ٢٣٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- (٦) انظر الرسالة ، ص ٤٢٢ ، وما بعدها .

الأسوة في التمسك بالسنة وتحكيمها في كافة أمورنا . وتحكيم السنة والتحاكم اليها هو الفارق بين المسلم الحريص على اتباع السنة وبين من يتبع هـواه بغير هدى من الله . فمن تحاكم الى غير الوحي فقد تحاكم الى الطاغوت وذلك كحال من يتحاكم الى أدلة العقول المبنية على المنطق اليوناني وهذا هو شأن الفلاسفة وأهل الكلام ، ومثل ذلك من يتحاكم الى الذوق والوجد أو مشايخ الطريق وهذا هو حال الصوفية .

أو كالشيعة الذين يتحاكمون الى الأئمة المعصومين بزعمهم ويلتجئون بأولئك من يتحاكمون الى القوانين الوضعية ، أو أى مبدأ من المبادئ الهدامة أو عرف من الأعراف البشرية السائدة أو غير ذلك مما تحتكم اليه الجاهلية قديما وحديثا . معرضين بذلك عن الحكم بكتاب الله وسنة رسوله والتحاكم اليهما .

وهذا الأعراض والصدود هو حال المنافقين في كل زمان ومكان وان زعموا أنهم يريدون بذلك احسانا وتوفيقا ، أو أنهم يعملون لمصلحة الأمة وقد نبه الله على صنيعهم وآيان عن سيء حالهم فقال تعالى : ﴿ ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ، واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا . فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا ، أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا ^(١) .

قال ابن القيم :

(.....) ان من تحاكم أو حاكم الى غير ما جاء به الرسول فقد حكّم الطاغوت وتحاكم اليه ، والطاغوت : كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون اليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه

(١) سورة النساء ، آيات من (٦٠ - ٦٣) .

فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ، فهذه طواغيت العالم اذا تأملتها وتأملت
أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا عن عبادة الله الى عبادة الطاغوت
وعن التحاكم الى الله والى الرسول الى التحاكم الى الطاغوت ، وعن طاعته
ومتابعة رسوله الى طاعة الطاغوت ومتابعته (١) .

ثالثا - الرضى يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه :

من مظاهر طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم الرضى بحكمه وشرعه وهذا
الأمر تابع للرضا بالله ربا والها ، فمن رضى بالله ربا ، رضى بالرسول
الذي أرسله والدين الذي أنزله . فمن حصل له ذلك فهو السعيد حقا .

أخرج مسلم بسنده عن العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه أنه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا ،
وبالاسلام ديننا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا) (٢) .

فاذا رضى المسلم بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا لم يلتفت الى غير
هديه ، ولم يعول في سلوكه على غير سنته وحكمته وحاكم اليه وقبل حكمه وانقاد
له وتابعه واتبعه ، ورضي بكل ما جاء به من عند ربه ، فسكن قلبه لذلك
واطمأنت نفسه وانشرح صدره ، ورأى نعمة الله عليه وعلى الخلق - بهذا النبي
صلى الله عليه وسلم وبدينه - أعظم من أي نعمة . ففرح بفضل ربه عليه
ورحمته به أن جعله من أتباع خير المرسلين وحزبه المفلحين .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في
الصدور وهدي ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو
خير مما يجمعون ﴾ (٣) .

(١) اعلام الموقعين ، ١ / ٥٠ .

(٢) صحيح مسلم . كتاب الايمان . باب الدليل على أن من رضى بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فهو مؤمن وان ارتكب المعاصي الكبار ، ١ / ٦٢ .

(٣) سورة يونس ، آية (٥٧ - ٥٨) .

والرضى كلمة تجمع القبول والانقياد ، فلا يكون الرضى الا حيث يكون التسليم المطلق والانقياد ظاهرا وباطنا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه . وكل التفات أو عدول عن الوحي الى غيره أو اعتراض عليه فهو مناقض للرضى ودليل على النفاق ومؤد الى الكفر والمروق من الدين .

وقد وقعت طوائف من الأمة فيما يعارض الرضى ويناقضه من الاعتراض على

ما جاء به الرسول من ربه، واتخذ ذلك أشكالا متعددة :

- فمنهم من اعترض على توحيد الألوهية بجنس ما اعترض به المشركون الأولون من محبة الأنبياء والمالحين والتقرب بهم الى الله زلفى . فلم يرضوا بالتوحيد الخالص حتى شابوه ودنسوه بدنس الشرك .

- ومنهم من اعترض على أسماء الله وصفاته بالشبه الياظلة ، والظنون الحائرة فنقوا ما أثبتته الله لنفسه وأثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم، وأثبتوا ما نفاه الله ورسوله عنه فتأهوا في الضلال والعمى . ولو أنهم رضوا بما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم ووقفوا عنده لاهتدوا من الضلالة ولأبصروا بعد العمى ولسعدوا بالهدى .

- ومنهم المعترض على الشرع : اما بالأراء والأقيسة الفاسدة المتضمنة تحليل ما حرمه الله ، وتحريم ما أحله ، واسقاط ما أوجبه ، وإيجاب ما أسقطه . واما بالاعتراض على حقائق الايمان والشرع بالدوق والوجد والكشف ومشايخ الطريق . فحادوا لأجل ذلك عن الصراط المستقيم ، وعولوا على أهوائهم وما ألقته اليهم شياطينهم من زخارف القول . فهم على هذا عاكفون ، وعن طريق الحق والهدى معرضون ومادون .

- ومنهم من اعترض على الشريعة بالسياسات الجائرة والقوانين الوضعية الخاسرة وألزموا الناس بها كأنها شرع منزل ، وتركوا شرع رب العالمين وعطلوا حدوده وأهملوا شعائره ، وانتهكوا محارمه . زاعمين مع ذلك أنهم يريدون احسانا وتوفيقا فوقعوا في الضلال والحيرة وكساهم الله ثوب الصفار والذلة وأذاقهم الله لياس الجوع والخوف والقلّة . ولو رضوا بشرع رب العالمين لحصل لهم العز والتمكين .

- ومنهم من اعترض على أفعال الله وقضائه وقدره وحكمته بأنواع من الشبه الابليسية التي تظعن في عدل الله وحكمته وعلمه وهذا اعتراض الجهال

والسبب الذي أخرجهم من الرضا الى الاعتراض هو تلقيهم واستمدادهم من غير الوحي والتزامهم أصولا تخالف شرع رب العالمين ولانجاة من هذا الداء - أعني داء الاعتراض - الا بالتليم المطلق للوحي والاقبال عليه مع اليقين التام بأن فيه الهداية والشفاء.^(١)

رابعا - الوقوف عند حدود الشريعة :

هذا الأمر ثمرة للرضا ، فمن رضي بحكم رسول الله ودينه وشرعه وقف عند حدود شريعته ولم يتجاوزها الى غيرها ، ولا يكون ذلك الا اذا أيقن المسلم أن الدين قد كمل فليس بحاجة الى زيادة ولا نقصان ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ البلاغ المبين فلم يترك من أمر الدين شيئا الا ويلغه . فاذا علم المسلم ذلك وأيقن به وقف عند حدود الشريعة ولم يتعدّها والحدود التي أمرنا بالوقوف عندها وعدم تعديها ؛ هي جملة ما أذن الله في فعله سواء كان على سبيل الوجوب أو الندب أو الإباحة ، واعتداؤها: هو تجاوز ذلك الذي ارتكاب ما نهى عنه .^(٢)

وتعدي الحدود يشمل الافراط والتفريط ، لكن أكثر ما يطلق على الافراط ومجاوزة الحد ، قال تعالى : ﴿ تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾^(٤) ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾^(٥) .

وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، بأنه " سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء " .^(٦)

- (١) انظر . مدارج السالكين ، ٢ / ٦٩ - ٧١ .
- (٢) انظر . جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ، ص ٢٤٦ .
- (٣) سورة البقرة ، آية (٢٢٩) .
- (٤) سورة الأعراف ، آية (٥٥) .
- (٥) سورة المائدة ، آية (٨٧) .
- (٦) أخرجه أحمد في مسنده من حديث عبدالله بن مغفل ، ٤ / ٨٦ ، ٨٧ ، والحاكم في المستدرک ، ١ / ٥٤٠ ، وصححه ووافقه الذهبي .

أى أنهم يتجاوزون حدود الطهور بالزيادة فيه والدعاء بالاخلاق بشروطه ،
 فمن تجاوز حدود الشريعة فقد خرج عنها الى غيرها مما زينه له الشيطان كما
 قال بعض السلف : " ما أمر الله بأمر الا وللشيطان فيه نزغتان : اما الى تفريط ،
 واما الى مجاوزة وهي الافراط - ولايبالى بأيهما ظفر زيادة او نقصان " (١) ولاجل
 هذا أمرنا الله بلزوم الصراط المستقيم ، وأن نسأله كل صلاة ان يهدينا اليه .
 فى قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطى
 مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (٣) .

ونهى الله عن تعد الحدود ومجاوزتها ، والتقدم بين يدي الله ورسوله
 حتى لايزاد فى دين الله بالاهواء ، وعدم الوقوف عند حدود الشريعة أنتج فـسـسـى
 الامة صنوفا من البدع وضروبا من الغلو وألوانا وأنواعا من الخروج على الدين
 ماكان لها أن توجد لولا مجاوزة هذه الحدود . فأصاب الدين وأهله من المبتدعة
 والفلاة شر كثير .

نخلص من هذا الى أن الاتباع مرتبط بمظاهر عملية من حققها فقد حقق
 الاتباع ، وصدقت محبته لله ورسوله ومن أخل بها فقد أخل بالاتباع وكان ذلك
 دليلا على نقصان المحبة عنده .

(١) انظر . مدارج السالكين ١٠٨/٢ .
 (٢) سورة الفاتحة آية (٥) .
 (٣) سورة الانعام آية (١٥٣) .

الباب الثاني

المحبة ابتداءً
وفيه فصلان

الفصل الأول :

الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم

الفصل الثاني :

الإبتهاع

الفصل الأول

﴿ الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم ﴾

—x—

وفيه ستة مباحث

- ✦ المبحث الأول (مفهوم الغلو) .
- ✦ المبحث الثاني (الغلو في الزل مناليهود والنصارى)
- ✦ المبحث الثالث (الغلو في ذات الرسول صلى الله عليه وسلم عند الشيعة) .
- ✦ المبحث الرابع (الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم عند الصوفية) . وفيه مطلبان : -
- المطلب الأول : الغلو عند الحلاج
- المطلب الثاني : الغلو عن ابي عربي
- ✦ المبحث الخامس (آثار الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم على الاعتقاد والأعمال) .
- ✦ المبحث السادس (حكم الاسلام في الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم) .

المبحث الأول

﴿ مفهوم الغلو ﴾

-x-

أصل الغلو في اللغة يطلق على مجاوزة الشيء حده الذي وضع له ، سواء كان هذا الحد شرعياً أو عرفياً .

قال الراغب :

(الغلو تجاوز الحد ، يقال ذلك إذا كان في السعر غلاء ، وإذا كان في القدر والمنزلة غُلو ، وفي السهم غُلو ، وأفعالها جميعاً غلا يغلو .

قال تعالى : ﴿ ... لا تغلوا في دينكم ﴾^(١) والغلى والغليان يقال في القدر إذا طفحت ، ومنه استعير قوله : ﴿ طعام الأثيم كالمهل يغلى في البيطون . كغلى الحميم ﴾^(٢) ، وبه شبه غليان الغضب والحرب ، وتغالي النبوت يصح أن يكون من الغلى ، وأن يكون من الغلو . والغُلواء : تجاوز الحد في الجماع ، وبه شبه غلواء الشباب^(٣) .

وجاء في اللسان :

(... وغلا في الدين والأمر يغلو غلوا : جاوز حده ، وفي التنزيل ﴿ ... لا تغلوا في دينكم ﴾^(٤) .

وفي الحديث : (اياكم والغلو في الدين) ، أي التشدد فيه ومجاوزة

الحد .

-
- (١) سورة النساء ، آية (١٧١) ، والمائدة ، آية (٧٧) .
 - (٢) سورة الدخان ، آية (٤٤ - ٤٦) .
 - (٣) المفردات ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥ ، مادة : غلا .
 - (٤) سورة النساء ، آية (١٧١) ، والمائدة ، آية (٧٧) .
 - (٥) أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك ، باب قدر حصي الرمي ٢/٠٠٨ ؛ وسيأتى تخريجه .

... ومنه الحديث : وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه (١)
 انما قال ذلك لأن من آدابه وأخلاقه التي أمر بها القصد في الأمور ، وخير
 الأمور أوسطها (٢) .

وعلى ذلك فالمادة تدور في اللغة حول مجاوزة الحد أي كان نوعه
 فاذا نظرنا الى معنى الغلو في الشرع فنجد موافقا للمعنى اللغوي إذ يطلق
 الغلو في الشرع على مجاوزة حدود الشريعة عملا أو اعتقادا .

وقد وردت مادة الغلو والنهي عنه مرتين في القرآن الكريم ، قال تعالى :
 يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق انما المسيح
 عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ... الآية (٣) ،
 وقال تعالى : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا
 أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (٤) .

قال القرطبي في تفسير الآية الأولى :

" قوله تعالى : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم * نهى عن الغلو ،
 والغلو التجاوز في الحد ، ومنه : غلا السمير يغلو غلاء ، وغلا الرجل في الأمر
 غلوا ، وغلا بالجارية لحمها وعظمها اذا أسرعت الشباب فجاوزت لداها ، ويعني
 بذلك فيما ذكره المفسرون غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم ، وغلو
 النصارى فيه حتى جعلوه ربا ، فالانفراط والتقصير كله سيئة وكفر " (٥)

- (١) أخرجه ابوداؤد في كتاب الأدب . باب في تنزيل الناس منازلهم ، ١٧٤/٥ ،
 والحديث حسن . انظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني ، ط ٣ ، المكتتب
 الاسلامي ، بيروت ، ١٤٦٠ هـ . ٦٦/١ .
 (٢) لسان العرب ، ١٣٢/١٥ ، مادة غلا ،
 وانظر . معجم مقاييس اللغة ٣٨٧/٤ - ٣٨٨ .
 (٣) سورة النساء ، آية (١٧١) .
 (٤) سورة المائدة ، آية (٧٧) .
 (٥) لداها : أي أترابها ومثيلاتها .
 (٦) الجامع لأحكام القرآن لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي
 ط ٢ - دار الكتب المصرية ، ١٣٥٢ هـ ، ٢١/٦ .

كما ورد لفظ الغلو والنهي عنه في السنة موافقا معناه لما في القرآن
 ففي الحديث الذي أخرجه ابن ماجه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال:
 قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة وهو على ناقته : " القط
 لي حصي " فلقطت له سبع حصيات هن حصي الخذف . فجعل يفضهن في كفه ويقول
 " أمثال هؤلاء فارموا " ثم قال : " يا أيها الناس ! اياكم والغلو في
 الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين " ^(١) .

قال ابن تيمية في شرح هذا الحديث :

() وقوله : " اياكم والغلو في الدين " مام في جميع أنواع الغلو في
 الاعتقادات والأعمال ، والغلو : مجاوزة الحد ، بأن يزداد في حمد الشيء
 أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك ^(٢) .

فهذه النصوص بينت أن الغلو يراد به شرعا مجاوزة الحد بالزيادة على
 المشروع قدرا ووصفا ، اعتقادا وعملا . وقد وردت في الشرع ألفاظ تقارب الغلو
 في معناه . مثل التشدد والتشديد ، والتعمق والتنطع والتكلف ، وكلها
 مرادفة للغلو وتجتمع معه في كونها مجاوزة الحد بالزيادة على المشروع ، كما
 يلاحظ في الغلو أنه تجاوز من مشروع الى غير مشروع فمثلا تعظيم الرسول
 صلى الله عليه وسلم والاشادة بذكره ، هذا أمر مشروع طالما كان ذلك في حدود
 بشريته . فاذا تجاوزنا بتعظيمه حدود بشريته صار هذا غلوا .

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب قدر الحصى ، ١٠٠٨/ ٢ ، ورواه النسائي
 في السنن . كتاب مناسك الحج ، باب التقاط الحصى ، ٢٦٨ / ٥ ،
 والامام أحمد في المسند ، ٢١٥/ ١ ، ٣٤٢ ،
 والحديث صحح اسناده شيخ الاسلام ابن تيمية وقال : هذا اسناد صحيح على
 شرط مسلم .

انظر . اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ، تحقيق . ناصر
 عبدالكريم العقل . ط ١ ، مطابع العبيكان ، الرياض ، ١٤٠٤هـ ، ٢٨٨/١ - ٢٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ١ / ٢٨٩ - ٢٩٠ .

أنواع الغلو

-x-

تتعدد أشكال الغلو وصوره ، فمنه ما يكون في الاعتقاد ومنه ما يكون في العمل :

أ - الغلو في الاعتقاد :

ويتمثل في مجاوزة حدود الاعتقاد الصحيح الى غيره من ضروب الانحراف ، والمتأمل في آراء الفرق الكلامية التي فارقت أهل السنة والجماعة بنوع اعتقاد يجدها قد غلت في ناحية من نواحي الاعتقاد حتى خرجت عن الصراط المستقيم . ففي صفات الله تعالى نجد النفاة والمؤولة غلوا في تنزيه الله حتى عطلوه عن صفات الكمال ووصفوه بصفات المعدوم ، وفي المقابل نرى المجسمة والمشبهة غلوا في الاثبات حتى وقعوا في التجسيم والتشبيه ، والحق وسط بين الفريقين تنزيه بلا تعطيل ، واثبات بلا تجسيم ولا تمثيل .

وعلى هذا النهج سارت طوائف المتكلمين ، فطائفة تثبت شيئا وتغالي فيه وأخرى تثبت نقيضه وتغلو فيه .

- ومن الغلو في الاعتقاد غلو النصارى في عيسى حتى أخرجوه من حيز البشرية الى مرتبة الألوهية .

- ومنه غلو الشيعة في علي رضي الله عنه ، فطائفة ادعت أنه الله ، وطوائف على أنه معصوم ^(١) .

- ومنه غلو بعض المتصوفة في الرسول صلى الله عليه وسلم حيث ادعوا أنه مخلوق من نور وأن الكون خلق من نوره ، وأنه يتصرف في الأكوان الى غير ذلك من العقائد الباطلة .

- ومنه الغلو في الصالحين ومشايخ الصوفية ، يادعاء العصمة لهم ، واتباعهم في كل ما يقولونه بلا دليل ، والاستغاثة بهم وندائهم فيما لا يقدر عليه

(١) انظر امتقادات فرق الشيعة في : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري . تحقيق . هلموت ريتز ، ط ٣ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ص ٥ - ٨٥ .
والفرق بين الفرق . عبدالقاهر بن طاهر البغدادي . تحقيق . محمد محيي الدين عبدالحميد ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ص ٢٩ - ٧٢ .

إلا الله ، الى غير ذلك من العقائد الشركية .

ب- الغلو في العمل :

ويقصد به ما كان واقعا في دائرة الأحكام الشرعية الخمسة وهي الوجوب ، والندب ، والكراهة والتحريم ، والاباحة . فمن جعل المندوب بمنزلة الواجب ، أو المكروه بمنزلة المحرم ، أو جعل المباح مكروها أو محرما فقد غلا في الدين وجانب الصراط المستقيم ، فمن أوجب على نفسه قيام الليل كله - مثلا - فقد غلا ، لأنه جعل المندوب بمنزلة الواجب ، ولأنه جاوز حدود السنة في هذا الجانب . ومثل هذا من حرم ما أحل الله من النكاح وأكل الطيبات زهدا وتعبدًا ، ويدخل في هذا الباب كيل من زاد على المشروع قدرا أو وصفا ، وذلك كالزيادة على الثلاث في الوضوء مثلا .

يقول ابن تيمية :

() والتشديد تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب ولا مستحب بمنزلة الواجب والمستحب في العبادات ، وتارة باتخاذ ما ليس بمحرم ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه في الطيبات (١) .

وقال ابن القيم :

(والغلو نوعان :

- نوع يخرج من كونه مطيعا ، كمن زاد في الصلاة ركعة ، أو صام الدهر مع أيام النهي ، أو رمى الجمرات بالصخرات الكبار التي يرمي بها في المنجنيق ، أو سعى بين الصفا والمروة عشرا ، أو نحو ذلك عمدا .

- وغلو يخاف منه الانقطاع والاستحسان كقيام الليل كله وسرد الصيام الدهر أجمع بدون صوم أيام النهي ، والجور على النفوس في العبادات والأولاد ، الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : (ان هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا ويسروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) (٢) .

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ١ / ٢٨٣ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الايمان ، باب الدين يسر ، ١ / ١٦ .

وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (هلك المتنظعون
قالها ثلاثا ^(١) وهم المتعمقون المتشددون) ^(٢)

(١) صحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب هلك المتنظعون ، ٤ / ٢٠٥٥ .
(٢) مدارج السالكين ، ٢ / ٤٩٦ - ٤٩٧ .

أسباب الغلو



يمثل الغلو ظاهرة انحراف خطيرة في تاريخ الأديان السماوية. إذ يعد من أكبر أسباب الانحراف بالدين عن الصراط المستقيم. ويبدأ هذا الانحراف يسيراً ثم يتعظم على مر الأيام حتى يصبح كأنه الأصل .

وها هي النصرانية ! كيف كانت على عهد المسيح عليه السلام عقيدة خالصة من شوائب الشرك وديننا قويمًا ، ثم أصابها الغلو فانحرف بها عن التوحيد الخالص إلى الشرك المحض ومن دين سماوي إلى دين وضعي ممزوج بوشنيات الهند وترهات اليونان وأباطيل اليهود .

وهذا الغلو لا ينشأ فجأة من فراغ ، ولكنه مرتبط بعدة عوامل وأسباب تؤدي إليه ، وتظهره . وهذه الأسباب كثيرة ومتنوعة لكننا نريد أن نقف على أهم الأسباب التي أدت إلى وجود الغلو لدى طوائف من المسلمين . وأول هذه الأسباب :

- ١ - الجهل بالدين ويتمثل هذا في جوانب متعددة منها :
 - القصور في فهم مقاصد الشريعة من التيسير ورفع الحرج عن المكلفين .
 - ويتجلى هذا في صنيع المتشددين على أنفسهم في العبادات .
 - ومنها الجهل بحدود الشريعة التي يجب على المكلف أن يقف عندها ولا يتعداها ويتمثل هذا في كل أنواع الغلو المجاوزة لحدود الشريعة وذلك كتحریم المباح أو إيجاب ما ليس بواجب ويدخل فيه الخروج ببعض الأنبياء أو الصالحين عن حد البشرية بوصفهم بصفات الألوهية .
 - ومنها القصور في فهم نصوص الشريعة ، ويتجلى هذا الأمر في النظرة الجزئية القاصرة لنصوص الشريعة .
- فمثلاً . وردت النصوص الشرعية في الوعد والوعيد ، فنصوص الوعد تبث في قلوب الخائفين والمذنبين الرجاء والأمل في التوبة والوعد بالمغفرة والرحمة لكل من أقبل على الله تائباً من ذنبه .

وفي العقاب نرى نصوص الوعيد تتوعد الكفار والمشركين وأهل الكبائر الممصرين على ذنوبهم باليم العذاب وشديد العقاب اذا لم يتوبوا ويؤمنوا . فان تابوا وامنوا وعملوا الصالحات تاب الله عليهم .

فهذه هي النظرة المتكاملة في باب الوعد والوعيد ولكن تصور الفهم يأتي من النظرة الجزئية الى أحد الجانبين واهمال الجانب الآخر والاعراض منه ، ومحاولة التأويل المتعسف للنصوص الشرعية .

كما وقع ذلك من الخوارج والمرجئة . فالخوارج غلبوا نصوص الوعيد وأهملوا نصوص الوعد ، فحكموا بكفر مرتكب الكبيرة وتخليده في النار . وأما المرجئة فغلبوا نصوص الوعد وأهملوا نصوص الوعيد للعصاة فزعموا أنه لا تضر مع الايمان معصية وعطلوا بذلك جزءا كبيرا من نصوص الشرع .

ومثلهم غلاة المتصوفة في الرسول صلى الله عليه وسلم حين غلوا فيهِ حيث نظروا الى جانب التعظيم للرسول صلى الله عليه وسلم وأهملوا جانب التوحيد وسد الذريعة الى الشرك ، والسبب الذي أوقعهم في ذلك هو النظرة الجزئية القاصرة لنصوص الشرع ، دون جمع النصوص بعضها الى بعض حتى تكتمل النظرة ويصح الحكم عليها . لكن الجهل بمقاصد الشريعة مع غلبة الهوى وعدم البصيرة هو الذي أوقع المبتدعة فيما وقعوا فيه .

(١)

يقول الشاطبي :

(ومدار الغلط في هذا الفصل انما هو على حرف واحد . وهو الجهل بمقاصد الشرع ، وعدم فهم أطرافه بعضها لبعض . فان مأخذ الأدلة عند الأئمة الراشخين انما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المترتبة عليها ، وعامها المرتب على خاصها ، ومطلقها المحمول على مقيدها ، ومجملها المفسر بينها ، الى ما سوى ذلك من مناحيها

(١) هو أبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (٥٠٠٠ - ٥٧٩٠هـ) فقيه . أصولي . لغوي . مفسر . من تصانيفه عنوان التعريف بأسرار التكليف والموافقات في أصول الأحكام ، وعنوان الاتفاق في علم الاشتقاق وغيرها . انظر . معجم المؤلفين ، ١١٨/١ - ١١٩ ، والأعلام ، ١ / ٧٥ .

فشان الراسخين تصور الشريعة صورة واحدة يخدم بعضها بعضا كأعضاء الانسان ..
وشأن متبعي المتشابهات أخذ دليل ما ، أي دليل كان ، عفوا وأخذا أوليا، وان
كان ثم ما يعارضه من كلي أو جزئي . فكان العضو الواحد لايعطي في مفهـوم
أحكام الشريعة حكما حقيقيا . فمتبعه متبع متشابه ، ولا يتبعه الا من فـي
قلبه زيغ كما شهد الله به ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾^{(١) (٢)} .

ثانيا - اتباع الهوى :

يطلق الهوى على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء . وهو غالبا ما يطلق
على الزيغ والضلal .
واتباع الهوى هو الانحراف عن الحق الى الباطل لزيغ في القلب وفساد في
العقل . وهو طريق كل حائد عن الصراط المستقيم من الضالين، كما أن اتباع
الحق والهدى سبيل المؤمنين .

وقد ورد في القرآن ذم الهوى واتباعه والتحذير منه في آيات كثيرة منها:
قوله تعالى:

﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم
من ناصرين ﴾^(٣) ، وقوله تعالى ﴿ وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير
علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾^(٤) ، وقوله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب
لاتغفلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا
وضلوا عن سواء السبيل ﴾^(٥) .

(١) سورة النساء ، آية (١٢٢) .

(٢) الاعتصام . لأبي اسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي ، طبع دار الفكر

بيروت ، ١ / ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٣) سورة الروم ، آية (٢٩) .

(٤) سورة الأنعام ، آية (١١٩) .

(٥) سورة المائدة ، آية (٧٧) .

واتباع الهوى من أكبر أسباب الغلو في الدين . ويتمثل هذا في تحسين الظن بالعقل وجعله حاكما على الشرع كما وقع هذا بين طوائف المتكلميين والصوفية ، حيث ابتدعت كل طائفة أمولا وقواعد حكمت بها على النصوص ، فما وافقهم قبلوه ، وما خالفهم ردوه بنوع تأويل أو تحريف أو قدح في روايته أو نفيه ان كان خبر آحاد . الى غير ذلك من الشبه الباطلة .

فلما لم يفعلوا الشرع في مكانه ، وغلوا في تقديس عقولهم وقعوا فسي المهالك .

ثالثا - الاعتماد على الأحاديث الواهية والموضوعة :

ان حدوث الوضع في الحديث والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن شيئا عفويا بل كان شيارا منظما أحدثته الزنادقة كيذا للاسلام ، وتنفيها لكوامن حقدهم عليه . وتجلى ذلك في محاولة تشويه الاسلام بادخال روااسب أفكارهم ومعتقداتهم التي حطمتها الاسلام ، فأخرجوها في قالب الأحاديث حتى تروج على العامة . وتعتبر الشيعة أوضح مثال على ذلك ، حيث وضعوا الأحاديث في فضائل علي ومناقب آل البيت ، والامامة وسائر عقائدهم ، ففتحوا بذلك باب الغلو في الأشخاص في هذه الأمة .

(١)

يقول ابن أبي الحديد الشيعي المعتزلي :

" واعلم أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة ، فانهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم . حملهم على وضعها عداوة خصومهم " .^(٢)

(١) هو عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين أبو حامد بن أبي الحديد المدائني (٥٨٦ - ٦٥٥ هـ) كاتب . شاعر . أديب شيعي غال . ومن أعيان المعتزلة أيضا . نشأ بالمدائن ثم سار الى بغداد فكان أحد الكتاب والشعراء بديوان الخليفة . وكانت له حظوة عند الوزير ابن العلقمي الرافضي لما بينهما من المناسبة والمثابفة في التشيع والأدب . من مصنفاته . شرح نهج البلاغة .

انظر ترجمته في : البداية والنهاية ، ١٣ / ١٩٩ - ٢٠٠ ، ووفيات الأعيان ٢ / ١٥٨ .
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبع مطبعة عيسى الحلبي ، مصر ، ١٣٨١ هـ ، ١١ / ٤٨ - ٤٩ .

ويهمنا في هذا النص اعتراف أحد كتابهم بذلك ، وكما قيل: الاعتراف سيّد الأدلة . كما قيام بعض ضلال الفرق بوضع الحديث تأييدا لمذهبه وردا على خصومه ، وقد كان للزنادقة خاصة في العصر العباسي الأول دور في وضع الحديث في كافة جوانب الدين وأهمها الاعتقاد .

وكان قعدهم من وراء ذلك تشويه الاسلام ، وتنفير الناس منه فكانت هذه الأحاديث رميدا لمن أتى بعدهم من الغلاة يعتمد عليها ويستدل بها . وقل أن يوجد فكر منحرف أو عقيدة غالية الا ووراها أحاديث موضوعة وواهية .

رابعا - رواسب الديانات القديمة :

مع اتساع موجة المد الاسلامي بكثرة فتوح البلدان ، دخل في الاسلام اجناس شتى طائعين ومكرهين . ولم يكن انتشار الاسلام بهذه السرعة يوافق رضا كثير من أعدائه بل كان شجسى في حلو قههم وغيظا في قلوبهم وقذى في أعينهم لكنهم لما رأوا أن الدولة للاسلام ، وأن مقاومته وحربه بالسيف غير ممكنة ولا مجدية ، دخلوا في الاسلام متظاهرين ليكيدوا له من الداخل ، فراحوا يشوهون صورته ويمزقون وحدته ، وراموا احياء وثنبياتهم من خلاله ، واقساد مفاء العقيدة الاسلامية .

وساعدهم على ذلك الفتن التي حدثت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه والتي كانت سببا في تفرق الأمة الى شيع وأحزاب . ثم أعقب ذلك ظهور الفرق الكلامية بأرائها ومعتقداتها . والمتأمل في تاريخ الفرق الكلامية وآرائها المخالفة لمعتقد أهل السنة والجماعة يرى تأثير الأفكار الدخيلة ، من يهودية ونصرانية ومجوسية وفلسفات وثنية ، يونانية وهندية ومصرية .

وقد حاول أعداء الاسلام جهدهم في التوفيق بين هذه الأفكار وبين الاسلام والباسها ثوب الاسلام ، فظهر ما يسمى بالفلسفة الاسلامية وعلم الكلام ، والتصوف الاسلامي ، والفرق الاسلامية على اختلاف آرائها ومقالاتها والتي بدا تأثير هذه الأفكار واضحا عليها . كما كان وراء نشأة كل فرقة أناس أسلموا ظاهرا مع كفرهم باطنا كان هؤلاء رواد هذه الفرق ومؤسسيها . فمنهم عبدالله بن سبأ رأس

الشيعة ومؤسسها والذي وضع لهم أساس العقائد الباطلة الموروثة الى يومنا هذا ، وذلك كالرجعة أي رجعة علي رضي الله عنه بعد موته الى الدنيا قبل يوم القيامة وأنه سينزل الى الأرض فيملؤها عدلا كما ملئت جورا .

وكان يقول : " العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع وقد قال الله عز وجل : ﴿ ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد ﴾ (١) فمحمدا أحق بالرجوع من عيسى فوضع لهم أساس رجعة الأئمة بذلك وهو الذي وضع لهم أساس الوصية . وأن عليا خاتم الأوصياء كما أن محمدا خاتم الأنبياء . وكان يقول : " انه كان ألف نبي ولكل نبي وصي . وكان علي وصي محمد صلى الله عليه وسلم فمحمدا خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء . "

ثم قال بعد ذلك : " ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم " وكان يقول وهو في يهوديته في يوشع بن شون بعد موسى ، مثلما قال في علي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما أنه أول من أظهر الظن في الصحابة والتبري منهم الى غير ذلك من السموم التي نفضها في الشيعة فاتخذوها عقائد يعتقدونها ، وديننا يتعبدون به . (٢) وقد كانت الشيعة مرتعا خصبا لتقبل هذه الأفكار وغيرها وذلك لقلّة عقولهم وضعف تمييزهم .

وهكذا كان وراء كل فرقة عناصر أجنبية أتت بأنكارها وعقائدها المأخوذة من الديانات القديمة .

فقد كان وراء بدعة القدر رجل يقال له (سوسن) كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد يدعته في القدر .

(١) سورة القصص ، آية (٨٥) .
 (٢) انظر تفصيل عقائد السبئية في : الملل والنحل . لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني . تحقيق . محمد سيد كيلاني . دار المصرفة . بيروت ١٤٠٤هـ ، ١٣٢١م وما بعدها .
 وانظر عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الاسلام . تأليف سليمان بن حمد العودة ، ط ١ ، دار طيبة . الرياض ١٤٠٥هـ ، ص ١٩٩ - ٢٤١ .
 (٣) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله بن الحسن الحسن اللالكائي . تحقيق د . أحمد سعد حمدان . نشر دار طيبة . الرياض ٧٤٩ / ٤ - ٧٥٠ .

وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن أصل بدعة جهم بن صفوان في التعطيل ونفى الصفات مأخوذ عن المشركين والصائغة من اليراهمه والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب الذين يزعمون أن الرب ليس له صفة شئوتية أصلاً .^(١)

وإذا كان هذا التأثير قد تم بواسطة أشخاص امتلأت قلوبهم حقدا على الاسلام فلا ينبغي أن نغفل الدور المنظم الذي قام به اليهود والنصارى والمجوس ومن مألهم من الزنادقة الذين سعوا بكل جهدهم في محاولة تشويه الاسلام بادخال العقائد الباطلة والأفكار الهدامة الى ساحة الاسلام .

المبحث الثاني

* الغلو في الرسل عند اليهود والنصارى *

-x-

ينطلق الغلو في الأنبياء من رفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها ويحدث هذا الغلو حينما يوصف بعض الأنبياء بصفات الألوهية أو يوصف النبي بأنه ابن الله . ولقد حدث في تاريخ بني اسرائيل أن ادعى اليهود أن عزير ابن الله كما ادعت النصارى أن المسيح ابن الله .

قال تعالى : * وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم ، يظاهرون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله أنى يوفكون * (١)

أما اليهود فقد كان سبب غلوهم في عزير هو ما وقع على يديه من معجزات مثل كتابة التوراة من حفظه بعد أن نسخها الله من صدور اليهود وما وقع له من أحيائه بعد موته مائة عام . فلما ضاقت عقولهم عن التمييز بين فعل الله وقدرته وبين قدرة البشر المحدودة نسبوا ذلك إلى عزير وقالوا عنه إنه ابن الله .

قال ابن عباس رضي الله عنه معللا قول اليهود أن عزيرا ابن الله :
" إنما قالوا ذلك لأنهم لما عملوا بغير الحق أنساهم الله التوراة ونسخها من صدورهم ، فدعا عزير الله تعالى ، فعاد إليه الذي نسخ من صدورهم ونزل نور من السماء فدخل جوفه ، فأذن في قومه فقال : قد آتاني الله التوراة ، فقالوا : ما أوتيها إلا لأنه ابن الله " .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنه قال :
" أن يختنصر لما ظهر على بني اسرائيل ، وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة كان عزير غلاما فتركه . فلما توفي عزير ببابل ، ومكث مائة عام ، ثم بعثه الله تعالى إلى بني اسرائيل ، وقال أنا عزير فكذبوه وقالوا : قد حدثنا آباؤنا أن عزيرا مات ببابل ، فان كنت عزيرا فاملل علينا التوراة ،

(١) سورة التوبة ، آية (٣٠) .

فكتبها لهم ، فقالوا هذا ابن الله ^(١) .

فهذه الرواية الثانية بينت أن عزيرا كان نبيا من أنبياء بني اسرائيل وأنه مات ثم بعثه الله بعد مائة عام . كما ذكر الله ذلك في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنسى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ، وانظر الى حمارك ولنجلك آية للناس ، وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما ، فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ^(٢) .

فلما بعثه الله الى بني اسرائيل كتب لهم التوراة من حفظه بعد أن مات الحفاظ في غزو بختنصر لبيت المقدس . فلما ضاقت عقول اليهود عن استيعاب هذه المعجزة والايمان بالله الذي أجراها على يد عبده ونبيه مزير قالوا انه ابن الله .

وأما النصارى فقالوا عن المسيح عيسى ابن مريم أنه ابن الله اما لأنه ولد من غير أب أو لأنه كان يبصر الأكمه والأبرص ويحيي الموتى . باذن الله فلاجل هذا ادعوا أنه ابن الله . والقائل لهذا ليس هم أصحاب عيسى وانما قال ذلك بولس ومن أغواهم من النصارى بعد موت عيسى بوقت طويل وليس عليهم بهذه الشبه فآل أمر النصارى الى أن أصبحوا مشركين بسبب قولهم ان عيسى هو الله أو ابن الله وقد رد الله عليهم في القرآن في أكثر من موضع وبين أن دعواهم مجرد قول عار عن الدليل والبرهان ، قال تعالى :

﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ، ط ١ ، طبع المكتب الاسلامي ، دمشق ،

بيروت ، ٢ / ٤٢٣ - ٤٢٤ .

(٢) سورة البقرة ، آية (٢٥٩) .

كفروا منهم عذاب أليم ، أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ،
 ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا
 يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ، قل أتعبدون
 من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم ، قل يا أهل
 الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل
 وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال
 له كن فيكون ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم
 ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته
 أنزلنا الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورساله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا
 لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما
 في الأرض وكفى بالاله وكيفا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله
 ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا ^(٣) ﴾

وعلى هذا فنفيد الانحراف والغلو يكون في عدم التمييز بين قدرة الله
 العظيمة وقدرة العبد ولو كان نبيا ، وبين المعجزة التي هي بقدرة الله وبين
 فعل النبي ثم يتطور الانحراف حتى يظن أن هذه الأفعال صادرة من النبي بقدرته
 اما لأنه اله أو لأنه ابن الله .

وقد كان النصارى أكثر غلوا من اليهود ، ذلك أن الذين قالوا أن عريزا
 ابن الله هم قلة من اليهود على خلاف بين المفسرين في ذلك ^(٤) .

بينما كان غالبية النصارى يعتقدون أن المسيح ابن الله أو أنه الله على
 اختلاف مذاهبهم في هذا الاعتقاد وقد رد القرآن عليهم وفند شبههم ثم نهاهم عن
 الغلو في عيسى عليه السلام .

(١) سورة الطائفة ، آيات (٧٢ - ٧٧) .

(٢) سورة آل عمران ، آية (٥٩) .

(٣) سورة النساء ، آيات (١٧١ - ١٧٢) .

(٤) انظر . تفسير ابن جرير . تحقيق محمود محمد شاكر ، ٢٠١/١٤ - ٢٠٢ .

وفي نهى الله في القرآن لأهل الكتاب عن الفلو تحذير لنسنا نحن المسلمين عن أن نسلك مسالكهم في الفلو في الأنبياء والصالحين فيصينا ما أصابهم وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم حين نهى أمتة عن اطرائه والمبالغة في مدحه بأن هذا شبيه لفعل النصارى في غلوهم في عيسى عليه السلام .

فقال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري بسنده عن عمر رضي الله عنه قال (لاتطروني ، كما أطرت النصارى ابن مريم فانما أنا عبده فقولوا ^(١) عبدالله ورسوله) .

ومع وضوح هذا التحذير الا أن طوائف من هذه الأمة وقعت في الاطراء والفلو الذي نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنه فصاروا بذلك مشابهين للنصارى ومتبعين سننهم .

وهذا ما سيتضح لنا في المباحث القادمة . أن شاء الله

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب

مريم ﴾ ٤ / ٢٠٤ .

المبحث الثالث

﴿ الغلو في ذات الرسول صلى الله عليه وسلم عند الشيعة ﴾

-x-

ان من العقائد الثابتة التي أكدتها نصوص الشرع وأجمعت عليها الأمة أن رسل الله أجمعين بشر من جنس المرسل اليهم . كما جرت بذلك سنة الله في المرسلين . ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾^(١) . وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن بدعا من الرسل بل كان بشرا مثلهم يوحي اليه .

وبشرية الرسول صلى الله عليه وسلم أمر واضح لكل من قرأ القرآن أو تصفح السنة أو قلب نظره في سيرته وأحواله .

ومع وضوح هذا الأمر لعامة المسلمين وخاصتهم الا أننا نرى بعض الطوائف المنتسبة الى الاسلام غلت في الرسول صلى الله عليه وسلم بما يخرجها عن حدود البشرية ، ولقد كان الشيعة أول من فتح باب الغلو في الأشخاص وذلك بغلوهم في علي رضي الله عنه وذريته .

حتى ذهبوا في ذلك مذاهب شتى فمنهم من ادعى أن عليا وذريته معصومون ومنهم من ادعى أن عليا كان نبيا، ومنهم من غلا فيه حتى ادعى أنه الله وأن روح الاله حلت فيه وفي الأئمة من ذريته .^(٢) ولما كان علي رضي الله عنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته ووصيه وخليفته من بعده - على مذهبهم - كان طبيعيا أن يبتدئ غلوهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذ دور التسلسل الى علي رضي الله عنه والأئمة من ذريته لذلك نجد لدى غلاة الشيعة عقائد باطلة تدور حول أزلية وجود الرسول صلى الله عليه وسلم وأسبقيته على الكون وأنه ليس كسائر البشر ، بل هو مخلوق من نور .

(١) سورة الأحزاب ، آية (٦٢) .

(٢) انظر . عقائد الشيعة في مقالات الاسلاميين للأشعري ، ص ٥ وما بعدهما والفرق بين الفرق للبغدادي ، ص ٢٩ وما بعدها .

(١)
وقد روى الكليني نصا منسوبا زورا وبهتانا الى جعفر الصادق يدور حول
أزلية وجود النبي صلى الله عليه وسلم . أو ما يطلق عليه الصوفية الحقيقة
المحمدية أو النور المحمدي.

يقول النص على لسان جعفر الصادق :

(كنا عند الله وليس عنده أحد سوانا لا ملك ولا غيره ثم بدا له فخلق
السموات والأرض فخلق ونحن معه

... ونصب الخلق في صورة كالهباء قبل دخول الأرض ورفع السماء ، وهو في
انفراد ملكوته ، وتوحيد جبروته ، وأتاح نورا من نوره فلمع ، ونزع قبسا من
قبسه فسطع ، ثم اجتمع النور في وسط تلك الصورة الخفية فوافق ذلك مسورة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . فقال الله عز من قائل أنت المختار المنتخب
وعندك مستودع نوري وكنوز هدايتي ، من أجلك أسطح البطحاء ، وأموج الماء ،
وأرفع السماء ، وأجمل الثواب والعقاب والجنة والنار ، وأنصب أهل بيتك
للهداية ، وأوتيتهم من مكنون علمي ما لا يشكل به عليهم دقيق ، ولا يغيب
عنهم به خفي ، وأجعلهم حجتي على بريتي والمنبهين على قدرتي ووحدانيتي .

..... ولم يزل الله تعالى يخبر النور تحت الزمان الى أن وصل محمدا في
ظاهر الفطرات ، فدعا الناس ظاهرا وباطنا ... ثم انتقل النور الى غرائزنا ،
ولمع في أئمتنا فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض ، فبنا النجاة ، وبما مكنون
العلم ، والينا مصير الأمور وبمهدينا تنقطع الحجج ، خاتم الأئمة ، منقذ الأمة ،
وغاية النور ومصدر الأمور (٢)

(١) هو أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني (٣٢٨ هـ - ٤٠٠ هـ) من كبار
فقهاء الشيعة الإمامية وله كتاب الكافي جمع فيه أحاديث الشيعة وهو
عندهم بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة .
وقد جمع فيه من الشناعات والطامات والافتراءات على أهل البيت ما لا يعلمه
إلا الله .

انظر . لسان الميزان لابن حجر ، ٤٣٣/٥ ، والأعلام ٧ / ١٤٥ .

(٢) الفلسفة الصوفية في الاسلام . د: عبدالقادر محمود ، ط ١ ، دار الفكر
العربي ، مصر ١٩٦٢ م ، ص ٥٧٩ - ٥٨٠ نقلا عن الكافي ، ص ٢٧٦ .

وقد ذكر الأشعري في مقالات الإسلاميين أن الصنف الخامس عشر من أصناف غلاة الشيعة ، " يزعمون أن الله عز وجل وكل الأمور وفوضها إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأنه أقدره على خلق الدنيا فخلقها وديرها وأن الله سبحانه لم يخلق من ذلك شيئا ويقول ذلك كثير منهم في علي ^(١) .

وجاء في المسائل المجموعة من الحقائق العالية والدقائق من كتب الاسماعيلية مانصه : (ليس بين المبدع الأول ومبدعه تعالى شيء من نور ولا غيره ، والذي سمعت من ذلك هو أن السابق لما سبق أبناء جنسه إلى توحيد مبدعه . طرقة من مبدعه مادة الهيئة اطلع بها على علم ما كان وما يكون وأن تلك المادة شائعة في ذات المبدع الحاملة لها فلا فرق بينه وبينها بل هو هي وهي هو .

كما أن العلم المتصل بكل متعلم إذا وصل النفس الحاملة له لم يبق فرق بين العلم والنفس الحاملة له وصارت تلك المادة الهيئة سارية من المبدع الأول إلى من دونه من عقول عالم الابداع وعقول عالم الطبيعة فهي عمسود النور الساري فيما بين العقول وبين المبدع الأول ^(٢) .

فنجد في هذا النص تشابها بين المبدع الأول الذي فاضت عليه مادة الهيئة نصار ممدا لغيره بذلك الفيض الالهي ، وبين الحقيقة المحمدية أو الروح المحمدي الذي أمد جميع الأنبياء والأولياء بالوحي والعلم الباطني كما ذهب إلى ذلك ابن عربي ومن تابعه على ماسياتي بيانه .

(١) مقالات الإسلاميين ، ص ١٦ .

(٢) المسائل المجموعة من الحقائق العالية والدقائق ، ص ٥٩ ، ضمن مجموعة رسائل اسماعيلية ، طبع مكتبة المشنى ، بغداد .

المبحث الرابع

✦ الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم عند الصوفية ✦

إذا كان الشيعة أول من فتح باب الغلو في هذه الأمة بغلوهم في علي رضي الله عنه والأئمة من ذريته حسب زعمهم فإن الصوفية قد انتقلت إليها عدوى الغلو من الشيعة في المقام الأول . وهناك تشابه كبير في كثير من الجوانب بينهما . فإذا كان المذهب الشيعي قد دار فيه الغلو حول علي رضي الله عنه والأئمة من ذريته فإن الغلو عند الصوفية قد دار حول الرسول صلى الله عليه وسلم والأولياء من بعده أو بالأصح حول الحقيقة المحمدية - حسب تعبيرهم والأولياء من بعد . وإذا وجد في غلاة الشيعة من قال إن روح الإله قد حلت في النبي صلى الله عليه وسلم ثم في علي رضي الله عنه وأولاده من بعده ، فقد وجد في الصوفية من يقول بالحلول كالحلاج مثلاً . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

فكانت الشيعة المتأثرة بالتراث المجوسي اليهودي لدى السبئية وفـرق الغلاة ثم التراث الفلسفي اليوناني والمصري لدى الاسماعلية القرامطة أصحاب رسائل اخوان الصفاء كان هؤلاء هم المعير الرئيسي لانتقال العقائد الباطنة إلى الصوفية (١) .

وقد أكد ابن خلدون هذه الصلة بين التصوف والتشيع في حديثه عن مذهب وحدة الوجود وتوابعه فقال :

(وكان سلفهم مخالطين للاسماعلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول والهيئة الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر فاختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم ، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان . وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فصول التصوف منها فقال : جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد أو يطلع عليه إلا الواحد بعد الواحد .

وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولادليل شرعي وإنما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ماتقوله الرافضة ودانوا به .

(١) انظر الفلسفة الصوفية في الاسلام ، ص ٥٧٧ وما بعدها .

ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال^(١) بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء^(٢) حتى انهم لما أسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلا لطريقتهم وتخليهم رفعوه الى علي رضي الله عنه وهو من هذا المعنى أيضا والا فعلى رضي الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتخليه، ولا طريقة في لباس ولا حال، بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم عبادة ولم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة^(٣).

ويؤكد المعاصرون من الشيعة والموفية على حد سواء هذه الملة بينهما.

يقول سيد حسين نصر :

" فقد كانت هناك بعض الصلات بين التصوف والتشيع - وعلى الأخص بطابعه الاسماعيلي - كما يبدو مما ذكره اخوان الصفاء عن التصوف في رسائلهم

(١) الأبدال جمع بدل واختلف في عدتهم فاقيل سبعة وقليل ثلاثون وقليل أربعون كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلا . وقد ورد فيهم حديث ضعيف منقطع الاسناد عن علي رضي الله عنه مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم " الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقي بهم الفيت وينتصر بهم على الأعداء ويصرف بهم من أهل الشام العذاب " (المسند ، ١ / ١١٢) . وأخرج الامام أحمد بسنده عن عبادة بن الصامت مرفوعا : " الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل ابراهيم خليل الرحمن مز وجل كلما مات رجل أبدل الله تبارك وتعالى مكانه رجلا " قال الامام أحمد عقبه : حديث منكسر (المسند ، ٥ / ٢٢٢) وأحاديث الأبدال كلها موضوعة أو واهية منكورة لا تثبت بمثلها حجة .

انظر . السلسلة الضعيفة للالباني ، ٢٢٩/٢ - ٢٤١ .

وانظر لنقد فكرة الأبدال . مجموع فتاوى ابن تيمية ، ٤٢٢/١١ وما بعدها (٢) النقباء جمع نقيب وهو السيد المطاع في قومه وقد كانوا في بني اسرائيل اثنا عشر نقيبا على عدد الأسباط ، لقوله تعالى : ﴿ ولقد أخذ اللسه ميشاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ﴾ المائدة ، آية (١٢) .

وحيثما بايع الرسول صلى الله عليه وسلم الأنصار ليلة العقبة جعل عليهم اثني عشر نقيبا يتولون أمر الدعوة بين أهلهم وعشيرتهم .

والشيعة الامامية الاثنا عشرية قالوا بامامة اثنا عشر من آل البيت عدتهم كعدة نقباء بني اسرائيل . فمن هنا شاع على الأئمة لفظ النقباء .

(٣) مقدمة ابن خلدون ، طبع المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ص ٤٧٢ .

وهم ان لم يكونوا حتما من أصل اسماعيلي ، فهم بلا ريب قد نشثوا في وسط شيعي ، وأقترن ذكرهم فيما بعد بالحركة الاسماعيلية^(١) .

ولم تكن هذه الصلة بين التصوف والتشيع ملة صغوية من قبيل التأشير والتأثر المجرد بل كانت تيارا منظما هدفه تقوية دعائم الاسلام ، وتأثيرا بالفنوصية الفارسية ، وتحويل الدين الى خليط عجيب من الفلسفة والوثنية والديين وذلك تحقيقا لأمال الفرس وغيرهم من أصحاب المبادئ الشعبية الناقمين من انتشار الاسلام ولعل في توافق الشيعة والصوفية في أكثر البلاد وافساح كل واحدة المجال لصاحبيتها قديما وحديثا ما يؤكد ذلك الهدف المشبوه . على أن التشيع لم يكن هو الرافد الوحيد الذي أمد الصوفية بهذه العقائد والأفكار فقد كانت هناك رواقد أخرى متمثلة في التراث الهندي الذي اقتبس منه الصوفية كثيرا من نظرياتهم في المجاهدة والسلوك والزهد. كما أخذوا من النصارى الرهينة والخلوات والخوانق التي تشبه الأديرة كما أخذوا عنهم مذهب الفنوصية^(٢) . وعن الفلسفة اليونانية والأفلاطونية الحديثة أخذوا فكرة العقول العشرة ووحدة الوجود^(٣) .

وقد استمد الصوفية عقائدهم وأفكارهم من كل مصدر وسعهم أن يستمدوا منه وحاولوا أن يصوغوها في قالب اسلامي حتى يقبلها العامة .

لكن الذي يهمننا في هذا المجال هو فلو الصوفية في الرسول صلى الله عليه وسلم وسأخذ مثالين من الصوفية :

أولهما : الحلاج باعتباره أول صوفي أدعى الألوهية بحلول الله فيه كما أنه أول من غلا في الرسول صلى الله عليه وسلم بادعائه أن الله حل فيه

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية : محمود عبدالرؤوف القاسم ، ط١ ، دار الصحابة بيروت ١٤٠٨هـ ، ص ٧٨٤ ، نقلا عن الصوفية بين الأمس واليوم ، ص ١٣٤ .

(٢) الفنوصية : كلمة يونانية معناها المعرفة ولكنها تطورت حتى صارت تعني التوصل بنوع من الكشف الى المعارف العليا أو تذوق المعارف تذوقا مباشرا بطريقة الكشف وهذا هو معنى الذوق عند الصوفية .

انظر . الفلسفة الصوفية في الاسلام ، ص ٤ وما بعدها .

(٣) انظر . تفصيل ذلك في الفلسفة الصوفية في الاسلام ، ص ٣ وما بعدها والكشف عن حقيقة الصوفية ، ص ٧٤٧ وما بعدها .

وقوله بقدم النور المحمدي .

ثانيهما : ابن عربي باعتباره صاحب مذهب وحدة الوجود في المحيط الصوفي
ولأنه أشهر من قال بالحقيقة المحمدية التي هي أعظم مظهر تجلّي
فيه الحق بزعمه .

كما كان لآراء ومعتقدات ابن عربي أكبر الأثر في انحراف
أكثر الصوفية الى مذهب وحدة الوجود .

وسأحدث في المطلبين القادمين من الحلّاج ، ثم عن ابن عربي .

﴿ يغفلو في الرسول صلى الله عليه وسلم لدى الحلاج ﴾

-x-x-

يعتبر الحلاج^(*) أول صوفي جاهر بعقيدة الحلول في أوساط الصوفية—
اذ كان يرى أن من هذب نفسه بالطاعة وصبر على اللذات والشهوات ارتقى

(*) هو الحسين بن منصور ، ويكنى أبا مغيث ، كان جده مجوسيا اسمه محمي من أهل البيضاء بفارس ، وفيها ولد الحلاج سنة ٢٤٤ هـ .

وكانت نشأته بواسط وقيل بتستر وتعلمذ على سهل بن عبد الله التستري ثم قدم بغداد وخالط الصوفية ، وتعرف على عمرو بن عثمان المكي . ولبس خرقة الصوفية على يديه ، ثم ترك بغداد وتجول في البلاد فذهب الى مكة مرارا وجاور فيها ، وذهب الى الصين وتركستان ، ودخل الهند وتعلم فيها السحر ، وقال ادعوه به النى الله !!

وكان الحلاج متلبونا في ملابسه وأحواله فتارة يلبس ملابس الصوفية ، وتارة يتجرد في ملابس رزية ، وتارة يلبس لبس الأجناد ويعاشر أبناء الأغنياء والملوك . وكان مع كل قوم على مذهبهم سواء . أكانوا أهل سنة أم رافضة أم معتزلة أم صوفية أم فساقا . وكان دجالا ساحرا صاحب مخاريق وأحوال شيطانية . كما كان صاحب دعوة باطنية تستر بالزهد وتضمر الزندقة—
واللحاد واتخذ دعاة له بشهم في البلدان يدعون الناس الى الزندقة .

ولا جل تلونه وتقلبه اختلف الناس في أمره ، أما الفقهاء فقد حكي عن غير واحد من العلماء والأئمة اجماعهم على قتله وأنه قتل على كفره وزندقته وبهذا قال أكثر الصوفية في عصره ، ومنهم طائفة فرهم ظاهره ولم يظلموا على باطنه فأجملوا القول فيه وبعض هؤلاء كان متابعا له في الباطن غير أنه لم يجرؤ على المجاهرة بذلك . أما معظم الصوفية بعده الى يومنا هذا فيعتقدون ولايته وأنه مات شهيدا !! وهذا من جهلهم بالشرع وقلّة مسالاتهم باجماع الفقهاء ، والا فقد كان الحلاج زنديقا كافرا حلوليا يدعي الألوهية . وقد اتفق علماء بغداد على كفره وزندقته ، وأجمعوا على قتله وصلبـه ، وكان علماء بغداد اذ ذاك هم الدنيا .

ولما ورد الحلاج آخر مرة الى بغداد جعل يدعو الى مذهبه الفاسد ويظهر أشياء من المخاريق والحيل الشيطانية ، واستغوى أناسا خدمهم حتى صاروا يتابعونه ويعتقدون ألوهيته وشاع خبره فأحضر وحضر معه جماعة من أصحابه وأقروا بأنه يدعي الألوهية وأنه يحيي الموتى . فأنكر ذلك منهم .

وفي آخر مجلس من مجالس محاكمته جيء به وقد أحضر له كتاب من دور بعض أصحابه ، وفيه يقول : " من أراد الحج ولم يتيسر له فليبن في داره بيتا =

الى مقام المقربين ، ثم لايزال يصفو ويرتقي في درجات المصافة حتى يصفو
من البشرية ، فاذا لم يبق فيه حظ من البشرية حل فيه الاله الذي حل

= لايناله شيء من النجاسة ولايمكن أحدا من دخوله ، فاذا كان في أيام الحج
فليصم ثلاثة أيام وليطف به كما يطف بالكعبة ثم يفعل في داره مايفعله
الحجيج بمكة ، ثم يستدعي بثلاثين يتيما فيطعمهم من طعامه ، ويتولى
خدمتهم بنفسه ، ثم يكسوهم قميما قميما ، ويعطي كل واحد منهم سبعة
أو ثلاثة دراهم ، فاذا فعل ذلك قام له مقام الحج . وأن من صام ثلاثة
أيام لايفطر الا في اليوم الرابع على ورقات هندباء أجزاءه ذلك عن صيام
رمضان ، ومن صلى في ليلة ركعتين من أول الليل الى آخره أجزاءه ذلك عن
الصلاة بعد ذلك . وأن من جاور بمقابر الشهداء وبمقابر قريش ببغداد
عشرة أيام يصلي ويدعو ويصوم ثم لايفطر الا على شيء من خبز الشعير
والمالح الجريش أفناه ذلك عن العبادة في بقية عمره " .
فقال له القاضي من أين لك هذا ؟ فقال : من كتاب الاخلاص للحسن البصري .
فقال كذبت يا حلال الدم ، قد سمعنا كتاب الاخلاص للحسن بمكة ليس فيه
شيء من هذا .

فكتب القاضي باهدار دمه وقتله وتبعه الفقهاء على ذلك فأخذ
وضرب ألف سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه وحز رأسه وأحرقت جثته
وألقي رماده في نهر دجلة سنة ٣٠٩ هـ .

- انظر ترجمته في :

- تاريخ الأمم والملوك للطبري ، ١١ / ٧٩ وما بعدها .
- تاريخ بغداد ، ٨ / ١١٢ وما بعدها .
- المنتظم لابن الجوزي ، ٦ / ١٦٠ وما بعدها .
- البداية والنهاية ، ١١ / ١٣٢ وما بعدها .
- سير أعلام النبلاء ، ١٤ / ٣١٣ وما بعدها .

هذه نبذ من شعره توضح اعتقاده بالحلول وتمرح بكفره الذي أقرّ به على نفسه ، بل اعتقد أن الكفر بدين الاسلام واجب عليه . فلا عجب بعد ذلك اذا ادعى الألوهية قائلًا :

(١) أنا الحق والحق للحق . . . لابس ذاته فما ثم فرق

وكان يكتب الى أتباعه واصفا نفسه بالألوهية ، ويستتر بين العامة بالتصوف . ومع ادعائه للألوهية كان يتكلم على طريقة فلاسفة الصوفية عن بدء العالم وكيف خلقه الله فيقول :

(تجلى الحق لنفسه في الأزل قبل أن يخلق الخلق ، وقبل أن يعلم الخلق وجرى له في حضرة أحديته مع نفسه حديث لا كلام فيه ولا حروف ، وشاهد سبحانه ذاته في ذاته ، في الأزل حيث كان الحق ولا شيء معه ، نظر الى ذاته فأحبها ، وأثنى على نفسه فكان هذا تجليا لذاته في ذاته في صورة المحبة المنزهة عن كل وصف وكل حد ، وكانت هذه المحبة علة الوجود والسبب في الكثرة الوجودية ثم شاء الحق سبحانه أن يرى ذلك الحب الذاتي ماثلا في صورة خارجية يشاهدها ويخاطبها فنظر في الأزل ، وأخرج من العدم صورة من نفسه لها كل صفاته وأسمائه وهي آدم الذي جعله الله صورته أبد الدهر ، ولما خلق آدم على هذا النحو عظمه ومجده فاختره لنفسه ، وكان من حيث ظهور الحق بصورته فيه وبه، هو هو) (٢)

فالحلاج في هذا النص يؤكد على مذهبه في الحلول ، وأن الإله قد حل في آدم ، فصار بذلك الإنسان الإلهي ، أي الذي حلت روح الإله فيه . والمقصود بآدم عند الحلاج ومن - سلك مسلكه من فلاسفة الصوفية - هو النوع الإنساني ابتداءً بآدم واستمراراً في الأنبياء حتى محمد صلى الله عليه وسلم والأولياء من بعده .

وكلام الحلاج في هذا النص كله من قبيل التصوف الفلحفي الوثنى من بداية

(١) هذه النصوص نقلتها من كتاب الفلسفة الصوفية في الاسلام ، ص ٦٢ وما بعدها

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٦١ ، نقلا عن الطوايين للحلاج ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

الخلق متأثرا في ذلك بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة وقد كذبهم الله تعالى بقوله ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾^(١) لكن يهمننا في هذا المجال موقف الحلاج من الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يدور حول النور المحمدي . إذ يرى الحلاج أن للنبي صلى الله عليه وسلم صورتين مختلفتين :

- أ - صورته نورا أزليا قديما كان قل أن يوجد العالم ومنه استمد كل علم وعرفان حيث أمد الأنبياء السابقين عليه والأولياء اللاحقين به .
 ب - ثم صورته نبيا مرسلا وكائنا محدثا تعين وجوده في مكان وزمان محدودين والنبي المرسل صلى الله عليه وسلم انما صدر في رسالته عن ذاك النور الأزلي القديم .^(٢)

يقول الحلاج :

(" طس " سراج من نور الغيب بدأ وعاد ، وجاوز السراج وساد . قمر تجلى بين الأقمار . برجه في فلك الأبرار . . . ما أخير إلا عن بصيرته ، ولا أمر بسنته إلا عن حق سيرته ، حضر فأحضر ، وأبصر فخبّر . . . أنوار النبوة من نوره برزت ، وأنوارهم من نوره ظهرت ، وليس في الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم سوى نور صاحب الكرم . . . همته سبقت الهمم ، ووجوده سبق العدم ، واسمه سبق القلم لأنه كان قبل الأسم ، ما كان في الأفاق وراء الأفاق ودون الأفاق . أطرف وأشرف وأعرف وأنصف وأرف وأخوف وأعطف من ما حب هذه القضية وهو سيد البرية ، الذي اسمه أحمد ، ونعته أوجد ، وأمره أوكد ، وذاته أوجد ، وصفته أمجد ، وهمته أفرد ، ياعجبا ما أظهره وأنظره وأكبره وأشهره وأقدره وأبصره ، لم يزل ، كان مشهورا قبل الحوادث والكوائن والأكوان ، ولم يزل ، كان مذكورا قبل القبيل وبعد البعد . . . هو الدليل وهو المدلول . . . بالحق موصول غير مفصول ، ولا خارج عن المعقول . . . العلوم كلها قطرة من بحر . . . والأزمان كلها ساعة من نهره ، الحق وبه الحقيقة ، هو الأول في الوصلة ، وهو

(١) سورة الكهف ، آية (٥١) .

(٢) أنظر . الفلسفة الصوفية ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

الأخر في النبوة ، والباطن بالحقيقة ، والظاهر بالمصرفة الحق ما أسلمه
الى خلقه ، لأنه هو واني هو ، وهو هو (١) .

فهذا النص يدور حول النور المحمدي وأنه هو المصدر الذي ناستمد منه
الأنبياء والرسل قبله ، والأولياء من بعده هذا النور . ويؤكد الحلاج في هذا
النص على قدم وجود النبي صلى الله عليه وسلم وأسبقيته على وجود الكون .
فيقول : " همته سبقت الهمم ووجوده سبق العدم واسمه سبق القلم لأنه كان
قبل الأمم " .

وبناء على ذلك نراه ينكر الوحي ويزعم أن الرسول جاء بالرسالة من ذاته
وأخبر بها عن بصيرته . . ويتمشى هذا منطقيا مع قوله يقدم النور المحمدي
وأنه هو مصدر الوحي والالهام لجميع الأنبياء والأولياء ، ثم مع مذهبه في
الحلول الذي يرى بأن الله حل في آدم ثم الأنبياء من بعده . فلاحاجة مع ذلك
الى الوحي . وبذلك يكون الحلاج بمذهبه هذا قد حاول أن يصل بشخصية الرسول
صلى الله عليه وسلم عن طريق الغلو الى ما وصلت اليه النصرانية بالغلو في
عيسى إذ جعلوه الكلمة الالهية الأزلية الحاتة في الناسوت فقالوا عنه أنه
ابن الله .

أما الحلاج ومن تابعه من الحلوليين فيرون أن محمدا صلى الله عليه وسلم
هو المظهر الذي حل فيه الله أو الناسوت الذي حل فيه اللاهوت . ولم يكن
هذا الحلول خاصا بالرسول بل تعدى الى الأولياء من بعده ، وهذا كفر أشنع من
كفر النصارى لأن النصارى خصوا الحلول بعيسى ، أما الحلاج فقد عممه في
الأنبياء والأولياء على السواء .

على أنه ينبغي أن نلاحظ أن غلو الحلاج في الرسول صلى الله عليه وسلم
لم يكن نابعا من حبه له . وإنما كان هدفة من وراء ذلك الغلو هو ادعاءه
لللاهوتية وتصريحه بحلول الله فيه ، ودعوة أتباعه الى عبادته ، طالما أن

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية ، ص ٢٦٢ - ٢٦٤ ، نقلنا عن أخبار الحلاج ،
ص ٨٢ وما بعدها .

حلول الاله مستمر في الأولياء بعد الأنبياء بزعمه .

ولذلك حكم عليه فقهاء عصره ببردته واهدار دمه وقتله جزاءً وفاقماً
لكفره وزندقته .

وقد كان مقتل الحلاج بسيف الشرع سببا مهما في استتار ملاحدة الصوفية
بدعوتهم الباطنية الرامية الى اخراج المسلمين من دينهم الى الزندقة والكفر
حتى لا يحصل لهم ما حصل للحلاج . فكانوا على حذر تام من الوقوع تحت سيف
الشرع ، فاذا وجدوا فرصة ضعف في المسلمين جاهرُوا بآرائهم ، كما كان مقتل
الحلاج سببا لظهار عداوة ملاحدة الصوفية للفقهاء وتنفير أتباعهم منهم .

ولم تمت أفكار الحلاج بموته ، بل امتد أثرها فيمن أتى بعده من الصوفية
ويدل على ذلك ثناؤهم عليه وتصويرهم لمملكه ، وتأويلهم لعباراته وكفرياتهِ
وأنه مات شهيدا !! الى غير ذلك من وجوه الدفاع الصادرة اما عن جاهل
بحقيقة مذهب الحلاج ، أو معتقد لمذهبه مدافع عنه .

قال الذهبي في معرض ترجمته للحلاج :

(فتدبر - يا عبد الله - نحلة الحلاج ، الذي هو من رؤوس القرامطة ،
ودعاة الزندقة ، وأنصف وتوزع واتق الله في ذلك ، وحاسب نفسك فان تبرهن
لك أن شمائل هذا المرء شمائل عدو للإسلام ، محب للرئاسة ، حريص على الظهور
بباطل وبحق ، فتبرأ من نحلته ، وان تبرهن لك والعياذ بالله ، أنه كان
- والحالة هذه - محقا هاديا مهديا ، فجدد اسلامك واستغث بربك أن يوفقك للحق
وأن يثبت قلبك على دينه ، فانما الهدى نور يقذفه الله في قلب عبده المسلم ،
ولا قوة الا بالله ، وان شككت ولم تعرف حقيقته ، وتبرأت مما رمي به ، أرجحت
نفسك ، ولم يسألك الله عنه أصلا)^(١)

المطلب الثاني

✦ إغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم عند ابن عربي ✦

-x-x-

انتهينا فيما سبق الى أن الحلاج كان أول صوفي هلا في الرسول صلى الله عليه وسلم بما يخرج عن حد البشرية منطلقا من مذهبه في الحلول .

(٣)

وجاء ابن عربي الذي بدأ من حيث انتهى الحلاج ليقدم مذهباً فلسفياً

(٣) هو محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله الحاتمي الطائي الأندلسي ثم الدمشقي ، المعروف بابن عربي بالتنكير تمييزاً بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي ، وينتهي نسب ابن عربي الى عبدالله بن حاتم أخي عدي بن حاتم الطائي .

ولد ابن عربي في رمضان سنة ٥٦٠ هـ بمرسية من بلاد الأندلس ثم ارتحل الى اشبيلية بعد بلوغه ثمان سنوات وفيها حفظ القرآن وتعلم القراءات واشتغل بتحصيل الحديث وسعاه من أهل الحديث في بلاده ثم مال بعد ذلك الى الأدب ونظم الشعر فحصل له توسع فيه وكتب الانشاء لبعض الأمراء بالمغرب . ثم بعد ذلك كله ملك طريق التصوف فترهد وتعبد وأقبل على الخلوات وانقطع للتنسك الى أن أصبح رأساً في التصوف الفلسفي .

وكان ابن عربي يحكم نشأته في الأندلس التي كانت بمنزلة الباب الغربي للمسلمين على أوروبا ، فداطلع على ثقافات عصره والفلسفات السائدة في ذلك الوقت . ثم خرج ابن عربي بعد ذلك من الأندلس لطلب العلم ولقاء الصوفية في البلدان والاجتماع بهم . فزار معظم مدن المغرب مثل سبتة وفاس وتونس وتلمسان وغيرها ، ثم اتجه في رحلاته الى المشرق راغباً في الحج ، وبعد الحج اتجه صوب العراق فدخل بغداد والموصل ثم رحل الى مصر في سنة ٦٠٣ هـ . واتصل ببعض أشباهه من الصوفية وأخذ يتأليف الرسائل والكتب وهناك ظهر منه ما يستوجب النقد والانكار ، فأنكر عليه علماء مصر ما صدر منه وحكموا بكفره واراقة دمه كما حكم على الحلاج وأمثاله . وكاد أن يقتل لولا أن خلصه وشفع له الشيخ أبو الحسن علي بن فتح بن عبدالله البجائي الذي سعى في أمره وأظهر وجوه تأويل كلامه الى أن عفي عنه .

ثم رحل الى مكة فجاور بها الى سنة ٦٠٧ هـ وفيها ابتداء تأليف كتابه الفتوحات المكية الذي يعتبر أكبر موسوعة صوفية شملت كثيراً من علوم الصوفية وأحوالهم غير أنه مزجه بمذهب وحدة الوجود .

ثم توجه ابن عربي بعد ذلك الى بلاد الأناضول فوصل الى (قونية) وكانت آنذاك عاصمة القسم الإسلامي من بلاد الروم ، وفيها صنف بعض كتبه كما =

صوفيا مبنيا على وحدة الوجود ، وتفرع عن مذهبه في الوجود مذهبه في الحقيقة
المحمدية التي دان بها أكثر الصوفية من بعده وآمنوا بها ايمانا عميقا .

= تزوج فيها بأم صدر الدين القونوي فأصبح القونوي ربيبه ومن أخص تلامذته
فيما بعد ، ثم رحل ابن عربي بعد ذلك الى بغداد حيث التقى بشهاب الدين
السهروزي صاحب كتاب عوارف المعارف ، ومن بغداد توجه الى مكة ومنها
الى قونيه مرة أخرى ، ثم رجع الى الشام ليتنقل بين قرى الشام ومدنه
واستقر به الأمر آخرأ في دمشق حيث أتم كتاب الفتوحات المكية وصنف
فصوص الحكم ، والتفصيل في معاني التنزيل ، وغيرها من الكتب ، كما أخذ
بنشر علومه ومعارفه وظل في دمشق الى أن توفي فيها سنة ٦٢٨ هـ .

ويعتبر ابن عربي من أكثر الصوفية تصنيفا اذ جاوزت تصانيفه ما يربو
على المائتين ، ومن أشهر تصانيفه الفتوحات المكية ، وفصوص الحكم ،
وعنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب ، انشاء الدوائر ، والفناء في
المشاهدة ، وكتاب الإسراء الى مقام الإسرى ، ومحاضرة الأبرار ومسامرة
الأخيار وغيرها . ويعتد ابن عربي رأسا في تصوف أهل وحدة الوجود كما
كان أكثر الصوفية ضللا وزيفا ومروقا من الدين . ولكنه لم يجاهر بأرائه
وزندقته وكفره الا لخواص أصحابه وتلامذته خوفا من الوقوع تحت سيف الشرع
متظاهرا بين عامة أهل العلم بالتنسك والعبادة والزهد .

فلما مات وانتشرت كتبه عرف الناس حقيقة أمره وحقيقة مذهبه فحكم أكثر
العلماء بكفره وزندقته وكذبه على الله ورسوله وانتصب كثير منهم للرد
عليه وبيان كفره وتحذير الناس منه . وقد جمع تقي الدين الفاسي في العقد
الشمين جملة من ردود العلماء وفتاواهم بكفره وزندقته ، كذلك فعل
برهان الدين البقاعي في تنبيه الغبي الى تكفير بن عربي ، ومثل ذلك
فعل السخاوي في القول المنبي في ترجمة ابن عربي .

وبعض العلماء أشنى على ابن عربي لما رأوا من زهده وايشاره واجتهاده
في العبادة فأثنوا عليه بهذا الاعتبار ولم يعرفوا مافي كلامه ممن
الكفر ، وبعض من أشنى عليه يعرفون مافي كلامه من الباطل ولكنهم يزعمون
أن له تأويلا ، وحملهم على ذلك متابعتهم له في معتقده ، فتناوهم عليه
مردود لتزكيتهم معتقدهم . وأما الصوفية فبأكثرهم - الامن رحم الله - يعدون
ابن عربي الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر وكثير منهم اليوم على مذهبه بفهم
لحقيقته وبغير فهم .

أنظر : - سير أعلام النبلاء للنهبي ، ٤٨/٢٢ وما بعدها .
- البداية والنهاية لابن كثير ، ١٢ / ١٥٦ .

- لسان الميزان لابن حجر ، ٥ / ٢١١ وما بعدها .

- العقد الشمين لتقي الدين الفاسي ، ٢ / ١٦٠ وما بعدها .

- شذرات الذهب لابن العماد ، ٥ / ١٩٠ وما بعدها .

- نفح الطيب للمقري ، ٢ / ١٦١ ، وما بعدها .

ويتمثل غلو ابن عربي في الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله بالحقيقة
المحمدية ، ولكي نفهم مقصوده بالحقيقة المحمدية لابد أن نعرف بإيجاز مذهب
في وحدة الوجود .

✦ مذهب ابن عربي في وحدة الوجود :

ان القول بوحدة الوجود كمذهب فلسفي يحاول تفسير الوجود ومدى علاقته
بخالقه سبحانه وتعالى قول قديم جدا عرفه الفكر الفلسفي الوشني ، ومن
طريقه انتقل الى أهل الأديان من يهود ونصارى ، ثم انتقل الى المتصوفة عن
طريق ابن عربي الذي حاول جهده أن يصيغه بصيغة اسلامية .^(١)

فلم يكن هذا المذهب قد أخذ صورته الكاملة في المحيط الصوفي قبيل
ابن عربي الذي قرر مذهب وحدة الوجود في صورته النهائية ووضع له مصطلحا
صوفيا كاملا استمده من كل مصدر وسعه أن يستمد منه ، كعلم الكلام والفلسفة
اليونانية والأفلاطونية الحديثة والغنوصية المسيحية وغيرها من الفلسفات ، كما
أنه استفاد من تراث متصوفة الاسلام المتقدمين عليه سواء منهم من كان في
الأندلس أو في المشرق ، كما اعتمد على الأحاديث الموضوعة وتأويلات الشيعة
الباطنية للشريعة ونصوصها . ولكنه صبغ هذه المصطلحات والفلسفات بصيغته
الخاصة وأعطى لكل منها معنى جديدا يتفق مع روح مذهبه العام في وحدة الوجود .^(٢)

ويقوم مذهب ابن عربي في وحدة الوجود على أساس أن الوجود كله - بما
فيه ومن فيه - واحد هو الله ، وأن ما يوجد في الكون من مخلوقات
فوجودها خيال أو وهم أو ظل بالنسبة لوجود الله .^(٣)

فالوجود عند ابن عربي كله واحدهو الله ، والكثرة التي تشهدا الحواس
انما هي مجرد صور ومظاهر ومجال تتجلى فيها المفات الالهية . وليس هناك

(١) انظر : الفلسفة الصوفية في الاسلام ، ص ٤٩٧ وما بعدها .

(٢) انظر : مقدمة فصوص الحكم لابن عربي . تقديم وتعليق أبو العلا عفيفي
نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص ٧ .

(٣) انظر : فصوص الحكم ، ص ١٠١ وما بعدها .

فرق حقيقي بين الوحدة والكثرة ، أو بين الحق والخلق إلا من حيث الاعتبار والجهة أو النسب والاضافات أو الأسماء والصفات . فالحقيقة الوجودية واحدة في ذاتها متكثرة بصفات وأسمائها فالله حق في ذاته ، خلق من حيث صفاته ، وصفاته عين ذاته ، فالخلق عين الحق ، والحق هو الخلق ^(١) . فالله - تعالى وتقدس - عند ابن عربي هو الواحد والكثرة ، وهو القديم والحديث ، وهو الباطن والظاهر ، وهو العبد وهو الرب .

يقول ابن عربي عن الله وحدة الوجود :

(فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ^(٢)) فهو عين مظهر ، وهو عين ما بطن في حال ظهوره ، وما ثم من يراه غيره ، وما ثم من يبطن عنه ، فهو ظاهر لنفسه ، باطن عنه ، وهو المسمى أبا سعيد الخراز ، وغير ذلك من أسماء المحدثات . فيقول الباطن : لا إذا قال الظاهر أنا ، ويقول الظاهر : لا إذا قال الباطن أنا ، وهذا في كل ضد ، والمتكلم واحد وهو عين السامع ^(٣) .

ويقول :

ياخالق الأشياء في نفسه .: أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه في .: فك فأنت الضيق الواسع ^(٤)

ويقول :

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا .: وليس خلقا بذاك الوجه فادكروا
من يدر ما قلت لم تخذل بصيرته .: وليس يدره إلا من له بصر
جمع وفرق فان العين واحدة .: وهي الكثيرة لاتبقي ولا تذر ^(٥)

وحتى لا يظن ظان أن ابن عربي يفرق بين ذات الله وبين الخلق يقول :

(..... وبالأخبار الصحيح أنه عين الأشياء ، والأشياء محدودة ، وإن اختلفت حدودها ، فهو محدود بحد كل محدود فما يحد شيء إلا وهو حد الحق ، فهو الساري

(١) انظر : مقدمة الفصوص ، ص ٢٩ .

(٢) لا يريد ابن عربي بالأول والآخر والظاهر والباطن المعنى الإسلامي الصحيح الذي يليق بأسماء الله وصفاته . وإنما يريد معنى الحاديا ينبنى على أن الله هو الكون والكون هو الله . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

(٣) الفصوص ص ٧٧ .

(٤) المصدر نفسه ص ٨٨ .

(٥) المصدر نفسه ص ٧٩ .

في مسمى المخلوقات والمبدعات ، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود ، فهو عين الوجود ، " فهو على كل شيء حفيظ " بذاته ، " ولا يهوده " حفظ شيء فحفظه تعالى للأشياء كلها حفظه لصورته أن يكون الشيء غير صورته . ولا يصح إلا هذا فهو الشاهد من الشاهد، والمشهود من المشهود ، فالعالم صورته وهو روح العالم المدبر له فهو الإنسان الكبير .

فهو الكون كله . . . وهو الواحد الذي
 قام كوني بكونه . . . ولذا قلت يفتني
 فوجودي غداؤه . . . وبه نحن نحتذي
 فبه منه ان نظير . . . ت يوجه تعسودي (١)

وعلى ذلك فلا فرق بين الله والعالم عند ابن عربي ، فالعالم بما فيه من مخلوقات هو الله ، وليس ثم شيء آخر وراء هذا العالم عنده . وبهذا يكون ابن عربي بمذهبه في وحدة الوجود قد وصل الى نهاية الكفر التي ليس وراءها شيء . وبناء على ذلك فهذا المذهب لا يؤمن بالخلق والايجاد من العدم ، وانما الخلق عند ابن عربي هو عبارة عن التجلي الالهي الدائم الذي لم يزل ولا يزال بظهور الحق في كل آن فيما لا يحصى عدده من صور الموجودات . فأصل كل وجود وسبب كل موجود عنده هو الفيض الالهي المتصل الدائم . (٢)

يقول ابن عربي :

(لما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها الاحصاء أن يرى أعيانها ، وان شئت قلت أن يرى عينه ، في كون جامع يحصر الأمر كله ، لكونه متمصفا بالوجود ، ويظهر به سره اليه ، فان رؤية الشيء نفسه بنفسه ماهي مثل رؤيته نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة ، فانه يظهر له نفسه في صورة يعطيها المحل المنظور فيه مما لم يكن يظهر له من غير وجود هذا المحل ولا تجليه له . وقد كان الحق سبحانه أوجد العالم كله وجود شبح مسوي لا روح فيه فكان كمرآة غير مجلوة . ومن شأن الحكم الالهي أنه ما سوى محسلا

(١) المصدر نفسه ، ص ١١١ .

(٢) انظر : الفلسفة الصوفية في الاسلام ، ص ٥٠٧ وما بعدها .

الا ويقبل روحا الهيا عبر منه بالنفخ فيه ، وما هو الا حصول الاستعداد من تلك الصورة المسمّاة لقيول . فيض التجلي الدائم الذي لم يزل ولايزال وما بقي الا قابل ، والقابل لا يكون الا من فيضه الأقدس . فالامر كله منه ، ابتداءه وانتهاؤه * واليه يرجع الأمر كله * كما ابتداء منه .^(١)

فاقتضى الأمر جلاء مرآة العالم ، فكان آدم عين جلاء تلك المرآة وروح تلك الصورة ، وكانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة التي هي صورة العالم المعبر عنه في اصطلاح القوم " بالانسان الكبير " .^(٢)

هذا هو مذهب ابن عربي في وحدة الوجود ولسنا يصد مناقشته وبيلسان مخالفته للإسلام . لكن يهمننا هنا موقفه من الحقيقة المحمدية ، وماهي علاقتها بمذهبه في وحدة الوجود؟^(٣)

* الحقيقة المحمدية عند ابن عربي :

لما كان الله تنزهه وتقدس - عند ابن عربي - يتجلى في صور المخلوقات باعتبارها روح هذا العالم وكان الانسان أعظم هذه المخلوقات ، كان تجلي الحق فيه أعظم وأكمل . فالانسان - في نظر ابن عربي - أكمل مجالي الحسب باعتبارها أرقى الموجودات . حيث جمع الصفات الحقيّة والخلقية ، فصار صورة للعالم الأكبر ، ولذلك يسميه ابن عربي بالمختصر الشريف ، والكون الجامع لجميع حقائق الوجود ومراتبه ، فهو العالم الأصغر الذي انعكست في مرآة

(١) سورة هود ، آية (١٢٣) .

(٢) الفصوص ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) انظر : في الرد على مذهب وحدة الوجود :

- رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين ووحدة الوجود لابن تيمية . مجموع الفتاوى

٢ / ١٣٤ - ٢٨٥ .

- وتنبيه الغيبي الى تكفير ابن عربي ، وتحذير العباد من أهل العنساد

ببدعة الاتحاد . برهان الدين البقاعي . تحقيق عيد الرحمن الوكيل .

- والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تقي الدين الفاسي المكي .

٢ / ١٦٠ - ١٩٩ .

وقد ترجم فيه التقي الفاسي لابن عربي وذكر طائفة من ردود العلماء

عليه وتكفيرهم له .

وجوده كل كمالات العالم الأكبر (الله) أو كمالات الحضرة الالهية الاسمائية والصفاتية . فأكمل الموجدات على الاطلاق هو الحق ، وأكمل مظهر للحق هو الانسان الكامل .^(١)

والانسان الكامل عند ابن عربي هو الانسان الذي تجلى فيه الحق، أكمل تجل وأمظمه ، ولا يصدق هذا الا على الأنبياء والأولياء . وأكمل هؤلاء جميعا هو محمد صلى الله عليه وسلم . ولا يقعد ابن عربي بذلك شخص الرسول صلى الله عليه وسلم بل يقعد به الحقيقة المحمدية الأزلية القديمة التي تعتبر الروح التي ظهرت في الأنبياء والأولياء ، أو التي كان الأنبياء والأولياء صورا لها ولذلك يسميها بالروح المحمدي أو روح الخاتم (خاتم الرسل) .^(٢)

فالحقيقة المحمدية - في نظر ابن عربي - هي أكمل مجلى خلقي ظهر فيه الحق ، بل يعتبرها الانسان الكامل والخليفة الكامل بأخص معانيه . وكمال الشيء عنده متوقف على عدد الأسماء والصفات الالهية المتجلية فيه ، فاذا كان كل واحد من الموجودات يعتبر مجلى خاصا لبعض الأسماء الالهية التي هي أرباب له ، فان محمدا صلى الله عليه وسلم - عند ابن عربي - قد انفرد بأنه مجلى للاسم الأعظم الجامع لجميع تلك الأسماء ، وهو الله . ولهذا كانت له مرتبة الجمعية المطلقة (جمع كمالات الأسماء والصفات) ومرتبة التعيين (التجلي) الأول الذي تعينت به الذات الأحدية . ومعنى ذلك أن الحقيقة المحمدية هي أول شيء تجلى فيه الحق وظهر ، وان شئت قلت انها هي الحق ذاته ظاهرا لنفسه في أول تعيين من تعييناته في صورة العقل الحاوي لكل شيء ، المتجلي في كل كائن عاقل .^(٣)

ولذلك يعرف غلاة الصوفية الحقيقة المحمدية بأنها (هي الذات مع

التعيين الأول ، وهو الاسم الأعظم) .^(٤)

(١) انظر : الفصوص ، ص ٥٤ - ٥٥ .
(٢) انظر : نظريات الاسلاميين في الكلمة - لأبي العلاء عفيفي ، مقال بمجلة كلية الآداب - جامعة الملك فؤاد (القاهرة) سنة ١٩٣٤م ، ج١ ، المجلد الثاني ، ص ٢٣ - ٧٥ .

(٣) انظر : التعليقات على فصوص الحكم لأبي العلاء عفيفي ، ٢ / ٢٢٠ - ٢٢١ .
(٤) انظر : التعريفات للشريف الجرجاني ، ص ٩٠ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

هذا هو مقصود ابن عربي ومن أتى بعده بالحقيقة المحمدية أو الروح المحمدي وهو شيء مختلف عندهم تماما عن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم بل ليس بينهما من الصلة الا كما بين الحقيقة المحمدية وأي نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل أو ولي من الأولياء .^(١)

يقول ابن عربي في إحدى صلواته :

(اللهم أفض صلة صلواتك وسلامة تسليماتك على أول التعينات المفاضة من العماء الرباني وآخر التنزلات المضافة الى النوع الانساني ، المهاجر من مكة " كان الله ولم يكن معه شيء شان " الى مدينة " وهو الآن على ما عليه كان " محمي عوالم الحضرات الالهية الخمس في وجوده ، وكل شيء أحصيناه في امام مبين * نقطة البسمة الجامعة لما يكون ولما كان ، ونقطة الامر الجوالة بدوائر الأكوان ، سر الهوية التي في كل شيء سارية ، ومن كل شيء مجردة وعارية كلمة الاسم الأعظم ، وفاتحة الكنز المطلسم ، المظهر الأتم الجامع بين العبودية والربوبية والنفس الرحماني الساري بمواد الكلمات التامات ، الفيض الأقدس الذاتي الذي تعينت به الأعيان واستعداداتها ، والفيض المقدس الصفاتي الذي تكونت به الأكوان واستعداداتها ، مطلع شمس الذات في سماء الأسماء والصفات ومنبع الافاضات في رياض النسب والاضافات ، خط الوحدة بين قوسي الأحدية والواحدية ومركز احاطة الباطن والظاهر اللهم يارب يامن ليس حجاب به الا النور ، ولا خفاؤه الا شدة الظهور ، أسألك بك أن تملئ على سيدنا محمد صلاة تكحل بها بصيرتي بالنور المرثوش في الأزل لأشهد فناء مالم يكن وبقاء مالم يزل ، وأرى الأشياء كما هي في أصلها معدومة مفقودة ، وكونها لم تشم رائحة الوجود فضلا عن كونها موجودة .)^(٢) واضح من هذا النص كفر ابن عربي وغلوه في الحقيقة المحمدية حتى جعلها مساوية للحقيقة الالهية .

(١) التعليقات على الفصوص ، ٢ / ٢٢١ .

(٢) سورة يس ، آية (١٢) .

(٣) أفضل الصلوات على سيدالسادات، ليوسف بن اسماعيل النبهاني ، طبع المطبعة

الأدبية ، بيروت ، ١٣٠٩ هـ ، ص ٨٨ وما بعدها .

- ويبدو هذا واضحا في عباراته السابقة التي منها :
- المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء شان . أي أن المهاجر من مكة وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان الله .
 - كلمة الاسم الاعظم (الله)
 - الفيض الأقدس الذاتي الذي تعينت به الأعيان واستعداداتها ومعنى ذلك أن الموجودات تعينت وتحددت بفيضه عليها .
 - ثم يتجلى لنا مدى خبثه في لي النصوص وتأويلها لخدمة مذهبه الزائغ .

ويقول ابن عربي في رسالة شجرة الكون :

" لما قبض الله آدم من قبضة تراب (كن) من على ظهره حتى يميز الخبيث من الطيب فاستخرج من ظهره من كان من أصحاب اليمين ومن كان من أصحاب الشمال . ثم اعتصر من شجرة (كن) صفة عنصرها ، ومخضها حتى بدت زبدتها ، ثم صفاها وألقى عليها من نور هدايته ، حتى ظهر جوهرها ثم غمسها في بحر الرحمة ، ثم خلق منها نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم زينته بنور الملائكة حتى أضاء وعلا ، ثم جعل ذلك النور أصلا لكل نور ، فهو أولهم في السطور وآخرهم في الظهور ^(١) .

وواضح أن ابن عربي هنا قد صاغ هذه الفكرة بأسلوب صوفي بعيد عن التركيب الفلسفي الذي نراه في كتبه وبالأخص فصوص الحكم والفتوحات المكية، وهو في هذا متأثر بسلفه الحلاج حيث قال :

" أنوار النبوة من نوره برزت ، وأنوارهم من نوره ظهرت ، وليس في الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم من القدم سوى نور صاحب الكرم ، همته سبقته الهمم ، ووجوده سبق العدم واسمه سبق القلم لأنه كان قبل الأمم ^(٢) "

هذا هو مفهوم الحقيقة المحمدية عند ابن عربي فما هي خصائصها وماعلاقتها

(١) نشأة الفلسفة الصوفية ، وتطورها . عرفان عبدالحميد فتاح ، طبع المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٤ هـ ، ص ١٠٠ .

(٢) الكشف من حقيقة الصوفية ، ص ٢٦٣ ، نقلًا عن أخبار الحلاج ص ١١ .

بالعالم المادي والروحي ؟

للحقيقة المحمدية - عند ابن عربي - عدة وظائف في العالم المادي والروحي فمن ناحية صلتها بالعالم المادي تعتبر مبدأ خلق العالم اذ هي النور الذي خلقه الله قبل كل شيء وخلق منه كل شيء ، كما يقول ابن عربي (بدء الخلق الهباء وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية)^(١) ، ويقول (أنه سبحانه تجلى بنوره الى ذلك الهباء ... فقبل منه تعالى كل شيء في ذلك الهباء وعلى حسب قوته واستعداده كما تقبل زوايا البيت نور السراج ، وعلى قدر قربه من ذلك النور يشتد ضوءه وقبوله . قال تعالى ﴿ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ﴾^(٢) فشيء نوره بالمصباح فلم يكن أقرب اليه قبولا في ذلك الهباء الا حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم المسماة بالعقل فكان سيد العالم بأسره ، وأول ظاهر في الوجود ، فكان وجوده من ذلك النور الأزلي ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية وفي الهباء وجد عينه ، وعين العالم من تجليه وأقرب الناس اليه علي بن أبي طالب وأسرار الأنبياء أجمعين ، ومن ناحية صلتها بالانسان يعتبرها ابن عربي صورة كاملة للانسان الكامل الذي يجمع في نفسه جميع حقائق الوجود ولذلك يسميها آدم الحقيقي والحقيقة الانسانية.^(٥)

أما من ناحية صلتها بالعالم الروحي فيعتبرها مصدر كل وحي والهام وكشف للأنبياء والأولياء على السواء فهي منبع الوحي والعلم الباطني والأمل السدي يأخذ عنه الأنبياء والأولياء .

يقول ابن عربي :

" فكل نبي من لدن آدم الى آخر نبي ما منهم من أحد يأخذ الا من مشكاة خاتم النبيين ، وان تأخر وجود طينته فإنه بحقيقته موجود ، وهو قوله على الله

(١) الفتوحات المكية ، ١ / ١١٨ .

(٢) سورة النور ، آية (٣٥) .

(٣) تفوح من هذا النص رائعة التشيع عند ابن عربي بالاضافة الى الغلو .

(٤) الفتوحات المكية ، ١ / ١١٩ .

(٥) انظر : التعليقات على الفصوص ، ص ٣٢٠ .

عليه وسلم : " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ^(١) وغيره من الأنبياء ما كان نبيا الا حين بعث ^(٢) " وبذلك تكون الحقيقة المحمدية مشابهة للقبط أو الامام المعصوم لدى الشيعة الاسماعيلية الذي يتجلى في كل زمان في صورة قطب ذلك الزمان ^(٣) . هذا هو مقصود ابن عربي ومن أتى بعده بالحقيقة المحمدية .

وقد تأثر ابن عربي بمن سبقه من المتصوفة لاسيما الحلاج في قوله بقدم النور المحمدي ، كما أنه استفاد من كل ماسبقه من فلسفات يونانية وهندية ، ومصرية وعقائد يهودية ونصرانية . كما كان لعقائد الشيعة والباطنية وتأويلاتهم لنصوص الشرع ، وآرائهم الهدامة نصيب كبير في فكر ابن عربي . كما سبق أن بينا ذلك ولكن ابن عربي حاول أن يصيغ مذهبه في الحقيقة المحمدية بصيغة اسلامية باحثا له من أسس يعتمد عليها . من تأويل آيات القرآن ونصوص الحديث ، ومن أكثر ما يستدل به الأحاديث الواردة في قدم ذات النبي صلى الله عليه وسلم . مثل حديث : " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " ويروى : " كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين " ^(٤)

ومنها حديث " كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم " ^(٥) . ومنها حديث النور المنسوب الى مصنف عبدالرزاق عن جابري بن عبدالله رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله ، ياأي أنت وأمي ، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ان الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ، فجعل ذلك النور يدور فسي

-
- (١) هذا حديث باطل لا أصل له وسيأتي مزيد كلام عليه .
 (٢) الفصوص ، ٦٣ - ٦٤ .
 (٣) انظر : نظريات الاسلاميين في الكلمة ، ص ٥٨ .
 (٤) هذا حديث لا أصل له كما بينه ابن تيمية ونقله عنه السيوطي في ذيل الأحاديث الموضوعة .
 انظر : الرد على البكري ، ص ٩ .
 (٥) هذا الحديث منكر الاسناد والمتن معا .
 انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للالباني ، ٢ / ١١٥ .
 ورسالة النور المحمدي ، تأليف عدا ب محمود الحمش ، ٢٣ - ٢٦ .

القدر حيث شاء الله ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ، ولاجنة ولا نار ، ولا ملك ، ولاسما ، ولا أرض ، ولا شمس ، ولا قمر ، ولاجنى ، ولا انسى ، فلمسا أراد أن يخلق الخلق ، قسم ذلك النور أربعة أجزاء :

- ١ - فخلق من الجزء الأول : القلم .
- ٢ - ومن الثاني : اللوح .
- ٣ - ومن الثالث : الجنة والنار .
- ٤ - ثم قسم الرابع أربعة أجزاء :
- أ - فخلق من الأول : نورأبصار المؤمنين .
- ب - ومن الثاني : نور قلوبهم - وهو المعرفة بالله .
- ج - ومن الثالث : نور أنسهم - وهو التوحيد - لاله الله ، محمد رسول الله الحديث^(١)

ومما يسوقه الصوفية في هذا الباب ويعدونه حديثا قولهم : ان الله تبارك وتعالى خلق نور محمد صلى الله عليه وسلم قبل خلق آدم بألفي عام وجعله في عمود أمام عرشه يسبح الله ويقده ثم خلق آدم عليه الصلاة والسلام من نور محمد صلى الله عليه وسلم وخلق نور النبيين عليهم الصلاة والسلام من نور آدم عليه الصلاة والسلام^(٢) . وما ذكروه ليس حديثا انما هو مجرد قول توارثوه وليس هناك ما يدل على شوبته فلا أصل له .

(١) كشف الخفاء ومزيل الالباس فيما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس ، للشيخ اسماعيل العجلوني ، تصحيح أحمد القلاش ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ ، ١ / ١١٣ .

وهذا الحديث مكذوب لا أصل له ومنسوبا زورا الى مصنف عبدالرزاق وليس فيه ، ولا رواه عنه أحد من العلماء المعتد بهم كما أنه ليس موجودا في أي من كتب السنة المعتمدة .

انظر : رسالة النور المحمدي ، ص ٤٦ - ٥٣ .

(٢) نقله ابن الحاج في المدخل من كتاب الدلالات لأبي عبدالرحمن المقلسي ، انظر : المدخل لابن الحاج ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ هـ ، ٢ / ٣٠ .

﴿ مناقشة ابن عربي في الحقيقة المحمدية :

يريد ابن عربي من وراء استدلاله بالأحاديث السابقة أن يقرر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان موجودا بحقيقته قبل الخلق وأن نوره هو مبدأ الخلق ومادته ليقوي بذلك نظريته في الحقيقة المحمدية .
يقول ابن عربي :

" فكل نبي من لدن آدم الى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ الا من مشكاة خاتم النبيين ، وان تأخر وجود طينته فانه يحقيقته موجود وهو قوله صلى الله عليه وسلم : " كنت نبيا و آدم بين الماء والطين " وغيره من الانبياء ما كان نبيا الا حين بعث " (١) .

وهذا كلام باطل فان الانبياء لا يأخذ أحد منهم من آخر الا من كان مأمورا باتباع شريعته كأنبياء بني اسرائيل الذين أمروا باتباع التوراة كما قال تعالى : ﴿ انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار ﴾ (٢) الآية . وأمما ابراهيم وموسى وعيسى فلم يأخذ أحدهم من الآخر كما لم يأخذوا عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وان بشروا به وآمنوا به .

كما قال تعالى : ﴿ واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ﴾ (٣) الآية .

قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما :

(ما بعث الله نبيا من الانبياء الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه) (٤) .

وامتقاد ابن عربي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بحقيقته موجودا

(١) فصوص الحكم ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) سورة المائدة ، آية (٤٤) .

(٣) سورة آل عمران ، آية (٨١) .

(٤) تفسير ابن كثير ، ١ / ٣٧٨ .

استنادا الى حديث " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " اعتقاد باطل لبطلان هذا الحديث وعدم صحته وثبوته وعلى فرض صحته فانه لا يهودي الى نفس المعنى لان الأشياء لا تكون موجودة بحقائقها الا حين توجد ، ولا فرق في ذلك بين الأنبياء وغيرهم ولم تكن حقيقته صلى الله عليه وسلم موجودة قيل أن يخلق الا كما كانت حقيقة غيره بمعنى أن الله علمها وقدرها .

لكن كان ظهور خبره واسمه مشهورا أعظم من غيره ، فانه كان مكتوبا في التوراة والانجيل وقيل ذلك ، كما روى الامام أحمد في مسنده عن العريضاوي (١) ابن سارية ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " اني عبدالله في أم الكتاب لخاتم النبيين وأن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنيكم يتأويل ذلك : دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى عيسى قومه ، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، وكذلك ترى أمهات النبيين طوات الله عليهم " (٢) .

وحديث ميسرة الفجر : قلت يا رسول الله ، متى كنت نبيا ؟ وفي لفظ متى كتبت نبيا ؟ قال : " وآدم بين الروح والجسد " (٣) .

قال ابن تيمية :

(ولهذا يغلط كثير من الناس في قول النبي صلى الله عليه وسلم فسي الحديث الصحيح الذي رواه ميسرة قال : " قلت يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ وفي رواية - متى كتبت نبيا ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد " . فيظنون أن ذاته ونبوته وجدت حينئذ ، وهذا جهل فان الله انما نبأه على رأس أربعين من عمره وقد قال له : ﴿ بما أوحينا إليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ (٤) .

(١) انظر مجموع الفتاوى ، ٢ / ٢٢٦ - ٢٢٩ .

(٢) المسند ، ٤ / ١٢٧ ، ١٢٨ ، وأخرجه الحاكم في المستدرک ، ٢ / ٦٠٠ ، وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ، ٥ / ٥٩ ، والحاكم في المستدرک ، ٢ / ٦٠٨ - ٦٠٩ ، وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي رجال أحمد رجال الصحيح ، ٨ / ٢٢٣ .

(٤) سورة يوسف ، آية (٤) .

..... ومن قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان نبيا قبل أن يوحى اليه فهو كافر باتفاق المسلمين ، وانما المعنى أن الله كتب نيوته فآظرها وأعلنها بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ الروح فيه ، كما أخبر أنه يكتسب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته بعد خلق جسده ، وقبل نفخ الروح فيه ... وكثير من الجهال المصنفين وغيرهم يرويه " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " " وآدم لا ماء ولا طين " ويجعلون ذلك وجوده بعينه وآدم لم يكن بين الماء والطين بل الماء بعض الطين لامقابله (١) .

وإذا ثبت بطلان كون الرسول صلى الله عليه وسلم موجودا بحقيقته قبل خلق السموات والأرض فقد انهدم أكبر أساس بني عليه ابن عربي نظريته فسي الحقيقة المحمدية ، ثم ان قوله ان الحقيقة المحمدية هي أكبر مظهر تجلي فيه الاله أو أنها هي الله متعينا في أول تعيناته قول لا دليل عليه - فوق أنه كفر - بل الدليل قائم على بطلانه عقلا وشرعا لأن الخالق فيسر المخلوق ، ولو قلنا بأن الخالق هو المخلوق لما كان هناك خلق أصلا .

وهو الذي يؤمن به ابن عربي إذ حاصل كلامه انكار الخلق والقول بقدم العالم ، وقوله عن الحقيقة المحمدية . بأنها مبدأ خلق العالم وسبب وجوده . قول مصادم للنصوص الشرعية التي بينت أن مبدأ خلق العالم هو الماء والعرش كما في قوله تعالى : ﴿ وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء الآية (٢) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء الحديث (٣) (٤)

(١) الفتاوى ، ٨ / ٢٨٢ - ٢٨٣ .
 (٢) سورة هود ، آية (٧) .
 (٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد . باب وكان عرشه على الماء ، ٩ / ١٥٢ .
 (٤) وأما حديث " أول ما خلق الله القلم ، ثم قال اكتب ، فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة . المسند ، ٣١٧/٥ ،

فالأولية في هذا الحديث مقيدة بالنسبة لما عدا العرش والماء ، أو بالنسبة لما صدر منه من الكتابة ، أي قيل له أول ما خلق : اكتب . انظر : فتح الباري ٦ / ٢٨٩ .

وشرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٩٤ - ٢٩٦ .

كما بين القرآن أن الغاية من الخلق هي أن يُعبد الله بما شرع ، قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾^(١) .

وقول ابن عربي بأن الحقيقة المحمدية هي التي أمدت الأنبياء والأولياء بالعلم الباطن قول ينفي الوحي والنبوة والرسالة ، إذ النبوة والرسالة متوقفة على الوحي الذي نزل به الملك على كل نبي .

والنتيجة التي يريد ابن عربي أن يصل اليها هي الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . واتخذ ابن عربي في سبيل تحقيق ذلك الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم بدرجة مساواته بالله عز وجل ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وقد يتوهم بعض الناس حين يظن أن معنى هذا الكلام أننا ننفي أن الرسول صلى الله عليه وسلم نور كما وصفه القرآن بذلك .

والحق أنه ليس معنى وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه نور . أنه مخلوق من نور كما يزعم الصوفية ، وإنما معناه أنه صلى الله عليه وسلم هاد لمن اتبعه ، منير له طريق الهدى وسبيل الرشاد بإذن ربه ، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ﴾^(٢) قوله تعالى : ﴿ ... قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾^(٣) .

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية :

(يقول جل شأنه لهؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب : قد جاءكم يا أهل التوراة والانجيل من الله نور . يعني بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم الذي أثار الله به الحق وأظهر به الاسلام ، ومحق به الشرك فهو نور لمن استنار به يبين الحق)^(٤) .

(١) سورة الذاريات ، آية (٥٦) .

(٢) سورة الأحزاب ، آية (٤٥ - ٤٦) .

(٣) سورة المائدة ، آية (١٥) .

(٤) تفسير الطبري ، ٤ / ١٠٤ .

ولو كان المراد من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم مخلوق من نور لصرح القرآن بذلك أتم تصريح ووضحه أوضح بيان ، ولما كان هناك داع لوصفه بالبشرية . ولكننا نجد نصوص الشرع تؤكد على بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي ^(١) ﴾ .

وأخرج البخاري بسنده عن أم سلمة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (إنما أنا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما ^(٢) أقطع له قطعة من النار) .

وأخرج مسلم بسنده عن عبدالله بن مسعود قال . صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا فقلنا يارسول الله أزيد في الصلاة ؟ قال وماذاك ؟ قالوا طليت خمسا . قال " إنما أنا بشر مثلكم . أذكر كما تذكرون . وأنسى ^(٣) كما تنسون " ثم سجد سجدتي السهو) .

فالنبي صلى الله عليه وسلم نور بالمعنى القرآني - لا كما يزعم الموفية - وهو بشر كغيره من الأنبياء السابقين . وصلتته يربه صلة العبد المخلص فوق بمولاه كما قال تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الي المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع ^(٤) البصير ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ فأوحى الي عبده ما أوحى ^(٥) ﴾ .

فوصفه الله بالعبودية في أشرف مقاماته صلى الله عليه وسلم وهو - مقام القرب من ربه .

-
- (١) سورة الكهف ، آية (١١٠) . وسورة فطمت ، آية (٦) .
 - (٢) سبق تخريجه ، ص ٧ .
 - (٣) سبق تخريجه ، ص ٧ .
 - (٤) سورة الاسراء ، آية (١) .
 - (٥) سورة النجم ، آية (١٠) .

ما هو مقصد ابن عربي من الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

لا شك أن ابن عربي قد خرج من الاسلام الى كفر أشنع من كفر اليهود والنصارى وسائر الكفرة والمشركين بأرائه في وحدة الوجود وما تفرع عنها كالحقيقة المحمدية وغيرها من تنويع مذهبه . ولما كان ابن عربي قد جمع فنونا كثيرة من العلوم والمعارف والفلسفات والأديان الموجودة في عصره ، مع خبث ودهاء وزندقة ، أراد أن يتخذ من الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم ذريعة لادعائه النبوة وأنه هو خاتم الأولياء الذي هو في نظره أفضل من خاتم الأنبياء .

يقول ابن عربي عن نبوة الأولياء :

(اعلم أيديك الله أن النبي هو الذي يأتيه الوحي من عند الله ، يتضمن ذلك الوحي شريعة يتعبد بها في نفسه . فان بعث الى غيره كان رسولا . وهذا باب قد أغلق برسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا سبيل أن يتعبد الله أحدا بشريعة ناسخة لهذه الشريعة المحمدية .

... وأما حالة أنبياء الأولياء في هذه الأمة فهو كل شخص أقامه الحق في تجل من تجلياته ، وأقام له مظهر محمد صلى الله عليه وسلم ومظهر جبريل عليه السلام ، فأسمعه ذلك المظهر الروحاني خطاب الأحكام المشروعة للمظهر محمد صلى الله عليه وسلم حتى اذا فرغ من خطابه وفرغ عن قلب هذا الولي عقل صاحب هذا المشهد جميع ما تضمنه ذلك الخطاب من الأحكام المشروعة الظاهرة في هذه الأمة المحمدية ، فيأخذها هذا الولي كما أخذها المظهر المحمدي (١)

وأما عن ادعائه بأنه خاتم الأولياء الذي هو في نظره أفضل من خاتم الأنبياء فيقول :

فأتى به ختم الولاية مثل ما . . . ختم النبوة بالنبي المرسل
ولنا من الختمين حظ وافر . . . ورشا آتانا في الكتاب المنزل (٢)

(١) الفتوحات المكية ، ١ / ١٥٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ٨٤ .

وقال :

أنا خاتم للأنبياء كما أتى . . . بأن ختام الأنبياء . . . محمدا
خاتم خصوص لا ختام ولايسة . . . تعم فان الختم عيسى المؤيدا^(١)

وعلاقة عيسى عليه السلام بموضوع خاتم الأولياء لأن ابن عربي يرى أن ختم
الولاية نوعان عام وخاص . فختم الولاية العامة لعيسى عليه السلام الذي ينزل
في آخر الزمان نبيا وليا يحكم بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام . أما ختم
الولاية الخاص فهي المرتبة التي ادعاها ابن عربي لنفسه وأضفى عليها عدة
صفات وخصائص من أهمها :

- القول بقدم خاتم الأولياء :

كما هو الحال بالنسبة لخاتم الأنبياء عنده فكذاك خاتم الأولياء كان وليا
وآدم بين الماء والطين وغيره من الأولياء ما كان وليا الا بعد تحصيله شرائط
الولاية من الأخلاق الالهية^(٢) .

- أن خاتم الأولياء مصدر علوم الأولياء والأنبياء :

فكما أن خاتم الأنبياء عند ابن عربي هو مصدر كل علم ومشكاته ، فكذلك
خاتم الأولياء هو المشكاة التي يأخذ منها كل ولي علمه الباطن .

يقول ابن عربي :

« وليس هذا العلم (أي العلم بوحدة الوجود) الا لخاتم الرسائل
وخاتم الأولياء وما يراه أحد من الأنبياء والرسول الا من مشكاة الرسول الخاتم ،
ولا يراه أحد من الأولياء الا من مشكاة الولي الخاتم^(٣) . »

ولكن ابن عربي لم يكتف بهذا الادعاء حتى زعم أن الأنبياء والمرسلين من
حيث كونهم أولياء يأخذون من مشكاة خاتم الأولياء الذي هو ابن عربي نفسه

(١) ديوان ابن عربي ، ص ٢٩٣ .

(٢) انظر : فصوص الحكم ، ص ٦٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

أما من حيث كونهم أنبياء ومرسلين فيأخذون من مشكاة خاتم المرسلين،
ومعنى هذا أن لعلوم الأنبياء والمرسلين اعتبارين :

أحدهما : علوم النبوة والرسالة والتي هي الشريعة والأحكام الظاهرة
وهذه يستمدّها كل نبي من مشكاة خاتم الأنبياء .

الثاني : علوم الولاية . التي هي الحقائق والعلوم الباطنة فهذه
يستمدّها الأنبياء والأولياء من مشكاة خاتم الأولياء^(١) .

وبذلك يكون ابن عربي قد فضل نفسه على جميع الأنبياء والمرسلين بهذا
الكلام الذي هو من وصي الشيطان ، وفيه من الكفر والتنقيص للرسول والاستخفاف
بهم والكفر بما جاءوا به ما لا يخفى على من له أدنى بصيرة . وليس هناك
اسم شرعي لما يسمى بخاتم الأولياء ، وإنما هو منصب صوفي ميتدع لادليل
عليه من الشرع .

نخلص من هذا إلى أن ابن عربي ومن قبله الحلاج ، ومن تبعهم من ملاحدة
الصوفية لم يصدروا في علومهم في الرسول صلى الله عليه وسلم من محبتهم
وتعظيمه واتباع شريعته . وإنما كان مقصدهم من هذا الغلو تعظيم نواتهم
ودعوة المخدوعين من أتباعهم إلى عبادتهم . وهدم الدين الذي جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم ، وإذهب هيئته من النفوس .

فضررهم على دين الإسلام أشد من ضرر اليهود والنصارى وظل الكفر مجتمعة
فيجب على كل من له بصيرة وكل طالب للحق محب لرسول الله صلى الله عليه وسلم،
أن يعرف حقيقة مذهب هؤلاء وضلالتهم وكفرهم حتى لا يخدع بهم ويباطلهم . كما يجب
على أهل العلم والدعاة أن يبينوا للناس حقيقة كفر ابن عربي وأمثاله وضللال
مذهبه لانقاذ عامة الصوفية من افتتانهم بهؤلاء الملاحدة .

(٢)

﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ﴾

(١) انظر: كتاب رد الفصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود ، الملا علي
ابن سلطان القاري . دراسة وتحقيق . الطالب / عبد الله علي الملا
رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى ، ١٤٠٩ هـ ، ١ / ٥٣٤

وانظر: التعليقات على فصوص الحكم ، ص ٢٤ .

(٢) سورة الأنفال ، آية (٤٢) .

المبحث السادس

✻ أشار الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم على الاعتقاد والأعمال ✻

-x-x-

لاشك أن الغلو من أكبر أسباب الانحراف بالدين عن الصراط المستقيم . وقد كان للغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم أكبر الأثر في افساد حقائق الدين وتشويه معالمه ، ولم ينحصر هذا الالساد على جانب دون آخر بل عم الدين كله اعتقادا وعملا وسلوكا ، وسأتحدث في هذا المبحث بايجاز عن دور غلاة الصوفية في افساد العقيدة والعبادة بسبب غلوهم في الرسول صلى الله عليه وسلم .

أولا - في الاعتقاد :

أ - في جانب الألوهية :

يؤمن المسلمون بأن الله متفرد بالخلق والتدبير والألوهية والربوبية، وأن الله واحد لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله ، فجاء ملاحدة الصوفية وزعموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم شريك مع الله في الخلق والتدبير وكشف الضر وجلب النفع الى غير ذلك من صنوف الشرك، وكتب الصوفية وصلواتهم مشحونة بذلك .

يقول البوصيري في السردة التي يترنم بها ملايين الصوفية :^(١)

يا أكرم الخلق مالي من ألود به . . . سواك عند حدوث الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بسبي . . . اذا الكريم تجلى باسم منتقم

(١) شرف الدين أبو عبدالله محمد بن سعيد بن حماد بن عبدالله الصنهاجسي البوصيري المصري (٦٠٨ - ٦٩٦ هـ) نسبة الى بو صير من قرى بني سويف بمصر ، شاعر . أغلب شهره في مديح النبي صلى الله عليه وسلم على طريقة الصوفية . من أشهر قصائده البردة والهمزية والرائية .

انظر : فوات الوفيات . محمد بن شاكر الكتبي ،

تحقيق د . احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ٣ : ٢٦٢

والدليل الشافي على المنهل النافي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ، تحقيق . فهيم محمد شلتوت . من مطبوعات جامعة أم القرى . مركز البحث العلمي ، مكة المكرمة ، ٢ / ٦٢٢ .

(١) فان من جودك الدنيا وضرتها . ومن علومك علم اللوح والقلم

فهذا الشاعر خلق على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوصاف الربوبية والالوهية ما لا يليق وصف أحد به الا الله وحده ، فجعل الرسول وحده ملاذ ومعاذه عند حلول الخطوب ونزول الشدائد ثم نسب الى الرسول الشفاعة مطلقا كما يعتقده المشركون في الشفاعة الشركية التي تكون بدون اذن ولا رضى من المشفوع عنده وانما تكون بجاه الشافع ومكانته فقط .

ثم نراه يجعل الدنيا والاخرة من جوده ، وأن علم اللوح والقلم من بعض علومه وهذا مع ما فيه من الشرك كفر بالله عز وجل . لأن كل ما ذكره من أوصاف الربوبية والالوهية لا يجوز بأي حال من الأحوال وصف أي مخلوق بها وانما هي من صفات الخالق وحده .

قال تعالى : ﴿ آمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إله مع الله قليلا ما تذكرون ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا ﴾ (٣) وللشفاة غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله . . . الآية ، وقال تعالى : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما ﴾ (٤) (٥)

(٦) ويقول البكري في قصيدة له :

ولد به في كل ما ترتجي . فاناه المأمّن والمعقل
وناده ان أزمة أنشبت . أظفارها واستحكم المعضل

(١) ديوان البوميري . تحقيق محمد سيد كيلاني طبع مطبع الحلبى مصر ١٣٧٤ هـ ص ٢٠٠ .

- (٢) سورة النمل ، آية (٦٢) .
(٣) سورة طه ، آية (١٠٩) .
(٤) سورة هود ، آية (١٢٣) .
(٥) سورة طه ، آية (١١٠) .

(٦) هو محمد بن أبي الحسن البكري المديقي الشافعي (٩٣٠ - ٩٩٤ هـ) ، محدث . اخباري . من تصانيفه . الجواهر الثمين من كلام سيد المرسلين ، تأييد المنة بتأييد أهل السنة وغيرها .

انظر : معجم المؤلفين ، ٩ / ١٨٥ ،

والاعلام ، ٧ / ٦٠ .

يا أكرم الخلق على ربه . . . وخير من فيهم به يسئل
 قد مسني الكرب وكم مرة . . . فرجت كربا بعضه بعضا
 فبالذي خصك بيمن السورى . . . برتية منها العلاتنزل
 عجل باذهب الذي اشتكى . . . فان توقفت فمن أسأل^(١)

وهذا مع ما فيه من شرك قدح في الألوهية وتفرّد الله بتدبير الكون وحده ، ولم يتوقف شركهم وكفرهم عند هذا الحد حتى زعموا أن محمدا عين ذات الله وهو من الحق بمنزلة انسان العين من العين وأنه روح الله المنفوخ في آدم .

يقول أحمد بن ادريس في احدى صلواته :^(٢)

" اللهم صل على الكنه الذاتى والقدس الصفاتى ، نور الاسماء ، ورداء الكبرياء ، أزار العظمة الالهية ، عين الاحاطة الذاتية ، تجليات الغيب والشهادة ، روح حياة الماء ، الروح الالهى ، والنور البهاء ، رحمة الوجود وعلم الشهود صلاة ذاتية أزلية أبدية . اللهم وسلم عليه مثل ذلك "^(٣)

ويقول صاحب دلائل الخيرات :

" اللهم صل على سيدنا محمد بحر أنوارك ومعدن أسرارك ، ولسان حجتك وعروس مملكتك ، وامام حضرتك ، وطرز ملكك ، وخزائن رحمتك ، وطريق شريعتك المتلذذ بتوحيدك انسان عين الوجود والسبب في كل موجود عين أعيان خلقك المتقدم من نور ضيائك صلاة تدوم بدوامك وتبقى ببقائك لامنتهى لها دون علمك صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يارب العالمين "^(٤)

(١) أورد هذه القصيدة محمد بن علوي المالكي في كتابه الذخائر المحمدية ، القسم الأول ، ص ١٥٨ ، مطبعة حسان ، القاهرة ، وقال انها مجربة لقضاء الحوائج وتقرأ في آخر الليل بعد ما تيسر من الصلاة ، ويكرر بيت : عجل باذهب الذي اشتكى ثلاثا وسبعين مرة .

(٢) هو أحمد بن ادريس الحسنى صاحب الطريقة الأحمديّة الادريسيّة المنتشرة في المغرب والسودان وغيرهما . ولد بفاس وانتقل الى مكة ثم رحل الى اليمن فمكّن صبا الى أن مات . وهو جد الإدارة الذين كانت لهم امارة هسير ونواحيها وكان صوفيا على دين ابن عربي . له عدة كتب منها العقد النفيس ، والسلوك وروح السنة توفي سنة ١٢٥٣هـ .

(٣) مجموعة أحزاب وأوراد ورسائل . تأليف أحمد بن ادريس ، ص ٦٢ .

(٤) دلائل الخيرات . محمد بن سليمان الجزولي ، ص ٧٢ .

ويقول صاحب كتاب النفحات الأقدسية في خطية كتابه :

(نحمدك اللهم يا من صلى على محمد بفيض ذاته فكان مجلس له في جميع تجلياته فهو روح الله المنفوخ في صورة آدم . وطامة الحقائق الكبرى لسائر العالم فلا يصل واصل الا اليه ولا يهتدي حائر الا به فيه عليه . وأشهد أن لا اله الا الله ولا موجود في هذا الوجود الا اياه وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم انسان عين ذاته وعر امداداته)^(١)

ويقول عبدالكريم الجيلي :^(٢)

(اعلم حفظك الله أن الانسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله الى آخره ، وهو واحد منذ كان الوجود الى أيد الأبدین ، ثم له تنوع في ملابس ، ويظهر في كنانس ، فيسمى به باعتبار لباس ، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر ، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد ، وكنيته أبو القاسم ، ووصفه عبدالله ، ولقبه شمس الدين واعلم أن الانسان الكامل مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه ، فيقابل الحقائق العلوية بلطافته ، ويقابل الحقائق السفلية بكشافته . . ثم اعلم أن الانسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الالهية استحقاق الأصالة والملك بحكم مقتضى الذاتى فانه المعبر عن حقيقته بتلك العبارات ، والمشار الى لطيفته بتلك الاشارات ليس لها مستند في الوجود الا الانسان الكامل ، فمثاله للحق مثال المرأة التي لا يرى الشخص صورته الا فيها ، والا فلا يمكنه أن يرى صورة نفسه الا بمرآة الاسم " الله " فهو مرآته ، والانسان الكامل أيضا مرآة الحق . فان الحق

(١) النفحات الأقدسية في شرح الطلوات الأحمدية الادريسية ،

محمد بهاء الدين البيطار . طبع دار الجيل ، بيروت ، ص ٣ .

(٢) عبدالكريم بن ابراهيم بن عبدالكريم الجيلي ، ابن سبط الشيخ عبدالقادر

الكيلاني ، (٧٦٢ - ٨٢٠ أو ٨٣٢ هـ) كان صوفيا على دين ابن عربي .

من مؤلفاته : الانسان الكامل في معرفة الأواخر ، والأوائل .

شرح مشكلات الفتوحات المكية .

وحقيقة الحقائق التي هي للحق من وجه ومن وجه للخلاق .

و الكمال الالهية في الصفات المحمدية .

انظر : معجم المؤلفين ، ٥ / ٣١٣ ، والأعلام ، ٤ / ٥٠ - ٥١ .

تعالى أوجب على نفسه ألا ترى أسماؤه ولا صفاته إلا في الإنسان الكامل (١) وتصور
كلامهم في هذا الباب كاف لا ثبات بطلانه (٢) .

ب - أما اعتقادهم في الرسول صلى الله عليه وسلم فيخالف اعتقاد عامة
المسلمين في جوانب كثيرة :

فإذا كان المسلمون يعتقدون أن محمداً صلى الله عليه وسلم وجميع الأنبياء
والرسل من قبله بشر مثل بقية البشر في كل شيء غير أنهم مفضلون بالوحي
وبخصائص تناسب نبوتهم ورسالتهم . وهذا هو الاعتقاد الصحيح الذي نطق به
القرآن والسنة وأجمع عليه المسلمون على مر العصور .

فجاء ملاحدة الصوفية وحولوا أتباعهم من هذا الاعتقاد الصحيح إلى عقيدة
وثنية تجعل من محمد صلى الله عليه وسلم المجلى الأعظم للذات الإلهية وأنه
الواسطة بين الوجود المطلق وهو الله وبين عالم الطبيعة . وبالتنـزـل
صار محمد هو الله عندهم وقد سبق في النصوص ما يؤيد ذلك ، ويؤمن
المسلمون بأن أول ما خلق الله هو الماء والعرش ثم القلم ثم خلق السموات
والأرض كما بين ذلك الله ورسوله (٣) .

ولكن الصوفية تعتقد بأن أول ما خلق الله هو محمد صلى الله عليه وسلم
ومنه خلق كل شيء ولما كانت نصوص الشرع على خلاف ذلك والآيات والأحاديث تبين
أن أول ما خلق الله هو الماء والعرش ثم القلم ، حاولوا التوفيق بين ضلالهم وبين
هذه النصوص فأطلقوا على الحقيقة المحمدية أسماء مثل عرش التجلي
الذاتي ، والقلم الأعلى ، وأم الكتاب ، إلى غير ذلك من الألقاب الكثيرة التي
خلعوها على الحقيقة المحمدية .

(١) الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر . عبدالكريم الجيلي ، ط ٢ ،

مصطفى الحلبي ، مصر ، ١٣٩٠ هـ ، ٧٢ / ٢ - ٧٧ .

(٢) انظر مناقشة الحقيقة المحمدية وبيان بطلانها في المبحث السابق ، ص ١٦٦

(٣) انظر مناقشة الحقيقة المحمدية .

يقول أحمد بن إدريس في إحدى صلواته :

(اللهم صل على مولانا محمد نورك اللامع ومظهر شرك الهامع الذي طرقت
بجماله الأكوان وزينت ببهجة جلاله الأوان ، الذي فتحت ظهور العالم من نور
حقيقته وختمت كماله بأسرار نبوته فظهرت صور الحسن من فيضه في أحسن تقويم
ولولا هو ما ظهرت لصورة عين من العدم الرميم)^(١)

ويقول في صلاة أخرى :

(اللهم صل على أم كتاب كمالات الذات ، عين الوجود المطلق الجامع
لسائر التقييدات . صورة ناسوت الخلق ، معاني لاهوت الحق ، الغيب الذات ،
والشهادة الأسماء والصفات الناظر بالكل في الكل من الكل للكليات والجزئيات)^(٢)

ويعتقد المسلمون بأن الله خلق هذا الكون من العدم وأوجده على غير
مثال سابق . لكن الصوفية تؤمن بأن الله خلق هذا الكون من نور محمد صلى
الله عليه وسلم ويستشهدون بحديث النور المنسوب إلى جابر بن عبد الله وقد
سبق ذكره وبيان بطلانه .^(٣)

يقول الدبّاغ :^(٤)

(اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسموات وأرضين وجنات
وحجب ، وما فوقها ، وما تحتها ، إذا جمعت كلها ، وجدت بعضاً من نور محمد ،
وأن مجموع نوره لـوضع على العرش السذاب ، ولـوضع
وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت ، ولو جمعت المخلوقات كلها
ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتماقتت)^(٥)

(١) مجموعة أحزاب وأوراد ورسائل ، ص ٥٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٦ - ٥٧ .

(٣) انظر ص ١٦٤ - ١٦٥ من هذا البحث .

(٤) هو عبدالعزيز بن مسعود المعروف بالدبّاغ ، (١٠٩٥ - ١١٣٢ هـ) ، صوفي ، من
أهل فاس بالمغرب ، كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولاتباعه مبالغة في الشناء
عليه ونسبة الخوارق إليه . من آثاره الأبريز من كلام سيدي عبدالعزيز
جمعه أحمد بن مبارك السجلماسي .

انظر : الأعلام ، ٢٨ / ٤ ،

ومعجم المؤلفين ، ٥ / ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٥) هذه هي الصوفية . تأليف عبدالرحمن الوكيل ، ط٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت
١٤٠٤ هـ ، ص ٨٧ ، نقلاً عن الأبريز للدبّاغ ، ٢ / ٨٤ .

وإذا كان المسلمون يؤمنون بأن القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يدري عن القرآن شيئاً قبل نزوله عليه كما قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ (١) ، ﴿ وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾ (٢) ولكن فلاحدة الصوفية تأبى هذه الحقيقة وتعديل عنها إلى الأفك والبهتان فتزعم أن جبريل عجب حين رأى محمداً صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن قبل أن يعلمه إياه فسأله جبريل فأجابه قائلاً : ارفع الستر مرة حين يلقي إليك الوحي ، ففعل جبريل ذلك فرأى محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذي يوحى إليه ، فصاح سبحان الله : منك واليك يا محمد ، وهذا دليل واضح على تلاعب الشيطان بعقولهم وأحلامهم ، إذ لا يصدق بهذه الخرافة إلا من ليس له أدنى تمييز ، وقد أرسلهم هذه الأسطورة ابن عربي كاهن الصوفية الأكبر إذ يفسر قول الله تعالى : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه ﴾ (٣) يقول :

(اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطي القرآن مجملاً قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور فقليل له ولا تعجل بالقرآن الذي عندك قبل جبريل فتلقه على الأمة مجملاً فلا يفهمه أحد منك لعدم تفصيله) (٤) .

وهذه فرية واضحة البطلان يكذبها القرآن وحال الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان ينتظر نزول الوحي عليه ليعرف حكم الله فيما يجد من الحوادث والنوازل . وإذا كان المسلمون يؤمنون بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الشورى ، آية (٥٢) .

(٢) سورة العنكبوت ، آية (٤٨) .

(٣) سورة طه ، آية (١١٤) .

(٤) الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر للشعراني . بهامش اليواقيت

والجواهر ، طبع مصطفى الحلبي ، مصر ، ١٣٧٨ هـ ، ص ٦ .

وانظر . هذه هي الصوفية ، ص ٨٩ - ٩٢ .

أرسل في زمان ومكان معينين وأن الرسل السابقين عليه أرسل كل واحد منهم الى قوم معينين في زمان معين .

الا أن غلاة الصوفية تعتقد بأن الرسول في كل العصور واحد هو محمد صلى الله عليه وسلم وأن الرسل السابقين ليسوا الا صورا لمحمد صلى الله عليه وسلم ويروون في هذا شعرا :

كل النبيين والرسل الكرام أتوا . نيابة عنه في تبليغ دعواه
فهو الرسول الى كل الخلائق في . كل العصور ونابت عنه أفواه^(١)

وإذا كان المسلمون يعتقدون بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمات كما يموت سائر البشر بعد أن بلغ رسالته قال تعالى : ﴿ انك ميت وانهم ميتون ﴾^(٢) إذا بمتأخري الصوفية يعتقدون بأن الرسول حي وأنه يرى يقظة لا مناما ، وأن مشايخ الصوفية يتلقون عنه مباشرة ويجتمعون به . وهذا من أظهر البطلان الذي يكذبه التاريخ والواقع ويستحيل أن تقبله الفطر والعقول .^(٣)

✽ فساد مفهوم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم :

بعد أن كانت محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تعني ايثار حبه على كل مخلوق سواه ، وطاعته واتباعه . صار معناها عند غلاة الصوفية عبادته ودعاؤه والسؤال به وتأليف الصلوات المبتدعة وعمل الموالد وانشاد القمائد الشركية في الاستغاثة به وصرف وجوه العبادة اليه صلى الله عليه وسلم . وبعد أن كان تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباعه والأدب معه وتوقيره ، صار التعظيم عندهم هو الغلوفيه صلى الله عليه وسلم باخراجه عن حد البشرية ورفعها الى مرتبة الألوهية .

هذا عن دور الغلاة في افساد عقيدة المسلمين في الله ورسوله وتحويلهم عن الاسلام والتوحيد الخالص الى عقائد وثنية مخالفة للاسلام جملة وتفصيلا .

(١) انظر النفحات الأقدسية ، ص ١٧ .

(٢) سورة الزممر ، آية (٣٠) .

(٣) سيأتي مزيد بيان في الرد على هذه الخرافة في مبحث البدع التي ظهرت بدعوى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثانيا - آثار الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم على العبادات الشرعية :

أدى الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم الى الانحراف بالعبادات عن وضعها الشرعي ، وتأويلها ، وابتداع عبادات ما أنزل الله بها من سلطان فبعد أن كان المسلمون يرون أن أعظم أعمالهم يعد الايمان بالله هو الصلاة وبقية أركان الاسلام . جاء غلاة الصوفية فزعموا أن أجل الأعمال هو الايمان بوحدة الوجود والتحقق بها (أي الفناء في ذات الله) ، والايمان بالحقيقة المحمدية ، والصلاة عليها بأكثر الطلوات شركا وكفرا وقضاء الأعمار في الخلوات والأذكار المبتدعة ، وسيأتي لهذا مزيد بيان .^(١)

ويؤمن المسلمون بأن أجل ماورثوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هو هديه وسنته ، فجاءت الصوفية لتزعم بأن أجل ماورثوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الطريقة ، والحقيقة ، والتصوف الفلسفي بمقاماته واصطلاحاته ، وهلم جرا .

أما هديه صلى الله عليه وسلم وسنته فلا يعرفونها ولا يعرفون لها رأسا بل يرون أن المشتغلين بالسنة . الداعين اليها هم من ألد خصومهم . لأن مهمتهم نشر الهدى ودين الحق الذي فيه ابطل كل خرافات وأباطيل الملاحدة والزنادقة قديما وحديثا .

(١) انظر : مبحث البدع التي ظهرت بدعوى المحبة .

قال ابن تيمية في شرح هذا الحديث :

(وقوله : " اياكم والغلو في الدين " عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال . والغلو : مجاوزة الحد بمان يزداد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ، ونحو ذلك ، والنصارى أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف . واياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾^(١) .

وسبب هذا اللفظ عام : رمي الجمار . وهو داخل فيه ، فالغلو فيه مثل الرمي بالحجارة الكبار ، ونحو ذلك . بناء على أنه أبلغ من الحصى المضار ثم علل ذلك : بأن ما أهلك من قبلنا إلا الغلو في الدين كما نراه في النصارى . وذلك يقتضي : أن مجانية هديهم مطلقا أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا ، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه أن يكون هالكا^(٢) .

ومنها ما أخرجه البخاري بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله على الله عليه وسلم يقول : (لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم . فانما أنا عبده . فقولوا عبد الله ورسوله)^(٣) .

ففي هذا الحديث تحذير واضح لهذه الأمة من الاطراء في مدحه على الله عليه وسلم حتى لايفضي ذلك الى الغلو فيه كما غلت النصارى من قبل في عيسى ابن مريم عليه السلام . والنهي عن الاطراء في هذا الحديث يحتمل أمرين :
- اما النهي عن مطلق المدح والاقترار على وصفه بأنه عبد الله ورسوله .
- واما النهي عن المبالغة في المدح لثلا يؤولي ذلك الى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بصفات الألوهية . ولكلا الأمرين ما يؤيده من الأحاديث^(٤) .

(١) سورة النساء ، آية (١٧١) .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ، ١ / ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٣) سبق تخريجه ، ص ٩ .

(٤) انظر : التوسل . أنواعه وأحكامه . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ،

ط ٥ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٨٨ - ٨٩ .

وبين الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث منزلته التي أنزله الله إياها ، وهي مرتبة العبودية لله عز وجل ، ثم مرتبة الرسالة التي اصطفاه الله لها . فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته أن تصفه بالعبودية والرسالة ولاتتجاوز ذلك الى غيره من الأوصاف التي تتضمن الاطراء المنهي عنه ومع أن هذا الحديث حجة قاطعة في النهي عن الاطراء وسد باب الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم الا أن الغلاة حاولوا تأويل هذا الحديث بما يبطل معناه ويؤدي الى نقيضه ، فزعموا أن الاطراء المنهي عنه في هذا الحديث هو اطراء مشابه لاطراء النصارى لعيسى ، ووصفهم له بصفات الألوهية والربوبية وقولهم عنه أنه الله أو ابن الله . وما سوى ذلك من أنواع الاطراء فليس بمذموم بل هو مستحب . فأجازوا اطراء الرسول صلى الله عليه وسلم بما دون وصفه بصفات الألوهية والربوبية وظنوا أن هذا من قبيل التعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما قال البوصيري في البردة :

دع مينا ادعته النصارى في نبيهم . . وأحکم بما شئت مدحافيه واحتکم
فانسب الى ذاته ماشئت من شـرف . . وانسب الى قدره ماشئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له . . حد فيعرب عنه ناطق بـفـم^(٢)

وهذا جهل واضح بمعنى الحديث ومقضود الرسول صلى الله عليه وسلم به لأن معناه النهي عن المدح أصلاً ، أو النهي عن المبالغة فيه . ثم ان تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون الا بما شرعه ، ووصفه ومدحه بدون قيد قد يدخل في أنواع من الشرك كالاستغاثة به صلى الله عليه وسلم عند الشدائد وطلب الحاجات منه الى غير ذلك من أنواع الغلو المفضي الى الشرك ، الذي نهى الله ورسوله عنه .

وليت هؤلاء الغلاة وقفوا في اطراءه صلى الله عليه وسلم عند هذا الحد فلم يصفوه بصفات الألوهية والربوبية كما فعلت النصارى ، بل انه قد وصل بهم

(١) انظر الجوهر المنظم في زيارة القبر النبوي لابن حجر الهيتمي ص ٦١

(٢) ديوان البوصيري ص ١٩٣ .

الفلو الى مساواة الرسول صلى الله عليه وسلم بالله .

يقول صاحب كتاب النفحات الأقدسية :

(فشان محمد في جميع تصرفاته هو شان الله تعالى ، فليس لمحمد صلى
صلى الله عليه وسلم من محمد شيء ولذلك كان نورا ذاتيا من عين ذات الله)^(١)
وفي هذا الكلام من الكفر الصريح مافيه والذي يناقض ما جاء به الرسول صلى
الله عليه وسلم من تحقيق التوحيد وبد الذرائع الى الشرك .

ومن الأحاديث التي وردت في النهي عن الاطراء في المدح ما أخرجه الامام
أحمد بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن رجلا قال : يا محمد ،
ياسيدنا ، وابن سيدنا ، وخيرنا ، وابن خيرنا ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم " عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان . أنا محمد بن عبدالله ،
عبدالله ورسوله والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل)^(٢)

وأخرج أبو داود بسنده عن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال :
(انطلقت في وفد بني عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : أنت
سيدنا فقال : السيد الله تبارك وتعالى . قلنا : وأفضلنا فضلا ، وأعظمتنا
طولا . فقال : " قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجربنكم الشيطان ")^(٣)

قال الخطابي :

(وانما منعمهم - فيما نرى - أن يدعوهم سيديا ، مع قوله " أنا سيد
ولد آدم " ، وقوله للخزرج " قوموا الى سيدكم " - يريد عهد بن معاذ
من أجل أنهم قوم حديثو عهد بالاسلام ، وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة
كما هي بأسباب الدنيا ، وكان لهم رؤساء يعظمونهم ، وينقادون لأمرهم ،
ويسمونهم السادات ، فعلمهم الشناء عليه وأرشدهم الى الأدب في ذلك ، فقال :

(١) النفحات الأقدسية ، ص ٩ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ٧٢ .

(٣) سنن أبي داود . كتاب الأدب ، باب كراهية المدح ، ٥ / ١٥٤ - ١٥٥ ،
والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ، ٢ / ٢٢٦ .

" قولوا بقولكم " يريد قولوا بقول أهل دينكم وملتكم ، وادعوني نبيا
ورسولا ، كما سماني الله عز وجل في كتابه ، فقال : ﴿ يا أيها النبي ﴿
﴿ يا أيها الرسول ﴿ ، ولاتسموني سيدا كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم
ولاتجعلوني مثلهم ، فاني لست كأحدكم ، إذ كانوا يسودونكم بأسباب الدنيا
وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة ، فسموني نبيا ورسول الله (١) .

فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه أن يواجهوه بالمدح لئلا
يفضي ذلك الى الغلو ، وأخير أن مواجهة الصالح للممدوح بمدحه - ولو بمافيه -
من عمل الشيطان لما يقتضيه المدح والاطراء من تعظيم الممدوح في نفسه وهذا
ينافي التوحيد ، لأنه يدخل في النفس الكبر والعجب المفسد للاعتقاد والعمل .

كما في الحديث القدسي (الكبرياء رداي والعظمة ازاري فمن نازعني
شيئا منهما قذفته في النار) . وفي الحديث (لا يدخل الجنة من كان في
قلبه مثقال ذرة من كبر) . وهذه الآفات سببها محبة المدح ، لأجل هذا كره
الرسول صلى الله عليه وسلم من أصحابه أن يواجهوه بالمدح والاطراء حتى
لا ينافي هذا عبوديته الخالصة لربه ، فمقام العبودية يقتضي كراهية المدح
أصلا ، والنبي صلى الله عليه وسلم لما أكمل الله له مقام العبودية صار
يكره أن يمدح صيانة لهذا المقام ، وأرشد الأمة الى ترك ذلك نصحا لهم ،
وحماية لمقام التوحيد من أن يدخل عليه ما يفسده من الشرك ووسائله ﴿ فبذل
الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ﴿ . ورأوا أن فعل ما نهاهم الرسول
صلى الله عليه وسلم عن فعله قربة من أفضل القربات ، وحسنة من أعظم الحسنات . (٥)

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : (أنا محمد بن عبدالله ، عبدالله
ورسوله والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل) دليل

-
- (١) معالم السنن للخطابي ، ٥ / ١٥٥ .
(٢) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس ، باب ما جاء في الكبر ، ٤ / ٢٥٠ - ٢٥١ .
وبنحوه أخرجه مسلم مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم . كتاب البصر .
باب تحريم الكبر ، ٤ / ٢٠٢٣ .
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الايمان ، باب تحريم الكبر ، ١ / ٩٣ .
(٤) سورة البقرة ، آية (٥٩) .
(٥) أنظر . تيسير العزيز الحميد ، ص ٧٢١ - ٧٢٢ .

قاطع على كراهية الرسول للمدح بما سوى العيودية والرسالة وأخبر أن هذه هي منزلته الحقيقية التي أنزله الله إياها ، وهذا مما يبين أن الغلاة قد سلكوا في غلوهم مسلكا لا يحبه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يرضاه بل نهى عنه في مواقف كثيرة .

وقد أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم على من قال له ماشاء الله وشئت فقال له : (أ جعلتني والله عدلا بل ماشاء الله وحده)^(١) . كما أنكر على من ممااد رضي الله عنه حينما هم أن يسجد له . ومعاد انما قصد بذلك تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن النبي أنكر عليه ذلك لأنه لا ينبغي السجود إلا لله وحده ، فكل من عظم الرسول صلى الله عليه وسلم بما لم يشرعه فقد غلا فيه وان ظن أنه بذلك معظما .

ومن هذا الباب نهيه صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره ميذا ومسجدا حتى لاتقع الأمة في الشرك . فحقق الرسول صلى الله عليه وسلم لأمتة التوحيد وسد كل الذرائع الى الشرك وقطع أسبابه والتي من أعظمها الغلو فيه ، لأجل هذا كان الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم محرما لأنه يفضي الى الشرك والكفر ، ولما يتضمنه هذا الغلو من القدح في مقام الألوهية وتفرد الله بصفات الربوبية .

ولأن فيه تنقيها للنبي صلى الله عليه وسلم لأن كماله في عبوديته لربه كما يتضمن الكذب عليه لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ما دعا الخلق إلا الى افراد الخالق بالعبادة ، ولم يدعهم الى عبادة نفسه ووصفه بصفات الرب كما أنه لم يدع أنه من نور ، أو أن له في الكون شيئا من التدبير ، أو أنه يعلم الغيب الى غير ذلك مما يعتقده الغلاة فيه .

بل عد ذلك مما يناقض الدين الذي جاء به ، قال تعالى : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان أتبع الا ما يوحى الي ﴾^(٣) الآية .

(١) سبق تخريجه ، ص ٧٢ .

(٢) انظر المسند ، ٤ / ٣٨١ ، ٥ / ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٣) سورة الأنعام ، آية (٥٠) .

وقال تعالى : ﴿ قل أنما أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ، قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ، قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا ﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يوئيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ، ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾^(٢) .

ثم ان الصحابة رضوان الله عليهم - وهم أعلم خلق الله بعد رسوله صلى الله عليه وسلم بالدين وأشهدهم حبا وتعظيما لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ومعرفة لحقوقه - لم يتعاملوا معه صلى الله عليه وسلم الا صلى أنه بشر مثلهم رسول ، لا على أنه انسان حل فيه الاله ، أو أنه روح الله أو أنه مخلوق من نور الى آخر ما يعتقد الغلاة . ولا دعوا الناس الى ذلك ، وانما دعوهم الى توحيد الله وافراده بالعبادة، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد لله اصطفاه الله لرسالته وعلى هذا جرى سلف هذه الأمة . الى أن رفعت الزندقة رأسها فوجد في الأمة من أنواع الغلو ما يناقض شرع الله .

وما علمت هذه المقالات ولا ابتدعت الا من أناس زنادقة منافقين كالحلاج وابن عربي والجيلي وابن الفارض وغيرهم من الغلاة الذين سار على نهجهم أكثر الصوفية حتى زماننا هذا .

- (١) سورة الجن ، آية (٢٠ - ٢٢) .
(٢) سورة آل عمران ، آية (٧٩ - ٨٠) .

(٣) عمر بن علي بن مرشد المعروف بابن الفارض حموي الأصل ، مصري المولد والدار والوفاة . اشتغل بالفقه والحديث أول أمره ثم انتقل الى التصوف فكان أكثر الصوفية شعرا ، ومن أشهر شعره تائيه السلوك التي جمع فيها فنون الالحاد والاتحاد والكفر برب العالمين . توفي (٦٣٢ هـ) . قال عنه الذهبي " ينعق بالاتحاد الصريح في شعره وهذه بلية عظيمة فتدبر نظمه ولا تستعجل ولكنك حسن الظن بالصوفية ، وما ثم الا زي الموفية واشارات مجملة وتحت الزي والعبارة فلسفة وآفاعي فقد نصحتك والله الموعد " . ميزان الاعتدال ، ٣ / ٢١٤ - ٢١٥ .
وانظر : لسان الميزان ، ٤ / ٣١٧ - ٣١٩ ،
وشدرات الذهب ، ٥ / ١٤٩ - ١٥٣ .

وهذه المقالات التي ابتدعوها هي كفر وزندقة متسترة بدعوى حبهم للرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيمه . فهي في ميزان الشرع كفر صريح أو مؤديسة للكفر ومن اعتقد فيها وقال بها عن علم فقد كفر . وذلك كالقول بقدم النور المحمدي وأنه مادة العالم وأن الرسول كان يحققه موجودا قبل أن يخلق آدم وأنه انسان عين الله ، وأنه هو الحقيقة الالهية السارية في الوجود بأسره وأن الحقيقة المحمدية هي العقل الكلي الذي يصل ما بين الوجود المطلق وهو الله وما بين عالم الطبيعة (الخلق) .

وأن الحقيقة المحمدية هي روح الله المنفوخ في آدم وأن محمد صلى الله عليه وسلم كان خلقا في ظاهره خالقا في باطنه وأن الأنبياء كانوا صورا للحقيقة المحمدية وأن الحقيقة المحمدية ليست الا الله متعينا فسي أول تعييناته وهي اسم الله الأعظم الى غير ذلك من العقائد الباطلة . فهذه الأمور من اعتقدها فلا شك في كفره وزندقته ، كما حكم جمع مع العلماء بكفر ابن عربي ومن تابعه على معتقده . ومع كون هذه الأمور كفرة بواحا ، الا أن هؤلاء الزنادقة الضلال مؤهوه وزخرفوه وأخرجوه في قالب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وحببوا الناس عن تلقي حقائق الشرع ، والعلم بالدين حتى لا ينكشف للناس زيفهم وضلالتهم .

وشجعهم على ذلك انتشار الجهل بين غالبية المسلمين حتى عد هؤلاء الضلال من علماء الدين وأولياء الله الصالحين . فراجت في سوق الجهل بضاعتهم وأقبل عليها الجهال يحسبوننا ديننا يتقربون به الى الله فاذا بهم قد وقعوا في الشرك الأكبر وصاروا عبيدا لهؤلاء الضلال يتلامعون بعقولهم كما يتلامس الصبيان بالكرة . والمحفوظ من حفظه الله فأنار بصيرته وفتح للحق قلبه ومقله

(١) انظر . العقد الثمين ، ٢ / ١٦٠ وما بعدها .

وتنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي ، ص ١٥٠ وما بعدها .

الفصل الثاني

﴿ الابتداء ﴾

-x-

وفيه ثلاثة مباحث

﴿ المبحث الأول (تعريف البدعة وبيان حكمها) .

﴿ المبحث الثاني (البدع التي ظهرت بدعوى محبة الرسول
صلى الله عليه وسلم)

﴿ المبحث الثالث (آثار الابتداء) .

المبحث الأول

﴿ تعريف البدعة وبيان حكمها ﴾

-x-

البدعة في اللفظة : اسم هيئة من الابتداء كالرفعة من الارتفاع وهي : كل شيء أحدث على غير مثال سابق . سواء أكان محمودا أم مذموما . وهي مأخوذة من بدع الشيء يبدعه بدعا إذا أنشأه واخترعه .

قال ابن فارس :

(" بدع " . الباء والداال والعين أصلان : أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال والآخر الانقطاع والكلال)^(١)

وجاء في لسان العرب :

(بدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه : أنشأه وبدأه... والبديع والبدع : الشيء يكون أولا . وفي التنزيل : ﴿ قل ما كنت بدعا من الرسل ﴾^(٢) ، أي ما كنت أول من أرسل ، قد أرسل قبلي رسل كثير . والبدعة : الحدث وما ابتدئ في الدين بعد الاكمال وأبدع وابتدع وتبدع : أتى ببدعة . قال الله تعالى : ﴿ ورهبانية ابتدعوها ﴾^(٣) ، وبدعه : نسيه الى البدعة... والبديع : المحدث العجيب ، ... وأبدعت الشيء : اخترعته لا على مثال . والبديع من أسماء الله تعالى لابتداعه الأشياء واحداه اياها . وهو البديع الأول قبل كل شيء . ورجل بدع وامرأة بدعة : إذا كان غاية في كل شيء ، كان عالما أو شريفا أو شجاعا)^(٤)

هذا ما يختص بالأصل الأول من معاني الكلمة ، وهو الاختراع والاحداث وأما

ما يختص بالأصل الثاني : وهو الانقطاع والكلال ، فمنه قولهم - كما جاء في

(١) معجم مقاييس اللفظة ، ١ / ٢٠٩ .

(٢) سورة الأحقاف ، آية (٩) .

(٣) سورة الحديد ، آية (٢٧) .

(٤) لسان العرب ، مادة بدع ، ٨ / ٦ - ٧ .

لسان العرب : (٠٠٠٠) . أبدعت الابل : بركت في الطريق من هزال أو داء أو كلال،
وفي الحديث " اني أبدع بي فاحملني " (١) . كأنه جعل انقطاعها عما
كانت مستمرة عليه من عادة السير ابداعا أي انشاء أمر خارج عما اعتيد منها (٢)
(٣)

وهذا راجع الى المعنى الأول . لأن انقطاع الدابة عن السير طاريء على
عادتها وأمر حادث لم يكن من قبل . ومن هذا المعنى الثاني أخذت البدعة أيضا ،
لأنها وإن كانت شيئا مخترا لم يسبق له مثيل إلا أن فيها معنى الانقطاع ، لأنها
تنقطع بصاحبها عن سلوك الصراط المستقيم .

وعلى هذا فالكلمة تدور على معنى الاحداث والاختراع والخروج عن حد المألوف
والمعهود .

قال الشاطبي :

(ومن هذا المعنى - أي الاحداث والاختراع - سميت البدعة بدعة ،
فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداء ، وهيئتها هي البدعة ، وقد يسمى
العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة . فمن هذا المعنى سمي العمل الذي لا دليل
عليه في الشرع بدعة ، وهو اطلاق أخص منه في اللغة) (٤)

-
- (١) أبدع : انقطع اذا هلكت دابته ولم يجد ما يركبه .
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الامارة . باب فضل امانة الغاري في سبيل الله
بمركوب وغيره ، ٣ / ١٥٠٦ .
وأبو داود في كتاب الأدب ، باب في الدال على الخير ، ٥ / ٣٤٦ .
(٣) لسان العرب . مادة بدع ، ٨ / ٩ .
(٤) الاعتصام للشاطبي ، ١ / ٣٦ .

* تعريف البدعة اصطلاحاً :

بعد بيان المعنى اللغوي للبدعة أنتقل لبيان معناها الاصطلاحية لنرى العلاقة بين المعنيين . وأول ما يقابلنا في البحث عن تعريف العلماء للبدعة هو أنه ليس هناك تعريف موحد متفق عليه بين العلماء ، إذ انقسم العلماء في تعريف البدعة الى فريقين :

- الفريق الأول وسع مدلول البدعة لتشمل كل ما حدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كان مذموماً أو محموداً .
- والفريق الثاني قصر مدلول البدعة على الحادث المذموم الذي لم يرد به الشرع ولم يندرج تحت أصل يعمل به . مما يدخل في العبادة أو قصد به التعبد من العادات وبالجملة فهي تطلق عند هذا الفريق في مقابلة السنة .

وتبعاً لذلك انقسم تعريف البدعة بسبب هذين الاتجاهين ، فالإتجاه الأول يرى أن البدعة تنقسم الى محمودة ومذمومة ، والاتجاه الثاني يرى أن البدعة لا تكون إلا مذمومة . وسنعرض لتعريف البدعة لدى كل فريق بشيء من التفصيل ، ونتبع ذلك بتحديد معنى البدعة الشرعية وبيان حكمها .

أولاً - القائلون بالتقسيم :

يرى هذا الفريق أن البدعة : هي كل ما أحدث في الدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء أكان محموداً أم مذموماً ، وعلى ذلك فالبدعة عندهم تنقسم الى محمودة ومذمومة ، لكن منهم من اكتفى بذلك ، ومنهم من قال بجريان الأحكام الخمسة عليها .

فمن ذهب الى أنها تنقسم الى محمودة ومذمومة الامام الشافعي رحمه الله حيث قال : (البدعة بدعتان ، بدعة محمودة وبدعة مذمومة ، فما وافق السنة فهو محمود وما خالف السنة فهو مذموم)^(١) . واحتج بقول عمر رضي الله عنه

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، ط ٣ ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ، ١١٣/٩ .

في قيام رمضان (نعمت البدعة هي)^(١) . وروي عن الشافعي قول آخر يفسر
مسبق . فأخرج البيهقي في مناقب الشافعي بسنده عنه قال : (المحدثات من
الأمور ضربان : أحدهما : ما أحدث مما يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو أجماعا
فهي البدعة الضلالة . والثانية ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا^(٢)
فهي محدثة غير مذمومة)^(٣) .

وقال ابن الجوزي :

(البدعة عبارة من فعل لم يكن فابتدع ، والأغلب في المبتدعات أنها
تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان . فان ابتدع
شيء لا يخالف الشريعة ولا يوجب التعاطي عليها فقد كان جمهور السلف يكرهونه
وكانوا ينفرون من كل مبتدع وان كان جائزا لحفظ للأصل وهو الاتباع وقد
جرت محدثات لاتصادم الشريعة ولا يتعاطى عليها فلم يروا بفعلها بأسا)^(٤) واستشهد
بقول عمر : " نعمت البدعة هذه . "

ثم قال : (ومتى أسند المحدث الى أصل مشروع لم يذم ، فأما اذا كانت
البدعة كالمتمم فقد اعتقد نقص الشريعة ، وان كانت مضادة فهي أعظم)^(٥) .

وإذا كان الشافعي ومن تابعه قد اكتفى بتقسيم البدعة الى قسمين:
بدعة محمودة أو مستحسنة ، وبدعة مذمومة . فان العز بن عبد السلام ومن^(٦)
حذا حذوه مالوا الى التفصيل . فالبدعة عندهم تجري عليها الأحكام الخمسة .

-
- (١) أخرجه البخاري في كتاب التراويح . باب فضل من قام رمضان ، ٣ / ٥٨ .
(٢) أي لا يخالف هذا الحادث الكتاب أو السنة أو الأثر أو الإجماع .
(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط ١ ، دار التراث ،
القاهرة ، ١ / ٤٦٨ - ٤٦٩ .
(٤) ، (٥) تلبس ابليس لابن الجوزي ، طبع المطبعة المنيرية ، نشر دارالندوة
الجديدة ، بيروت ، ص ١٦ - ١٧ .
(٦) هو عز الدين عبدالعزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي
الملقب بسلطان العلماء (٥٧٧ هـ - ٦٦٠ هـ) .
فقيه . شافعي . بلغ رتبة الاجتهاد . من تصانيفه : الامام في أدلة
الأحكام ، قواعد الشريعة ، بداية السؤل في تفضيل الرسول . وغيرها .
انظر : طبقات الشافعية الكبرى ، ٨ / ٢٠٩ - ٢٧٧ .

قال العز بن عبد السلام :

(البدعة : فعل مالم يعهد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي منقسمة الى : بدعة واجبة ، وبدعة محرمة ، وبدعة مندوبة ، وبدعة مكروهة ، وبدعة مباحة ، والطريق في معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة فان دخلت في قواعد الايجاب فهي واجبة ، وان دخلت في قواعد التحريم فهي محرمة ، وان دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة ، وان دخلت في قواعد المكروه فهي مكروهة ، وان دخلت في قواعد المباح فهي مباحة)^(١)

وبمثل هذا قسمها القرافي والنووي ، وابن حجر في أحد المواضع

في الفتح .

-
- (١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، للعز بن عبد السلام ، طبع مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر ، ٢ / ٢٠٤ .
- (٢) هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن الصنهاجي (٠٠٠ - ٦٨٤ هـ) أصله من صنهاجة بالمغرب ، وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة . فقيه مالكي . أهولي له مؤلفات كثيرة منها : أنوار البروق في أنواع الفروق ، والذخيرة في فقه المالكية ، وشرح تنقيح الفصول في الأصول ، والأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة . انظر . الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب . برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٦٢ وما بعدها .
- (٣) انظر . الفروق للقرافي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ٤ / ٢٠٢ وما بعدها .
- (٤) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ، طبع المطبعة المنيرية ، معر ، القسم الثاني ، ١ / ٢٢ - ٢٣ .
- (٥) فتح الباري ، ٤ / ٢٥٣ .

ثانيا - القائلون بدم البدعة مطلقا :

يرى هذا الفريق أن البدعة تطلق على كل ما أحدث في الدين مما لا أصل له في الشرع وأن البدعة مذمومة مطلقا . وقد ذهب إلى هذا جمع من الأئمة ، والعلماء منهم الإمام مالك رحمه الله حيث قال : (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لأن الله يقول : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾^(١) فما لم يكن يومئذ ديننا فلا يكون اليوم ديننا^(٢))

وقال الإمام أحمد رحمه الله :

(أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، والاعتداء بهم وترك البدع وكل بدعة ضلالة)^(٣) ومن سار على هذا النهج ابن وضاح في كتابه البدع والنهي عنها حيث مقد بابا بعنوان كل محدثة بدعة وناق الآثار التي تؤكد ذلك وتؤيده .^(٥)

ويعرف ابن تيمية البدعة بقوله :

(ان البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله ، وهو ما لم يأمر به أمر ايجاب ولا استحباب)^(٦) .

ويقول ابن رجب :

(والمراد بالبدعة : ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه ، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا ، وان كان بدعة لغة)^(٧) .

(١) سورة المائدة ، آية (٣) .

(٢) الاعتصام ، ١ / ٤٩ .

(٣) طبقات الحنابلة لأبي يعلى الفراء . نشر دار المعرفة ، بيروت ، ٢٤١/١ .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع القرطبي ، (١٩٩ - ٢٨٦ هـ) ، عالم محدث . فقيه . رحل إلى المشرق فحصل علما كثيرا ثم رجع إلى الأندلس فنشره فانتفع به خلق كثير . من تصانيفه . مكنون السر ومستخرج العلم في الفقه ، القطعان في الحديث ، انظر سير أعلام النبلاء ، ١٣ / ٤٤٥ - ٤٤٦ ، ولسان الميزان ، ٥ / ٤١٦ .

(٥) انظر البدع والنهي عنها لمحمد بن وضاح القرطبي ، تحقيق محمد أحمد سند دهمان ، ط ٢ ، دار البصائر ، دمشق ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٢٣ وما بعدها .

(٦) مجموع الفتاوى ، ٤ / ١٠٧ - ١٠٨ .

(٧) جامع العلوم والحكم ، ص ٢٣٣ .

والى هذا ذهب الحافظ ابن حجر عند شرحه لقول ابن مسعود رضي الله عنه :
(1) (وشر الأمور محدثاتها) . حيث قال : (والمراد بقوله : كل بدعة ضلالة :
(2) ما أحدث ولادليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام) .

ولعل أحسن من فصل القول في هذا المجال الامام الشاطبي رحمه الله حيث
عرف البدعة بتعريفين :

أولهما : أنها (طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلك
عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى .
وهذا التعريف على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة
وانما يخصها بالعبادات .

ثانيهما : البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلك
عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية) وهذا على رأي من أدخل
العادات في معنى البدع . وليس هذا التعريف داخلا معنا لأن الصحيح
أن البدعة لا تدخل في العادات الا ما قصد به التعبد منها .

ثم أخذ الشاطبي يشرح ألفاظ التعريف ، ويتلخص ما قاله فيما يأتي :

الطريقة والطريق : مارس للسلوك عليه .

في الدين : قيد يخرج الاختراع في أمور الدنيا .

وانما قيدت بالدين لأنها فيه تخرع ، واليه يضيفها صاحبها ، ولو كانت

الطريقة مخترعة في الدنيا لم تسم بدعة ، وذلك كانشاء المدن الحديدية

واختراع الآلات التي لم تكن موجودة من قبل .

مخترعة : أي لا أصل لها في الشريعة ، ولا تعلق لها بها . لأن البدعة تتميز

بأنها خارجة عما رسمه الشرع .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، ٩ / ١١٤ .

(٢) فتح الباري ، ١٣ / ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

وهذا القيد يخرج ماحدث وله أصل في الشرع كتصنيف العلوم الشرعية مثلا، فانها وان لم توجد في الزمان الأول ، فأصولها موجودة في الشرع ، وهي مستمدة من قاعدة المعالح المرطلة ، ولاينبغي أن تسمى بدعة أصلا ، ومن سمي مثل ذلك بدعة فاما أن يريد المفهوم اللغوي لها ، - كما سمي عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع الناس على قيام رمضان بدعة - واما من جهله بمواقع السنسنة والبدعة .

تضاهي الشرعية : أي أن البدعة تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون كذلك بل هي مضادة لها من أوجه متعددة منها :

- وضع الحدود ، وذلك كالنادر للقيام قائما لايقعد ، ضاحيا لايستظل ، والاقطار من المأكل والملبس على صنف دون صنف .
- ومنها التزام الكيفيات والهيئات المعينة ، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد ، واتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيدا ، وما أشبه ذلك .
- ومنها التزام العبادات المعينة في أوقات معينة ، لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة ، وذلك كالتزام صيام يوم النصف من شعبان ، وقيام ليلته ، وكون البدعة تضاهي الأمور المشروعة وصالزم لها ، والالكانت من باب الأفعال العادية .
- ويبين ذلك ، أن صاحب اليدفة يخترعها ليضاهي بها السنة ، سواء لبس بها صاحبها على الناس ، أو كانت مما التهبست عليه - هو - بالسنة ويؤكد هذا انتصار المبتدع ليدعته بأمر تخيل أنها مشروعة ، ولو يدعو الاقتداء بقلان المعروف منصبه في أهل الخير .
- يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى ، هذا القصد . قيـد لأخراج العادات التي لايقصد بها التعبد من البدع ، ويبيان أن ماابتدع من الأمور الزائدة على المشروع ، والمنسوبة للشرع ، مقصود بها المبالغة فسي التعبد ، أو تجديد النشاط الى العبادة .^(١)

(١)

وعرفها الشمنّي بأنها :

(ما أحدث على خلاف الحق المتلقي من رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم أو عمل أو حال ينوع شبهة أو استحسان ، وجعل ديننا قوبما وصراطنا مستقيما)^(٢) ، والمراد بالعلم : الاعتقاد ، وبالحال : هيئة العمل^(٣) .

(١) هو أحمد بن محمد بن محمد الشمنّي ، نسبة لمزرعة في بلاد المغرب، المصري (٨٠١ - ٨٧٢ هـ) .

فقيه . محدث . لغوي . من تصانيفه :

المنصف من الكلام على مغني ابن هشام في النحو ، ومزيل الخفا عن ألفاظ الشفا ، تعليقا على الشفا للقاضي عياض ، كمال الدراية في شرح النقاية في الفقه الحنفي .

انظر . شذرات الذهب ، ٧ / ٢١٢ ، والأعلام ، ١ / ٢٢١ .

(٢) حكاة الشيخ على محفوظ في كتابه : الابداع في مضار الابداع ، ط ٧ ،

دار الاعتصام ، القاهرة ، ص ٢٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦ .

* أدلة القائلين بالتقسيم :

وبعد أن استعرضنا تعريف كل من الفريقين للبدعة أنتقل الى عرض أدلة كل فريق ومناقشتها حتى يتسنى لنا تحديد معنى البدعة في الشرع .

وسأبدأ بالفريق الأول : وهم القائلون بالتقسيم :

ان مراد هذا الفريق باستدلالهم بهذه الأدلة هو بيان انها تخصص العموم الوارد في ذم البدعة ، وأنها ليست كلها ضلالة ، بل منها المحمود والمذموم ، وقد استدلووا بعدة أدلة منها :

- قول عمر رضي الله عنه - عن جمع الناس على قيام رمضان - : (نعمت البدعة هذه)^(١) ، ووجه الاستدلال بهذا القول : أن عمر قد سمى ذلك الفعل بدعة ، ووصفها بما يفيد حسنها فدل ذلك على أن هناك بدعة حسنة في الشرع - ومنها ما أخرجه مسلم بسنده من جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص^(٢) ذلك من أوزارهم شيء) .

قال النووي :

(..... وفي هذا الحديث تخصيص قوله صلى الله عليه وسلم : " كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة "^(٣) . وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة)^(٤) .

ويشرح الشاطبي وجه استدلالهم بهذا الحديث :

بأنه صريح في أن من سنّ سنة خير فذلك خير ، وأن سنّ هنا بمعنى اخترع وابتدع لكون الاستئذان قد نسب الى المكلف دون الشارع ، ولو كان المراد من عمل سنة ثابتة في الشرع لما قال : (من سن) .

(١) سبق تخريجه ص ١٩٥ .

(٢) صحيح مسلم . كتاب الزكاة . باب الحث على الصدقة ، ٢ / ٧٠٥ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الجمعة . باب تخفيف الصلاة ٢ / ٥٩٢ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، ٧ / ١٠٤ .

ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (ليس من نفس تقتل ظلماً
 إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها - من دمها - لأنه أول من سن القتل)^(١)
 فقوله صلى الله عليه وسلم : (سن) بمعنى اخترع . لأنه أول من اخترع
 القتل بين الناس ولم يكن موجوداً . ومثله قوله صلى الله عليه وسلم
 (من سن في الإسلام سنة حسنة) . أي اخترعها من نفسه وأحدثها . لكن بشرط
 أن تكون حسنة حتى يكون له الأجر .

إذا فليس المراد : من عمل سنة ثابتة ، ولو كان المراد كذلك لقال من
 عمل بسنتي ، أو بسنة من سنتي ، أو من أحيا سنة من سنتي .^(٢)

ومن الأدلة ما أخرجه الترمذي بسنده عن بلال بن الحارث : أن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث : (اعلم : قلت : ما أعلم يارسول
 الله ؟ قال : انه من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي كان له من الأجر مثل
 من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضها
 الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً)^(٣)

قال الشاطبي :

فقوله من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي، واضح في العمل بما ثبت أنه
 سنة ، بخلاف قوله : من سن كذا ، فإنه ظاهر في الاختراع أولاً من غير أن
 يكون ثابتاً في السنة . وأما قوله - صلى الله عليه وسلم - لبلال بن الحارث
 " ومن ابتدع بدعة ضلالة " فظاهر أن البدعة لا تدم باطلاق . بل بشرط أن تكون
 ضلالة ، وأن تكون لا يرضها الله ورسوله ، فاقضى هذا كله أن البدعة إذا لم
 تكن كذلك لم يلحقها دم ، ولاتبع صاحبها وزر ، فعادت إلى أنها سنة حسنة ،
 ودخلت تحت الوعد بالأجر .^(٤)

- (١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام . باب اثم من دما إلى ضلالة أو سن سنة
 سيئة ، ٩ / ١٢٧ .
 (٢) انظر . الاعتصام ، ١ / ١٧٨ - ١٧٩ .
 (٣) سنن الترمذي ، كتاب العلم . باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة
 ٤ / ١٥٠ - ١٥١ ، وسيأتي الكلام عليه .
 (٤) الاعتصام ، ١ / ١٧٩ .

ومما استدلووا به أيضا :

أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم . قد استحسنا أشياء لم يرد بها نص معين في كتاب ولا سنة مما رأوه حسنا وأجمعوا عليه ، ولاتجتمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ، وإنما يجتمعون على هدى وعلى ما هو حسن . مثال ذلك . أنهم أجمعوا على جمع القرآن وكتابه في المصحف وعلى جمع الناس على المصاحف العثمانية وأطراح ما سواها .

ثم اقتفى الناس أثرهم في ذلك الرأي الحسن ، فجمعوا العلم ودونوه وكتبوه . ومثل ذلك قتل عمر الجماعة بالواحد ، وتضمين الصانع ، وكل هـسذه محدثات لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد استحسنتها الصحابة ومن بعدهم . فدل ذلك على أن البدع تنقسم إلى حسنة وقبيحة . وربما (١) استدلووا بالحديث الموقوف على ابن مسعود رضي الله عنه وهو قوله : (ما رآه (٢) المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) . (٣)

قال الشيخ على محفوظ :

(ووجه الشبهة فيه ظاهر وهو أنه قال : " ما رآه المسلمون والظاهر ما رأوه بعقولهم فرجع التحسين إليهم فهم المخترعون ، ولو كان التحسين بالدليل لما نسب الروية إلى المسلمين ، فدل على أن البدعة فيها الحسن والقبيح " (٤))

وبناء على ما تقدم فإن هذا الفريق يرى :

- أن البدعة تطلق على كل ما أحدث في الدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كان محمودا أو مذموما .
- أن كل ما ورد في دم البدع . مثل قوله صلى الله عليه وسلم (كل بدعة ضلالة) عام مخصوص .
- أن البدعة تدور عليها الأحكام الخمسة .

(١) انظر . الامتصام ، ١ / ١٧٩ - ١٨١ .
 (٢) انظر . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ملأ علي القاري بمباني الهند ، أبناء غلام رسول المرتضى ، ١ / ١٧٩ .
 (٣) سبق تخريجه ، ص ٧٨ .
 (٤) الابداع في مزار الابتداء ، ص ١٢٨ .

* أدلة القائلين بدم البدعة :

تتركز أدلة هذا الفريق حول اثبات أن البدعة سيئة ومدمومة مطلقا ، وقد استدلوا على ذلك بأدلة من القرآن والسنة ، فمن القرآن قوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾^(١) فهذه الآية تدل على أن الشريعة قد جاءت كاملة فلا تحتاج إلى زيادة ولا نقصان. وحاصل كلام المبتدع وحاله ، أن الشريعة لم تتم وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها في زعمه ، ولو كان معتقداً لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ولم يستدرك عليها ، ولا شك أن من اعتقد هذا فهو ضال عن الصراط المستقيم.^(٢)

قال الامام مالك :

(من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمد صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لأن الله يقول ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾^(٣) فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً)^(٤)

ومن الأدلة قوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾^(٥)

فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه ، وهو السنة ، والسبيل هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم ، وهم أهل البدع . وليس المراد بالسبيل : المعاصي ، لأن المعاصي - من حيث هي - لم يضعها أحد طريقاً تسلك دائماً للتعبد . وإنما هذا الوصف خاص بالبدع والمحدثات .

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيماً قال ثم خط عن يمينه وشماله

-
- (١) سورة المائدة ، آية (٣) .
 - (٢) الامتصام ، ١ / ٤٨ - ٤٩ .
 - (٣) سورة المائدة ، آية (٣) .
 - (٤) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .
 - (٥) سورة الأنعام ، آية (١٥٣) .

ثم قال هذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدمو اليه ، ثم قرأ :
 " وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل " (١) .

(٢) قال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ ولا تتبعوا السبل ﴾ قال : البدع والشبهات
 ومن الآيات التي استدلوأبها قوله تعالى :

﴿ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ (٣) ، فالسبيل
 القصد هو طريق الحق ، وما سواه جائر عن الحق ، أي منحرف عنه الى طرق البدع
 والضلالات والمعاصي .

ومن مجاهد : ﴿ قصد السبيل ﴾ أي المقتصد منها بين الغلو والتقصير
 وذلك يفيد أن الجائر هو الغالي أو المقصر ، وكلاهما من أوصاف البدع .

ومن الأدلة الواردة في القرآن مما يدل على ذم المبتدعين قولـــــــــــــــــه
 تعالى : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هـــــــــــــــــن
 أم الكتاب وآخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه
 منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله ﴾ (٤) . فهذه
 الآية تبين حال الزائغين عن اتباع الحق ، وذلك باتباعهم لما تشابه من
 الكتاب بقصد الفتنة في الدين وما ذاك الا بسبب زيغ في قلوبهم وفساد في
 أفهامهم .

وهذا صنيع أهل البدع لأنهم يتركون محكم الكتاب ويتمسكون بمتشابهه ، وقد
 ورد في الحديث ما يفسر الآية ويحذر من المبتدعة وأشباههم فقد أخرج البخاري
 بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : (تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 هذه الآية ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر
 متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
 وابتغاء تأويله ﴾ الى قوله : ﴿ أولوا الألباب ﴾ . قالت : قال رسول الله

(١) المسند ، ١ / ٤٦٥ ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، ٢ / ٢٢٩ .

(٢) تفسير الطبري ، ١٢ / ٢٢٩ .

(٣) سورة النحل ، آية (٩) .

(٤) سورة آل عمران ، آية (٧) .

صلى الله عليه وسلم : فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين
سمى الله فاحذروهم (١) .

وأخرج الأجرى بسنده عن طاووس قال : (ذكر لاین عباس رضي الله عنهما
الخوارج وما يصيبهم عند قراءة القرآن ؟ فقال رضي الله تعالى عنهما :
" يؤمنون بحكمه ويضلون عن مثابيه . وما يعلم تأويله الا الله . والراسخون
في العلم يقولون : آمنا به " (٢) ، ولاشك أن الخوارج كانوا أوائسـل
المبتدعة ، وكانت تلك سمتهم وسمة من أتى بعدهم من أهل البدع على اختلاف
بدعهم . (٤) وهي التمسك بالمتشابه وترك المحكم لزيغ في القلب .

وهذه الآيات قد تضمنت ذم الابتداع وأهله بطريق الاجمال ولم تخصص نوعا
من البدع أو المحدثات دون نوع أو قسم دون قسم بل هي عامة ، يستفاد منها
ذم البدع مطلقا .

وبعد أن استعرضنا بعض الآيات التي تشير الى ذم البدعة وأهلها ننتقل
الى السنة لاستعراض الأحاديث التي استدلت بها القائلون بدم البدع مطلقا . فمن
ذلك ما أخرجه الترمذي وغيره عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال : (صلى
بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ، فوعظنا موعظة بليغة ، ذرقت
منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله كأنها موعظة
مودع فأوصنا . فقال " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وان كان عبدا
حبشيا ، فإنه من يعش منكم فسيري اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين عضوا عليها بالتواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فان كل
بدعة ضلالة) (٥) فهذا الحديث نص في أن البدع كلها ضلالة بلا استثناء في ذلك
ولا يحتفل تخميها يخرج بعض البدع من هذا الوصف ، وذلك لورود التعميم في
أحاديث أخرى ، ولم يرد في حديث منها ما يخص ذلك العموم .

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ منه آيات محكمات ﴾

٤٢ / ٦ .

(٢) أي ما يعترهم من غلبة البكاء عند قراءة القرآن . والله أعلم .

(٣) الشريعة ، ص ٢٧ .

(٤) انظر الاعتصام ، ١ / ٥٦ - ٥٧ .

(٥) سبق تخريجه ، ص ١٠٣ .

ومن الأدلة ما أخرجه مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته ، واشتد غضبه ، حتى كأنه منذر جيش يقول : صبّحكم ومساكم . ويقول : " بعثت أنا والساعة كهاتين " ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى ، ويقول : أما بعد . فان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة (١) .

قال الحافظ ابن حجر :

(قوله : " كل بدعة ضلالة " قاعدة شرعية كلية بمنطوقها ومفهومها ، أما منطوقها ، فكان يقال : حكم كذا بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، فلا تكون من الشرع لأن الشرع كله هدى . فان ثبت أن الحكم المذكور بدعة ، صحت المقدمتان (٢) وأنتجتا المطلوب) .

ومن الأدلة أيضا ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها : قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) . وفي رواية لمسلم : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) . فهذا الحديث يدل على أن من أحدث في الدين شيئا وليس أصل في الشرع يدل عليه فهو باطل ومردود على صاحبه .

قال النسوي عند شرحه لهذا الحديث بروايته :

(... وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الاسلام وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم . فانه صريح في رد كل البدع والمخترعات . وفي الرواية الثانية زيادة ، وهي أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق اليها فسادا احتج عليه بالرواية الأولى يقول : أنا ما أحدثت شيئا ، فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات ، سواء أحدثها الفاعل أو سبق بإحداثها ... وهذا الحديث مما ينبغي حفظه ، واستعماله في ابطال المنكرات واشاعة الاستدلال به) (٤)

(١) سبق تخريجه ، ص ٢٠١ .

(٢) فتح الباري ١٣ / ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(٣) سبق تخريجه ، ص ٥٣ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، ١٢ / ١٦ .

ومع ما سبق . فالحديث يعتبر ميزانا توزن به الأعمال هل هي موافقة للشرع

أم لا ؟

قال الحافظ ابن رجب :

(وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الاسلام ، كما أن حديث : " انما الأعمال بالنيات " ميزان للأعمال في باطنها ، فهذا ميزان للأعمال في ظاهرها فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب ، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء ، ثم قال : " فهذا الحديث بمنطوقه يدل على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود ويسدل بمفهومه على أن كل عمل عليه أمره فهو غير مردود ، والمراد بأمره ههنا دينه وشرعه كالمراد بقوله في الرواية الأخرى " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " . فالمعنى إذا أن كل من كان عمله خارجا عن الشرع ، ليس متقييـدا بالشرع فهو مردود . وقوله : " ليس عليه أمرنا " اشارة الى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة فتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها ، فمن كان عمله جاريا تحت أحكام الشريعة موافقا لها فهو مقبول ، ومن كان خارجا عن ذلك فهو مردود " (١) .

(٢)

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم (..... فمن رغب عن سنتي فليس مني)

فهذا الحديث فيه تحذير ووعيد شديد لمن رغب من السنة وعدل عنها الى غيرها من الأهواء والبدع .

وبناء على ما سبق فان هذا الفريق من العلماء يرى :

- أن جميع ما ورد في ذم البدع من نحو قوله صلى الله عليه وسلم (كل بدعة ضلالة) عام باق على عمومته .
- أن البدعة لا تكون الا مذمومة ، وان استحسانها صاحبها .

(١) جامع العلوم والحكم ، ص ٥٢ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ١٠٤ .

- أن البدعة تطلق على ما أحدث في الدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا دليل عليه في الشرع بطريق خاص ولا عام .
- أن البدعة المقصودة بالذم شرعا لاتقبل التقسيم . أما التي قسمها العلماء فهي البدعة اللغوية وهي أعم وأشمل من البدعة الشرعية .
- وبناء على ذلك فقد ناقشوا القائلين بالتقسيم في دعواهم .

✽ مناقشة القائلين بالتقسيم :

- سبق أن ذكرنا أن أصحاب هذا الاتجاه قد انقسموا الى فريقين :
- فريق يرى أن البدعة تنقسم الى محمودة ومذمومة واكتفى بذلك . ويمثله الامام الشافعي ومن تابعه .
 - والفريق الثاني زاد على ذلك بالقول بتقسيمها الى خمسة أقسام وكان هذا الفريق أكثر تفصيلا وتوضيحا . ويمثله العز بن عبد السلام وتلميذه القرافي ومن تابعهما .

أما الامام الشافعي فقد ورد منه قولان يفسر أحدهما الآخر . وحاصلهما أنه يرى أن البدعة المذمومة مالم يسرها أصل في الشريعة ، وأن البدعة المحمودة ما أحدثت ولها أصل في الشريعة .

وقد نبه الحافظ ابن رجب على ذلك فقال : (وقد روى الحافظ أبو نعيم بإسناده عن ابراهيم بن الجنيد قال : سمعت الشافعي يقول : البدعة بدعتان : بدعة محمودة ، وبدعة مذمومة ، فما وافق السنة فهو محمود ، وماخالف السنة فهو مذموم . واحتج يقول عمر رضي الله عنه : " نعمت البدعة هي " . ومراد الشافعي رحمه الله ما ذكرناه من قبل أن أصل البدعة المذمومة مالم يسرها أصل في الشريعة ترجع اليه وهي البدعة في اطلاق الشرع . وأما البدعة المحمودة فما وافق السنة : يعني ما كان لها أصل من السنة ترجع اليه ، وإنما هي بدعة لغة لا شرعا لموافقته السنة .

وقد روي عن الشافعي كلام آخر يفسر هذا ، أنه قال : المحدثات ضربان : ما أحدث ما يخالف كتابا أو سنة أو أشرا أو اجماعا فهذه البدعة الضلالة ، وما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا فهذه محدثة غير مذمومة (١) .

(١) مقصوده والله أعلم : ألا يخالف ذلك المحدث الكتاب أو السنة والأشرا وألجامع .

(٢) جامع العلوم والحكم ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

أما القائلون بالتقسيم فقد سبق إيراد أدلتهم والآن أبدأ بمناقشتها .

- أولا : استدلالهم بقول عمر رضي الله عنه : " نعمت البدعة هذه " وأن عمر قد سمى جمع الناس على قيام رمضان بدعة واستحسنها -

ليس فيه دليل على ما ذهبوا اليه من وجود البدعة الحسنة شرعا . ذلك أن عمر رضي الله عنه لم يرد ذلك وإنما أراد المفهوم اللغوي لها وهو أوسع من المفهوم الشرعي . لأنها تطلق في اللغة على الحادث محمودا كان أو مذموما بخلاف الشرع فلا تطلق الا على الحادث المذموم .

أما ما فعله عمر رضي الله عنه فقد كان سنة من كل وجه ، ويوضح ذلك : أن قيام رمضان سنة وأنه صلى الله عليه وسلم قد حدث عليه ورغب فيه فقال : (من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)^(١) ، ثم انه صلى الله عليه وسلم . صلى القيام في المسجد جماعة بأصحابه عدة ليال فلما كثر الناس في المسجد امتنع من الخروج اليهم خشية أن تفرض عليهم . فظل الأمر على ذلك حتى توفاه الله .

ويبين ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة من جوف الليل فمضى في المسجد ، وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم ، فمضى فمضوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال : أما بعد ، فإنه لم يخف عليّ مكانكم ، ولكن خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها . فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر ذلك .^(٢)

(١) أخرجه البخاري في كتاب صلاة التراويح . باب فضل من قام رمضان ، ٥٨/٣ .
 (٢) أخرجه البخاري في كتاب صلاة التراويح . باب فضل من قام رمضان ، ٥٨/٣-٥٩ .
 ومسلم في كتاب صلاة المسافرين . باب الترغيب في قيام رمضان ، ٥٢٤/١ .

وعلى ذلك فالجماعة في القيام سنة وليست بدعة ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزال المانع بانقطاع الوحي بقيت على سنيتها وظل الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ومدرا من خلافة عمر رضي الله عنه ، حتى رأى عمر أن يجمع الناس على القيام وراءه امام واحد بدلا من صلاتهم في المسجد أو زاعا متفرقين .

فعن عبدالرحمن بن عبدالقاري أنه قال : (خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان الى المسجد فاذا الناس أوزاع متفرقون ، يعلسى الرجل لنفسه ، ويعلسى الرجل فيعلسى بملاته الرهط . فقال عمر : اني أرى لو جمعت هؤلاء على قاريء واحد لكان أمثل . ثم عزم فجمعهم على أبي بكر ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال : نعم البدعة هذه ، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون - يريد آخر الليل - وكان الناس يقومون أوله ^(١) . ثم أجمع الصحابة على صفة ما فعله عمر وأقرّوه فصار اجماعهم حجة . هذا بالإضافة الى أنه سنة خليفة راشد أمرنا باتباعها لما روي الترمذي بسنده عن العرياض بن سارية أنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة . الحديث ، وفيه : (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي) ^(٢)

وعلى ذلك فالجماعة في قيام رمضان سنة وليست بدعة ، وانما سماها عمر رضي الله عنه بذلك ارادة منه للمفهوم اللغوي ، لا الشرعي . ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تركها لمانع - وهو خوف الافتراض - قد زال بوفاته واتفق أنها لم تصل جماعة في زمان أبي بكر رضي الله عنه ، اما لأنسه رأى أن قيام الناس آخر الليل أفضل من جمعهم على امام أول الليل ، واما لضيق زمانه عن النظر في هذه الفروع لاشتغاله بحروب الردة وغير ذلك . ^(٣)

(١) سبق تخريجه ، ص ١٩٥ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ١٠٣ .

(٣) انظر . كتاب الحوادث والبدع . لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ، تحقيق محمد الطالبي ، تونس ، ١٩٥٩م .

فلما تمهد الاسلام في زمان عمر رضي الله عنه رأى جمعهم على امام واحد وكان له الفضل في احياء هذه السنة . وعلى ذلك فاستدل القائلين بالتقسيم بهذا القول لايؤدي الى ماذهبوا اليه من وجود البدعة الحسنة شرعا . ولو افترضنا صحة استدلالهم بهذا فليس قول الصحابي حجة اذا خالف الحديث .

كيف وقد أتت الأحاديث تشهد بالضلالة لكل بدعة .

يقول ابن تيمية :

(وأما قول عمر : " نعمت البدعة هذه " فأكثر المحتجين بهذا لسوء أردنا أن نثبت حكما بقول عمر الذي لم يخالف فيه ، لقالوا : " قول الصحابي ليس بحجة " فكيف يكون حجة لهم في خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ومن اعتقد أن قول الصحابي حجة فلا يعتقده اذا خالف الحديث فعلى التقديرين : لا تصلح معارضة الحديث بقول الصحابي .

.... ثم نقول : أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها ، وهذه تسمية لغوية لاتسمية شرعية ، وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل ما فعل ابتداء من غير مثال سابق . وأما البدعة الشرعية فكل ما لم يدل عليه دليل شرعي (١) . وأما استدلالهم بحديث : من سن في الاسلام سنة حسنة - وأن سن بمعنـــــى اخترع وابتدع - على وجود البدعة الحسنة شرعا .

فالجواب : أنه ليس المراد بالاستئنان هنا الاختراع ، وإنما المراد بسنه العمل بما ثبت في السنة النبوية ، أو احياء أمر مشروع غفل عنه الناس أو تركوه ، وبيان ذلك من وجهين :

- الأول : أن سبب ورود الحديث يفسر المراد بذلك .

ففي صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا عند رسول

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ٢ / ٥٨٩ - ٥٩٠ .

الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار . قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتأبي
النمار^(١) . أو العباء ، متقلدي السيوف عامتهم من مضر ، بل كلهم من مضر ،
فتمعّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم
خرج . فأمر بلالا فأذن وأقام . ف صلى ثم خطب فقال : يا أيها الناس اتقوا
ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، الى آخر الآية : ﴿ ان الله كان عليكم رقيباً ﴾^(٢)
والآية التي في الحشر : ﴿ اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ﴾^(٣)
تصدق رجل من ديناره من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره ، حتى
قال : ولو بثقت تمره " قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه أن تعجز
عنها ، بل قد عجزت . قال : ثم تتابع الناس . حتى رأيت كومين من طعام
وشياب ، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة .^(٤)
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها
وأجر من عمل بها بعده . من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام
سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده . من غير أن ينقص ذلك من
أوزارهم شيء^(٥) .

فهذا الحديث يدل على أن المراد بالسنة الحسنة هو مثل ما فعله ذلك
الصحابي ، حيث أتى بتلك الصرة فانفتح بسببه باب الصدقة وتتابع الناس بعده
فكان فاتحة الخير في هذا الاحسان . واذا نظرنا الى ما فعله هذا الصحابي نجد أن
هذه الصدقة أمر مشروع وأنه لم يخترع شيئاً جديداً .

غاية الأمر أنه كان له الفضل في تنبيه الصحابة وتشجيعهم - بفعله -
على الصدقة وعلى ذلك فالمراد بالسنة الحسنة في الحديث : هو العمل بالسنة ،
خاصة اذا غفل عنها الناس أو تركوها .

- (١) النمار : جمع نمرة ، وهي كساء من صوف مخطط ، ومعنى (مجتأبيها) أي
لابسيها قد خرقوها في رؤوسهم . والجوب : القطع . تمعّر : أي تغيّر .
انظر شرح النووي على صحيح مسلم ، ٧ / ١٠٢ .
- (٢) سورة النساء ، آية (١) .
- (٣) سورة الحشر ، آية (١٨) .
- (٤) مذهبة : أي فضة مذهبة ، والمراد به الصفاء والاستنارة .
انظر المصدر نفسه ، ٧ / ١٠٣ .
- (٥) رواه مسلم . كتاب الزكاة . باب الحث على الصدقة ، ٢ / ٧٠٥ .

ويتسع معنى السنة الحسنة ليشمل كل ما كان مع أبواب الخير مما نبيه
اليه الشرع وحث عليه بشرط أن يكون على مقصود الشرع من الاتباع .

- الوجه الثاني :

أن قوله صلى الله عليه وسلم: (من سن في الاسلام سنة حسنة) لا يمكن
حملة على الاختراع ، لأن كون السنة حسنة أو سيئة لا يعرف الا بموافقة الشرع
أو بمخالفته فما وافق الشرع وأوامره فهو من السنة الحسنة ، ويدل على ذلك
معنى الحديث .

وتطلق السنة السيئة على أمرين :

- أحدهما : أحداث المعاصي واختراع الفجور كما في حديث ابن آدم الأول
ولفظه: " ليس من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الأول كفل منهنها -
وربما قال سفيان : من دمها - لأنه سسن القتل أولا ^(١) .
- والثاني : هو الأحداث في الدين والابتداع فيه .

وأیضا لو صح حمل هذا الحديث على وجود البدعة الحسنة شرعا لكان
معارضا بالأحاديث الدالة على عموم ذم البدعة ، وإذا تعارضت أدلة العموم
والتخصيص ، لم يقبل ذلك التخصيص ^(٢) .

وأما حديث بلال بن الحارث : وفيه (ومن ابتدع بدعة ضلالة...)
فهذا الحديث لا يحتج به ولا يصلح للاستدلال لأنه ضعيف . وسبب ضعفه أنه من رواية
كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني ، وهو أحد المتروكين المجروحين
ممن لا يعتد بحديثه ^(٣) .

(١) سبق تخريجه ص ٢٠٢ .

(٢) انظر الاعتصام ، ١ / ١٨١ وما بعدها .

(٣) قال عنه أحمد بن حنبل : منكر الحديث ليس بشيء ، وقال الآجري : سئل
عنه أبو داود فقال : كان أحد الكذابين ، ومثل ذلك قال الشافعي :

وقال ابن حبان : روي عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب
ولا في الرواية عنه الا على جهة التعجب ، وقال ابن عدي : مجمع على
ضعفه . قال الحافظ الذهبي وأما الترمذي فقد صح له بعض الأحاديث ولذلك
لا يعتمد العلماء على تصحيحه .

أنظر الضعفاء والضجوحين لابن حبان ، ٢٢١/٢ - ٢٢٢ ، وميزان الاعتدال
للذهبي ، ٢ / ٤٠٦ - ٤٠٨ ، وتهذيب التهذيب ، ٨ / ٤٢١ - ٤٢٣ .

وأما استدلالهم يقول ابن مسعود : (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) فقد اعتاد كثير من الناس - المنتسبين للعلم منهم والجهال - الاحتجاج بهذا الأثر على أن في الدين بدعة حسنة ، وأن الدليل على حسنها اعتياد الناس عليها - ويروون هذا الأثر على أنه مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم هذا مع أن الحديث موقوف على ابن مسعود لا يصح رفعه بحال من الأحوال .

وقبل الجواب أورده ينصه . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ان الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه ، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوه سيئا فهو عند الله سيئ (١) .

وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذهبوا إليه وذلك :

- لأن الحديث موقوف فلا يجوز أن يحتج به في معارضة النصوص القاطعة في أن : " كل بدعة ضلالة كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من حديث .
- وعلى التسليم بأنه حجة ، فإنه لا يعارض تلك النصوص القاطعة في دم البدعة لأمر :

١ - أن المراد بهذا الأثر إجماع الصحابة وعلى ذلك فاللام في " المطمون " ليست للاستفراق ، بل هي للتعهد لأن سياق الأثر يدل على ذلك . كما وضحت^(٢) زيادة الحاكم على هذا الأثر .
٢ - وعلى التسليم بأن المراد به غير الصحابة فلا يعني أن المقصود به عموم المسلمين عالمهم وجاهلهم بل المقصود به أهل الإجماع .

ولو كان المقصود به عموم المسلمين عالمهم وجاهلهم لاستلزم الباطل لأمرين - أحدهما : أنه سيناقض قوله صلى الله عليه وسلم : " ستفترق أمتي على

(١) سبق تخريجه ، ص ٧٨ .

(٢) ونص هذه الزيادة : " وقد رأى الصحابة أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه " .

ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة^(١) .

ووجه التناقض - أن الحديث الأول يفيد - في نظر المستدلين به - أن كل مسلم مصيب لأن الحديث قد حكم بالحسن على مذهبه .
- الثاني : أنه يقتضي أن يكون العمل حسنا عند بعض الناس . قبيحا عند البعض الآخر وهذا باطل^(٢) . ولو كان المراد منه استحسان عامة المسلمين لكان هذا فتحا لباب الابتداع في الدين .

وبعد هذا ارى أنه لا يمكن الاحتجاج بقول ابن مسعود على وجود البدعة الحسنة أو جوازها ، وأما الاحتجاج به من المبتدعة وأشباههم انما يكون لهوى في نفوسهم ، والا فابن مسعود رضي الله عنه كان من أشد الصحابة تحذيرا من الابتداع ومقاومة للبدع - وأما استدلالهم بما فعله السلف وعملوا به مما لم يرد فيه نص صريح أو خاص من كتاب أو سنة - ومثلوا لذلك بجمع القســرآن وتصنيف العلوم وغير ذلك - على وجود البدعة الحسنة .

والجواب عن ذلك : أن ماذكروه واستدلوا به من فعل الصحابة ليس دليلا على ماذهبوا اليه .
لأن ما فعله الصحابة كان من قبيل مالا يتم الواجب الا به فهو واجب أو من قبيل المصلحة المرسلة عند من يأخذ بها .

وأما جمع أبي بكر رضي الله عنه للقرآن وجمع عثمان رضي الله عنه الناس على مصحف واحد فقد كان سببه الخوف من تغلت القرآن من الصدور وضياعه ، فقام أبو بكر رضي الله عنه بجمعه بين الدفتين ، ثم جاء عثمان رضي الله عنه فجمع الناس على مصحف واحد ، وأمر بإحراق ما عداه من المصاحف خشية الاختلاف في القرآن ووقوع الفتنة بسبب ذلك .

فهذا الأمر - أعني جمع القرآن - لم يرد فيه نص عن النبي صلى الله عليه وسلم يفعله على وجه الخصوص . لكن نصوص الشرع العامة تؤيده .

(١) سبق تخريجه ، ص ١٠٣ .

(٢) انظر . الابتداع ، ص ١٤٢ - ١٤٤ .

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بكتابة القرآن ، ولا فرق بين أن يكتب مفردا أو مجموعا بل صار جمعه أصلح .^(١) وأيضا فجمع القرآن راجع الى حفظ الشريعة ، والأمر يحفظها معلوم ، وراجع الى سد الذريعة الى وقوع الاختلاف في القرآن ، وقد علم النهي عن الاختلاف في القرآن ، ينموص الشرع المستفيضة .^(٢)

ويرى ابن تيمية أن جمع القرآن لم يخرج من كونه سنة ، لأن السننة - بمعناها الواسع - هي ما قام الدليل الشرعي على أنه طاعة لله ورسوله ، سواء فعله الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو فعل في زمانه أو لم يفعله في زمانه لعدم المقتضى حينئذ لفعله ، أو وجود المانع منه ، وإذا ثبت أنه أمر به أو استحبه فهو سنة ، كما أمر باجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، وكما جمع الصحابة القرآن في المصحف ، وداوموا على قيام رمضان في المسجد جماعة . وقد قال صلى الله عليه وسلم : " لا تكتبوا عني غير القرآن ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه " .^(٣) فشرع كتابة القرآن ، وعلى ذلك فكتابة القرآن مشروعة لكن لم يجمع الرسول صلى الله عليه وسلم في مصحف واحد لاحتمال نزول آيات أو سور أو احتمال نسخ لبعض آياته .

فلأجل هذا الاحتمال لم يمكن جمعه في مصحف واحد حتى مات رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام أبو بكر رضي الله عنه بجمعه وقام عثمان رضي الله عنه بجمع الناس على مصحف واحد ، وأجمع الصحابة على ذلك فصار اجماعهم دليلا شرعيا . وأما تدوين السنة والعلوم الشرعية فهو من باب تبليغ الشريعة . وقد ورد الأمر بذلك والحث عليه . فقال صلى الله عليه وسلم " ليبلغ الشاهد منكم الغائب " .^(٥) وقال : " بلغوا عني ولو آية " .^(٦)

(١) أنظر . جامع العلوم والحكم ، ص ٢٢٤ .

(٢) أنظر . الامتصام ، ٢ / ١١٧ .

(٣) صحيح مسلم . كتاب الزهد . باب التثبيت في الحديث ، وحكم كتابة العلم . ٢٢٩٨ - ٢٢٩٩ .

(٤) انظر مجموع الفتاوى ، ٢١ / ٣١٧ - ٣١٨ .

(٥) صحيح البخاري . كتاب العلم . باب ليبلغ الشاهد الغائب ، ١ / ٢٧ .

(٦) سبق تخريجه ، ص ١١٢ .

وثبت في السنة الأمر بكتابة العلم كقوله عليه الصلاة والسلام " اكتبوا لأبي شاة ^(١) " وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : " ليس أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً مني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا يكتب " ^(٢) .

فهذه الأحاديث تدل على أن كتابة العلم وتدوينه أمر مشروع . ويتأكد هذا إذا خيف عليه الضياع والدروس . وقد كتب عمر بن عبدالعزيز الى أبي بكر ابن حزم : " أن أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فاني خفت دروس العلم . وذهب العلماء ، ولا يقبل الا حديث النبي صلى الله عليه وسلم وليفشوا العلم ، وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا " ^(٣) .

أما قتل عمر رضي الله عنه الجماعة بالواحد حينما اشتركوا في قتله ، فإنه وان لم يرد في الشرع دليل على خصوصه الا أنه مستند الى المصلحة التي أيدتها نصوص الشرع الدالة على وجوب حفظ الدماء والنفوس . ويبين وجه المصلحة في ذلك ، أن القتل معصوم الدم ، وقد قتل عمداً ، فإهدار دمه داع الى هدم أصل القصاص ، واتخاذ الاستعانة والاشتراك ذريعة الى السعي بالقتل اذا علم أنه لا قصاص فيه ، فايقاع القصاص عليهم أمر تدعو اليه المصلحة الشرعية المعتبرة على وجه العموم وهي حفظ الدماء والنفوس ، فلا يعد ذلك من قبيل الابتداء لموافقته مقاصد الشرع وأصوله المعتبرة ^(٤) .

ثم هو بعد ذلك فعل خليفة راشد أجمع عليه الصحابة ، أما تضمين الصنيع فقد قضى الخلفاء الراشدون بتضمينهم ، وقال علي رضي الله عنه : (لا يصلح الناس الا ذاك) .

ووجه المصلحة في ذلك : أن الناس لهم حاجة الى الصنيع والغالب عليهم التفریط في عين الأمتعة ، فلو لم يضمنوا مع شدة الحاجة اليهم لأنفى ذلك

(١) ، (٢) صحيح البخاري . كتاب العلم . باب كتابة العلم ، ١ / ٢٩ .

(٣) سبق تخريجه ، ص ١١٢

(٤) انظر الاعتصام ، ٢ / ١٢٥ - ١٢٦ .

الى أحد أمرين :

- اما ترك الاستصناع بالكلية ، وذلك شاق على الخلق .
- واما أن يعملوا ولا يضمنوا بدعواهم . الهلاك ، فتضيح الأموال ، وتتطسرق الخيانة ، فكانت المصلحة في التضمن ، وهذا معنى قول علي : " لا يملح الناس الا ذاك " (١)

وبعد عرض أدلة الفريقين ومناقشة القائلين بالتقسيم تبين أن أدلة القائلين بدم البدع مطلقا أقوى وأسلم من المعارضة لأنه لم يرد في نصوص الشرع ما يعارضها وينقلها من العموم الى الخصوص ، ومن الاطلاق الى التقييد ، وأما ما ذكره الفريق الأول من أدلة فلا يعارض مع أحاديث العموم الواردة في دم البدعة . وذلك لأن البدعة هي ما أحدث في الدين وليس عليه دليل صحيح من الشرع لا خاص ولا عام . وما ذكره من أمثلة فاما أن يكون داخل في السنة بمعناها العام . واما أن يكون وسيلة لتحقيق أمر مشروع كبناء المدارس لنشر العلم الشرعي ، وتصنيف العلوم النافعة واستخدام وسائل العصر النافعة في نشر الدين والعلم وهذا كله يندرج تحت معنى السنة الحسنة .

ثم انه لاخلاف بين الفريقين في دم البدع المذمومة وانما الخلاف في تسمية السنة الحسنة بالبدعة الحسنة والاستدلال بما لا ينهض من الأدلة على وجود البدعة الحسنة . ولهذا الأمر خطورته لأن المبتدعة وأهل الأهواء يتذرعون بالخلاف في هذه المسألة ويعدون بدعهم المذمومة من قبيل البدعة الحسنة ويحاولون تخريجها على أصول الشرع .

لأجل هذا كان تحرير محل النزاع في هذه المسألة مهما جدا . فالجميع متفقون على أن البدع المذمومة ضلالة . ومتفقون أيضا على أنه قد أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشياء حسنة ، ولكنهم اختلفوا في تسميتها .

(١) انظر الاعتصام ، ٢ / ١١٩ .

فالفريق الأول سماها بدعة حسنة وحاول أن يثبت بالأدلة وجود البدعة الحسنة شرعا ليندرج تحتها كل ما أحدث من أمور الخير . وليس مقصدهم الا ذلك .

والفريق الثاني : قال بأنها ليست من البدع في شيء - لأن البدع كلها ضلالة لاحسن فيها - وانما هي من قبيل السنة الحسنة ، طالما أنها مندرجة تحت نصوص الشرع وقواعده العامة .

فالاخلاف لفظي ، ومآل القولين واحد بين أهل العلم في هذه المسألة وان كان الصحيح الذي لا مرية فيه هو أن البدعة كلها ضلالة ، وأن ماسمي بدعة مما ثبت حسنه فاطلاق اسم البدعة عليه شرعا لا ينطبق ولا يسوغ ، أما الخلاف الحقيقي فهو بين أهل العلم وأهل الأهواء حينما يريد المبتدعة تسويج بدعهم المذمومة ونشرها استنادا الى أنها بدعة حسنة ، وأن فريقا من العلماء قالوا بوجود البدعة الحسنة فهنا يكون الخلاف الحقيقي ، وتظهر خطورته في انتشار البدع الكثيرة بسبب الاعتماد على وجود مسمى البدعة الحسنة شرعا . فيجيب المحافظة - والحالة هذه - على عموم قوله صلى الله عليه وسلم " كل بدعة ضلالة " .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

(..... ان المحافظة على عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم : " كل بدعة ضلالة " متعين ، وأنه يجب العمل بعمومه ، وأن من أخذ يصنف " البدع " الى حسن وقبيح ، ويجعل ذلك ذريعة الى أن لا يحتج بالبدعة الا على النهي فقد أخطأ ، كما يفعل طائفة من المتفهمة والمتكلمة والمتصوفة . والمتعبدة اذا نهوا عن " العبادات المبتدعة " والكلام في التدين المبتدع " ، ادعوا أن لا بدعة مكروهة الا ما نهى عنه ، فيعود الحديث الى أن يقال : " كل ما نهى عنه " أو " كل ما حرم " أو " كل ما خالف نص النبوة فهو ضلالة " وهذا أوضح من أن يحتاج (في رده) الى بيان ، بل كل ما لم يشرع من الدين فهو ضلالة)^(١)

وقال أيضا شيخ الاسلام ابن تيمية :

(..... ومعلوم أن كل ما لم يسنه ولا استحبه رسول الله صلى الله عليه

وسلم ولا أحد من هؤلاء الذين يقتدى بهم المسلمون في دينهم ، فإنه يكون من البدع المنكرات ولا يقول أحد في مثل هذا أنه بدعة حسنة . إذ البدعة الحسنة - عند من يقسم البدع الى حسنة وسيئة - لا بد أن يستحبها أحد من أهل العلم الذين يقتدى بهم ، ويقوم عليها دليل شرعي على استحبابها ، وكذلك من يقول البدعة الشرعية كلها مدمومة لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح " كل بدعة ضلالة " ويقول : قول عمر في التراويح إنما أسماها بدعته : باعتبار وضع اللفظة ، فالبدعة في الشرع عند هؤلاء ما لم يقم دليل شرعي على استحبابه . ومآل القولين واحد ، إذ هم متفقون على أن ما لم يستحب أو يجب من الشرع فليس بواجب ولا مستحب ، فمن اتخذ عملاً من الأعمال عبادة وديننا وليس ذلك في الشريعة واجبا ولا مستحبا فهو ضال باتفاق المسلمين ^(١) .

وعلى ذلك فالبدعة المنصوص على ضالتها في الشرع هي :

- كل معارض السنة من الأقوال أو الأفعال أو العقائد .
- كل أمر يتقرب به الى الله ، وقد نهى عنه الشرع .
- كل أمر لا دليل عليه من الشرع ، مما يلحق بالعبادات أو العقائد .
- كل عبادة لم تأت كقيمتها الا في حديث ضعيف أو موضوع .
- كل عبادة أطلقها الشارع وقيدتها الناس ببعض القيود مثل المكان والزمان أو الهيئة أو العدد .
- كل امر لا يمكن ان يشرع الا بنص او توقيف ولانص عليه فهو بدعة ، الا ما كان عن صحابي .

- مانص على استحبابه بعض العلماء سيما المتأخرين منهم ولا دليل عليه .
- الغلو في العبادة ^(٢) .

(١) المصدر نفسه ، ٢٧ / ١٥٢ .

(٢) أنظر أحكام الجنائز للشيخ الألباني ، ص ٢٤٢ .

المبحث الثاني

✽ البدع التي ظهرت بدعوى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ✽

-x-

لقد كان من أكبر آثار الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم ظهور البدع في العقائد والعبادات والتي أظهرها المبتدعة بدعوى حبهم للرسول صلى الله عليه وسلم فجعلوا المحبة مبررا لهم في صنيعهم، كما حاولوا أن يلتصموا لها من الشبه الباطلة ما يقوي بنيانها.

وتنوعت ضروب البدع وتعددت ، وكلما مضى الزمان ازدادت البدع حتى أصبحت عقيدة راسخة في النفوس . وسأتحدث في هذا المبحث عن نماذج من هذه البدع :

أولا - ادعاء الصوفية أنهم يرون الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة :

أشرت في مبحث آثار الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم الى بعض البدع الاعتقادية في الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك كالاتقاد بالحقيقة المحمدية وتوابعها ، وبينت بطلانها .

ومما يعتقده الصوفية في هذا الباب ايمانهم بحياة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته حياة تامة لها كل خصائص الأحياء ، ولذلك قالوا بأنهم يرونه يقظة ويجتمعون به فيرشدهم في طريقتهم ، وأنه يحضر حضراتهم التي يقيمونها والموالد التي يعملونها .

وقد أشار الفزالي الى هذه الخرافة وجعلها من فضائل الصوفية وان لم يصرح بها تصريحاً واضحاً فقال عنهم :

(... حتى انهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتهم ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة والأمثال الى درجات يضيق عنها نطاق النطق)^(١)

(١) المنقذ من الضلال لأبي حامد الفزالي ، مع أبحاث في التصوف للدكتور عبدالحليم محمود ، ط ٨ ، طبع دار الكتب الحديثة ، مصر ، ١٣٩٤هـ ، ص ١٤٣ .

ولكن هذه الخرافة لم يصرح بها الا المتأخرون استفلا منهم لظروف الجهل التي ضربت عقول المسلمين فصاروا أسرى الخرافات والأساطير .

وقد ذكر عمر بن سعيد الفوتي في كتاب الرماح :^(١)

(أن الأولياء يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ، وأنه يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه ، وأنه يتصرف ويسير في أقطار الأرض وفي الملكوت ، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء ، وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم ، فإذا أراد الله أن يراه عبد رفع عنه الحجاب فيراه على هيئته التي كان هو عليها)^(٢) .

وعلى هذه البدعة أسست طرق صوفية كثيرة سميت بالطريق المحمدية لأنها كما يزعمون أخذت من الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة في اليقظة وذلك كالطريقة التيجانية والطريقة الأحمدية الإدريسية وغيرها من الطرق . كما بنوا عليها حضراتهم وموالدهم . إذ تزعم الصوفية أن الحضرة التي يقيمونها سميت بذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم يحضرها أما بروحه وأما يقظة بجسده وروحه .

وكذلك المولد الذي يقرأونه يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضره . خاصة عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم ، ولذلك يقومون لمجيئته

(١) عمر بن سعيد بن عثمان الفوتي السنفالي الأزهري التيجاني ، ولد ١٧٩٧ م ، في بلاد (ديمار) الواقعة في السنغال . درس في الأزهر ، وعاد إلى إفريقيا ليجهاد الوثنيين وينشر الإسلام ، وتوفي ١٨٦٤ م . من تصانيفه : كتاب رماح حزب الرحيم على نحر حزب الرجيم ، وكتاب سيوف السعادة وغيرها . انظر التيجانية ، على بن محمد الدخيل الله ، ط ١ ، دار طبية ، الرياض ، ص ٦٩ - ٧١ .

(٢) مجلة البحوث الإسلامية ، العدد ١٤ ، بحث التيجانية ، ص ٦٩ - ٩٧ نقلا عن

رماح حزب الرحيم على نحر حزب الرجيم لعمر بن سعيد الفوتي، ١/١٩٨-١٩٩ .

(٣) التيجانية : نسبة إلى أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني

المغربي ، (١١٥٠ - ١٢٣٠ هـ) ، شيخ الطريقة التيجانية . كان فقيها

مالكيا عالما بالأصول والفروع ، ملما بالأدب ، صوفيا . طريقته منتشرة

في المغرب ، والسودان ، ومصر ، وغيرها . انظر الأعلام ، ١ / ٢٤٥ .

(٤) نسبة إلى أحمد بن إدريس ، وقد مرت ترجمته .

ويقول قائلهم : جاء الرسول . حضر الرسول . وحتى يمعنوا في تفليس الناس بهذه البدعة يقولون بأن الرسول لا يراه الا الكمل من العباد ، أما القاصرون والمنكرون فهم محجوبون عن رؤيته صلى الله عليه وسلم . واعتقادهم في هذا يشبه اعتقادهم في القطب الصوفي المغيب عن الأعمار الذي لا يجتمع به الا كبار الأولياء على زعمهم ، مثلما يعتقد الشيعة في الامام الغائب المنتظر .

يقول صاحب جواهر المعاني عن شيخه أحمد التيجاني :

(قال رضي الله عنه : أخبرني سيد الوجود يقظة لا مناما . قال لي أنت من الأمنين ، ومن رآك من الأمنين ان مات على الايمان) .^(١)

وقال عنه أيضا : (. . ثم أمرني بالرجوع صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الفاتح لما أفلق ، فلما أمرني بالرجوع إليها ، سألته صلى الله عليه وسلم عن فضلها فأخبرني أولا بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات ، ثم أخبرني ثانيا أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ، ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ، ومن القرآن ستة آلاف مرة^(٢) لأنه من الأذكار) .

ويقول أحمد ابن ادريس في احدى صلواته :

(. . . واجمع بيني وبينه ، كما جمعت بين الروح والجسد ظاهرا وباطنا يقظة ومناما ، واجعله يارب روحا لذاتي من جميع الوجوه في الدنيا قبل الآخرة)^(٣)

ويستدلون على ادعائهم رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بالحديث الذي رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من رآني في المنام فسيراني فسي اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي) .^(٤)

(١) التيجانية ، ص ١٢٢ ، نقلا عن جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي

أبي العباس التيجاني ، لعلي بن حرازم الفاسي ، ١ / ١٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٦ ، نقلا عن أحزاب وأوراد التيجاني ، ص ١٢ .

(٣) مجموعة أحزاب وأوراد ورسائل . لأحمد بن ادريس ، ص ١٨٧ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التعبير . باب من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في

المنام ، ٤٢/٩ .

قالوا فالحديث صريح في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بعد موته في الدنيا قبل الآخرة .

(١)

قال ابن أبي جمرة :

(اللفظ - أي لفظ الحديث - يعطى العموم ، ومن يدعى الخصوص بغير مخصص منه صلى الله عليه وسلم فمتصف) .

وقال السيوطي بعد أن ذكر هذا الحديث وأيده ببعض النقول عن بعض العلماء :
(فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم حي بجسده وروحه وأنه يتعرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض فإذا أراد الله رفع الحجاب عن أراد إكراماً برويته رآه على هيئته التي هو عليها لا مانع من ذلك ولا داعي للتخصيص بروية المثل) .
(٢)

وهذا الحديث لا يدل على ما ذهبوا إليه لأن الحديث يحتمل عدة معان ولذلك اختلف العلماء في معناه وحملوه على عدة محامل منها :

- أن المراد به من آمن به في حياته ولم يره - لكونه حينئذ غائبا عنه - فيكون بهذا مبشرا لكل من آمن به ولم يره . أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته صلى الله عليه وسلم .
- أو أن معناه أنه سيرى تأويل تلك الرواية في اليقظة وصحتها وخروجها على الوجه الحق .

(١) هو أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي المالكي ، (٥٠٠ - ٥٦٩٩هـ)

مقريء - محدث . من تصانيفه : بهجة النفوس وتحليلها بذكر مالها وما عليها ، ومختصر صحيح البخاري .

انظر . نيل الابتهاج بتطريز الديباج . لأبي العباس أحمد بن أحمد بن عمر المعروف ببابا التنبكتي .

مطبوع بهامش الديباج المذهب لابن فرحون المالكي ، طبع دار الكتب العلمية بيروت ، ص ١٤٠ .

(٢) انظر بهجة النفوس ، لأبي محمد عبد الله بن أبي جمرة ، ط ٣ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ٤ / ٢٢٧ .

(٣) الحاوي للفتاوي للسيوطي . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٣ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥٩م ، ٢ / ٤٥٣ .

- وقيل انه على التشبيه والتمثيل ويدل على ذلك الرواية الأخرى ولفظهما:
 (فكأنما رأني في اليقظة) .
- وقيل معناه أن يراه يقظة في الآخرة ، وهذا إشارة لرائيه في النوم بناءً
 سيموت مسلماً ، لأنه لا يراه تلك الرؤيا الخاصة باعتبار القرب الا من تحقق
 موته على الاسلام . ومعنى ذلك أنها رؤية خاصة في الآخرة على سبيل القرب
 منه على الله عليه وسلم وهذا الوجه والذي قيله أقرب الوجوه الى العوالب .
- وقيل معناه أنه يراه في المرأة التي كانت له - على الله عليه وسلم -
 ان أمكنه ذلك ، وهو قول ابن أبي جمرة . قال ابن خنجر في الفتح : (وهذا
 من أبعد المحامل) .
- وقيل معناه أنه يراه حقيقة في الدنيا ويخاطبه .
 وهذا الاحتمال الأخير باطل من وجهين :

١ - أنه مستحيل شرعاً لمعارضته النصوص . كقوله تعالى : ﴿ انك ميت وانهم
 ميتون ﴾ (٤) . وهو أيضا مخالف لاجماع الأمة التي أجمعت على وفاته صلى
 الله عليه وسلم . ولا يرد على ذلك أن الانبياء أحياء في قبورهم ،
 وما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من أنه ترد عليه روحه حتى يرد
 السلام على من سلم عليه . فان هذه الحياة حياة برزخية تختلف عن الحياة
 الدنيا في خصائصها وصفاتها ولذلك يقتصر في شأنها على ماورد في
 النصوص ، ولاتقاس على الحياة الدنيا بأي حال من الأحوال .

ثم ان حمل هذا الحديث على رؤيته يقظة في الدنيا بعد وفاته يلزم
 منه ادعاء الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا مستحيل لأنه
 معوم عن الكذب . وبيان ذلك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 (من رأني في المنام فسيراني في اليقظة) فعلق الجواب على الشرط ،
 ومن المعلوم أن جمعا كثيرا من سلف الأمة وخلقها قد رأوه في المنام ولم
 يذكر أحد منهم أنه رآه في اليقظة . وخير الصادق صلى الله عليه وسلم لا يتخلف .
 (٥)

(١) انظر بهجة النفوس ، ٤ / ٢٢٨ .

(٢)، (٣) انظر فتح الباري ، ١٢ / ٢٨٥ .

(٤) سورة الزمر ، آية (٣٠) .

(٥) انظر . فتح الباري ، ١٢ / ٢٨٥ ، والتيجانية ، ص ١٣٠ وما بعدها .

٢ - أنه مستحيل عقلا لأنه يلزم منه لو ازم ياطلة مثل أن يخرج ويراه الناس وأن يقود أمته في كل المواطن كما كان في حياته صلى الله عليه وسلم وأن يجاهد في سبيل الله وأن يفعل بين الأمة في المسائل المتنازع عليها والحوادث التي وقعت لأمته من بعده طالما أنه حي حياة تامة .

اذ لو صح ذلك لكان حل النبي صلى الله عليه وسلم لمشاكل أمته التي حدثت من بعده وجمع كلمتهم أولى من أن يظهر لأناس في مجالس بدعية جمعوا فيها من فنون الشرك والبدع ما نهى عنه وحذر منه .

فكيف يحضر مجالسهم التي بهذه الصفة ويترك الصحابة والأمة من بعدهم يواجهون الفتن بأنفسهم وهم أحوج ما يكونون إليه لو كان حيا .

(١)

قال القرطبي فيما نقله الحافظ ابن حجر :

(وهذا القول يدرك فسادَه بأوائل العقول ويلزم عليه ألا يراه أحد الا على صورته التي مات عليها ، وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين وأن يحيا الآن ، ويخرج من قبره ويمشي في الأ سواق ويخاطب الناس ويخاطبوه ، ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى في قبره منه شيء فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب ، لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره ، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل)^(٢)

ثم ان هذا الحديث لو صح دليلا على دعواهم لتطرقت إليه الاحتمالات السابقة والدليل اذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال . وأيضا فان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته في اليقظة هي من الامور الاعتقادية التي لا تثبت الا بدليل صحيح سالم من المعارضة . وهذا الدليل محتمل لوجوه متعددة ومعارض بنصوص

(١) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن ابراهيم الأنصاري القرطبي المالكي ويعرف بابن المزيّن (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ) . فقيه . محدث لفوي . وهو شيخ القرطبي المفسر . من تصانيفه : المفهم لما أشكل من شرح صحيح مسلم ، واختصار صحيح البخاري ، وغيرها .

انظر . نفح الطيب ٢ / ٦١٥ ، والديباج المذهب ، ص ٦٨ - ٧٠ .

(٢) فتح الباري ، ١٢ / ٢٨٤ .

(١) صريحة قطعية من القرآن والسنة تثبت موته صلى الله عليه وسلم .

قال ابن تيمية :

(وَالضَّلَالُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ يَرُونَ مِنْ يَعْظَمُونَهُ : " إِمَّا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِمَّا غَيْرَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَقْظَةُ ، وَيَخَاطِبُهُمْ وَيَخَاطِبُونَهُ . وَقَدْ يَسْتَفْتُونَهُ وَيَسْأَلُونَهُ عَنْ أَحَادِيثَ فَيُجِيبُهُمْ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّ الْحَجْرَةَ قَدْ أَنْشَقَّتْ وَخَرَجَ مِنْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَانَقَهُ وَمَاحِبَاهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ رَفَعَ صُوتَهُ بِالسَّلَامِ حَتَّى وَصَلَ مَسِيرَةَ أَيَّامٍ وَالْإِلى مَكَانَ يَعْبُدُ ٠٠٠٠ . وَهَذَا مَوْجُودٌ عِنْدَ خَلْقٍ كَثِيرٍ كَمَا هُوَ مَوْجُودٌ عِنْدَ النَّصَارَى وَالْمَشْرُوكِينَ ، لَكِنْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَكْذِبُ بِهَذَا ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ إِذَا صَدَّقَ بِهِ يَظُنُّ أَنَّهُ مِنَ الْآيَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَأَنَّ الَّذِي رَأَى ذَلِكَ رَأَاهُ لِعِلاَحِهِ وَدِينِهِ . وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَأَنَّهُ بِحَسَبِ قَلْبِ عِلْمِ الرَّجُلِ يَظُنُّ الشَّيْطَانَ .

ومن كان أقل علما قال له ما يعلم أنه مخالف للشريعة خلافا ظاهرا . ومن عنده علم منها لا يقول له ما يعلم أنه مخالف للشريعة ولا مفيدا فائدة في دينه ، بل يضلّه عن بعض ما كان يعرفه ، فان هذا فعل الشياطين ، وهو ان ظن أنه قد استفاد شيئا فالذي خسره من دينه أكثر . ولهذا لم يقل قط أحد من الصحابة : أن الخضر أتاه ، ولا موسى ولا عيسى ، ولا أنه سمع رد النبي صلى الله عليه وسلم عليه . وابن عمر كان يسلم اذا قدم من سفر ولم يقل قط أنه يسمع الرد . وكذلك التابعون وتابعوهم ، وانما حدث هذا من بعض المتأخرين . . . فمن قل علمه بالتوحيد والسنة ، فأضله الشيطان كما أضل النصارى في أمور لقلة علمهم بما جاء به المسيح ومن قبله من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم) .^(٢)

اذاتبين لنا هذا علمنا أن ما يديه الصوفية من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ورويتهم له يقظة هو محض خرافة ، يكذيها العقل والواقع والتاريخ وأن ما بنوه على أساس هذه الخرافة باطل ، وأن هذا من تلاعب الشياطين بهم لأنهم ليسوا على الطريقة الشرعية في عقائدهم وعبادتهم ، والا لو كان هذا

(١) انظر . التيجانية ، ص ١٣١ .

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٧ / ٣٩١ - ٣٩٣ .

صحيحاً لحصل لأفضل الخلق بعده صلى الله عليه وسلم وهم صحابته ، لكنهم لما كانوا على الصراط المستقيم لم تتطمع الشياطين في اضلالهم بمثل هذه الخرافات (١) والبدع .

وكما ليس الشيطان عليهم في ادعائهم لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ، فقد ليس على كثير منهم في الرؤيا المنامية مع تعمد كثير منهم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام .

فهاهو ابن عربي امام ملاحدة الصوفية المسمى عندهم بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر يزعم بأنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقد أعطاه كتاب فصوص الحكم ليخرج به على الناس ، وهو كتاب مشحون بالكفر والكذب على الله ورسوله من أوله الى آخره .

فلم يكتف بالكذب في يقظته حتى كذب في منامه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغالب الصوفية يعتمدون على الرؤيا المنامية في اثبات ادعائهم وخرافاتهم ، فالصادق منهم ليس عليه الشيطان بأنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في الحقيقة لم يره ، وأما الكذوب فأمره بين ، وقد ذكر العلماء أن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام لا يثبت بها حكم شرعي أو ينفي ، لأن الشريعة ثابتة بالأدلة الشرعية المعروفة الظاهرة ، وليست الرؤيا دليلاً من هذه الأدلة . ثم قالوا ان من رأى رؤيا فليعرض رؤياه على الشرع فان وافقت مقتضى الشرع فالحكم به وتكون الرؤيا من قبيل الاستئناس .

وان كانت مخالفة لامر شرعي فمحال وباطلة ، لان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته ، لان الدين لا يتوقف استقراره بعد موته على حصول المرائى المناميه . فمن رأى شيئاً من ذلك فرؤياه غير صحيحة . اد لورأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام حقاً لم يخبره بما يخالف الشرع . فمن اخبر بما يخالف الشرع واستند الى رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم واجازته له فهو احد رجلين :

اما كذوب دجال كاهن عربي وأمثاله ، واما صادق ولكن ليس الشيطان عليه لقله علمه فأوهمه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره . (٢)

(١) انظر الرد على هذه الخرافة . فتاوى الامام محمد رشيد رضا ، المجلد الخامس ص ١٨٤٥ ، وما بعدها ، جمع وتحقيق د. صلاح الدين المنجد . ويوسف خوري ، ط١ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧١ م .
(٢) انظر . المدخل لابن الحاج ٢٨٦/٤٠ وما بعدها .

ثانيا - التوسل غير المشروع بالنبي صلى الله عليه وسلم :

ومن البدع التي أحدثها الصوفية التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بذاته وبجاهه أو الأقسام على الله به . ويدخلون في هذا التوسل الاستغاثة به وطلب الحاجات منه . وهذه البدعة أخذت شكلا علميا لدى الصوفية لكثرة ما كتب فيها من مؤلفات ورسائل . لكن جوهر الحقيقة هو أنهم يريدون أن يظهرُوا أمام الناس بمظهر المتمسك بأدلة الشرع . لذا نراهم يحرصون على جلب الأدلة وسوقها حتى يتسنى لهم اثبات مشروعية هذا النوع من التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن ثم يدخلون فيه كل ألوان الشرك كالأستغاثات والتضرع وطلب الحاجات وغير ذلك .

ثم ان لهم من وراء ذلك مقصدا آخر وهو أنهم يجوزون الشرك بالأولياء والصالحين تحت اسم التوسل بهم ، طالما ثبت التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فلا مانع أن يتعدى ذلك الى الأولياء من بعده . وادا سألتهم عن الدافع الى ذلك قالوا ما هو الا محبة النبي صلى الله عليه وسلم وأولياء الله الصالحين وتعظيمهم ومعرفة حقوقهم الخ .

وقبل الكلام على التوسل المبتدع بالرسول صلى الله عليه وسلم ، أود أن أبين أن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ينقسم الى قسمين :

١ - توسل مشروع .

٢ - توسل غير مشروع .

أما التوسل المشروع فينقسم الى نوعين :

- أحدهما التوسل بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته . وهذا فرض عين على كل مسلم في كل حال ، ولا يسقط عن أحد من الخلق بعد قيام الحجة عليه ، ولا يعذر فيه بأي عذر . وقد جعل الله الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته وسيلة الى كل خير ورحمة في الدنيا والآخرة .

ويقع التوسل بهذا النوع على وجهين :

- فتارة يتوسل المسلم بالإيمان بالرسول وطاعته ومحبته الى ثواب الله ووجنته .

- وتارة يتوسل بذلك في الدعاء فيقول مثلا : اللهم بإيماني بنبيك وطاعتي

له وحيي اياه اغفر لي .

- ثانيهما : التوسل بدعائه صلى الله عليه وسلم وشفاعته، وذلك في حياته . كما كان الصحابة يفعلونه مع النبي صلى الله عليه وسلم . ممن طلب الدعاء منه ، والاستغفار لهم ، وطلب السقيا لهم .

كما يكون في الآخرة بطلب الخلق منه أن يشفع لهم عند ربهم للقضاء بين العباد وهذا هو المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون ، وعليه فهذا النوع من التوسل اما أن يكون في حياته صلى الله عليه وسلم ، وهو نافع لمن دعا له الرسول أو شفع له . واما أن يكون في يوم القيامة حيث يتوسل الناس به ليشفع لهم عند ربهم .

أما بعد مماته فلم يكن أحد يطلب منه الدعاء لأعند قبره ، ولا في أي مكان آخر . ولم يفعل ذلك الصحابة والتابعون ولا من بعدهم . ولم ينقل عنهم بوجه صحيح أن ذلك جائز . وهذا النوع من التوسل يقع على وجهين أيضا :

- الأول : أن يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم الدعاء والشفاعة فيدعو ويشفع كما كان الصحابة يطلبون منه فيدعو لهم . وكما يطلب الخلق منه ذلك في يوم القيامة . وأحاديث الاستسقاء وغيرها توضح ذلك أتم توضيح .

- الثاني : أن يضيف الى ذلك سؤال الله تعالى بشفاعة نبيه ودعائه وذلك كما في حديث الأعمى فإنه طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم الدعاء والشفاعة ، فدعا له الرسول وشفع فيه وأمره أن يدعو الله فيقول : " اللهم اني أسالك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة " الحديث . وفيه : اللهم فشفعه في " فأمره أن يسأل الله قبول شفاعة نبيه فيه . وسيأتي مزيد شرح لهذا الحديث .

وهذا النوع من التوسل لا يجوز الا في حياته صلى الله عليه وسلم اما بعد وفاته فلا يجوز بحال من الاحوال . اذ ليس على ذلك دليل صحيح كما سيأتي بيانه .

٢ - التوسل غير المشروع :

ويقصد به التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم ، وسؤال الله بجماله نبيه ، والاقتمام على الله به . وهذا النوع غير مشروع لفقدان الدليل على مشروعيته ، فلم ترد به سنة صحيحة ولم يكن المحابة يفعلونه لا في حياته صلى الله عليه وسلم ولا بعد موته ، لا عند قبره ولا في أي مكان آخر . ولم ينقل ذلك عنهم بوجه صحيح يعتمد عليه عند أهل العلم . بل الثابت عنهم أنهم عدلوا عنه إلى غيره ، كما فعل عمر مع العباس رضي الله عنهما .

وهذا التوسل غير المشروع هو مقصود غالب المتأخرين بالتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ويعتقدون أنه من أفضل القربات ، وأنه دليل على حب النبي صلى الله عليه وسلم والصالحين . وهو أول ما يعولون على اثباته والمنافحة عنه ، والرد على ما نعيه ، والتشجيع عليهم حتى يسلم لهم ما أرادوا مسن تعميم التوسل بالأنبياء والصالحين ، وهذا النوع هو ما سأتناوله بشيء من العرض والتفصيل .

(١)

يقول السبكي :

(ان التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم جائز في كل حال . قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا ، وبعد موته في مدة البرزخ ، وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة)^(٢) .

ويقسمه إلى ثلاثة أنواع :

- النوع الأول : أن يتوسل به بمعنى أن طالب الحاجة يسأل الله تعالى

(١) هو تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي (٦٨٣ - ٧٥٦ هـ) ،

فقيه . أصولي . محدث . مفسر . لغوي . من تصانيفه :

الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم . تكملة المجموع للنووي في خمسة مجلدات ، شفاء السقام في زيارة خير الأنام ، عارض به شيخ الإسلام ابن تيمية في مسألة شد الرجال إلى زيارة القبر النبوي الشريف وغيرها . انظر طبقات الشافعية الكبرى ، ١٠ / ١٢٩ - ٣٢٨ . والدر الكامنة

٣ / ١٣٤ ، وما بعدها .

(٢) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ، تقي الدين السبكي ،

طبع مجلس دائرة المعارف العثمانية . حيدرآباد الدكن ، ١٣١٥ هـ ، ص ١٦٠ .

به أو بجاهه أو ببركته . فيجوز ذلك في الأحوال الثلاثة وقد ورد في كل منها خبر صحيح . وساق تحت هذا النوع حديث توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم^(١) وغيره من الأحاديث .

- النوع الثاني : التوسل به بمعنى طلب الدعاء منه . وقال : ان ذلك كما كان في حياته يجوز بعد موته .

ثم ساق حديثا يسنده عن مالك الدار قال : (أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فجاء رجل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا . فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال : ائتت عمر فأقرئته السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له : عليك الكيس الكيس . فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال : يارب ما آلو الا ما عجزت عنه) .

قال . ومحل الاستشهاد من هذا الأثر طلبه الاستسقاء من النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته في مدة البرزخ . ولأمانح من ذلك فان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لربه تعالى في هذه الحالة غير ممتنع !!

- النوع الثالث : أن يطلب منه ذلك الأمر المقصود . بمعنى أنه صلى الله عليه وسلم قادر على التسبب فيه بسؤاله ربه وشفاعته اليه . فيعود الى المعنى الثاني وان كانت العبارة مختلفة^(٢) .

وبعبارة أصرح من ذلك أن يطلب منه الحاجات رأسا فيقول السائل يارسول الله فرج كربتي أو أغثنني ... الخ .

ولم يجد السبكي ما يستدل به على هذا النوع الثالث سوى أنه عائد الى النوع الثاني . لكن غيره وجدوا ما يستدلون به على مثل هذا النوع ، وهي الحكايات والمنامات وعليها غالب اعتمادهم .

(١) انظر ص ٢٤٧ من هذا البحث .

(٢) انظر . المصدر السابق ، ص ١٦١ ، وما بعدها .

- شبهات المجيزين لهذا النوع من التوسل :

يورد الصوفية شبهات كثيرة على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم توسلا بدعيا وشركيا ليوهموا أتباعهم أنهم بذلك على الحق وأنهم أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرب من غيرهم . وشبههم متنوعة لكنني سأقتصر على أقواها في نظرهم .

أولا - من القرآن :

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ (٢)

قال صاحب كتاب حقيقة التوسل والوسيلة :

(ولفظ الوسيلة عام في الآيتين فهو شامل للتوسل بالذوات الفاضلة من الأنبياء والصالحين في الحياة وبعد الممات ، وباتيان الأعمال الصالحة على الوجه المأمور به ، وللتوسل بها بعد وقوعها) (٣)

واستدل لهم بهاتين الآيتين باطل لأنه مخالف لتفسير الصحابة والتابعين وما عليه أئمة التفسير من أن المراد بالوسيلة في الآيتين التقرب إلى الله بصالح الأعمال ولم يؤثر عن واحد من هؤلاء أنه فسرها بجواز التوسل بالذوات الأنبياء والصالحين كما فسره هؤلاء .

ثم إن الاستدلال بالآية الثانية بالذات على مدعاهم من أبطل الباطل وأكذب الكذب لأنها تدل على نقيض ما ادعوه وترد عليهم دعواهم ، ويبين هذا بسبب نزولها كما قال ابن مسعود رضي الله عنه فيما رواه البخاري عنه : (كان ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن ، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم) (٤)

(١) سورة المائدة ، آية (٢٥) .

(٢) سورة الاسراء ، آية (٥٧) .

(٣) حقيقة التوسل والوسيلة على ضوء الكتاب والسنة ، موسى محمد علي ، طبع

دار التراث ، القاهرة ، ١٩٨١م ، ص ٢٩ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قول الله تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين

الذين زعمتم من دونه ﴾ ، ٦ / ١٠٧ .

ومعنى ذلك أن الله يرد على هؤلاء الذين عبدوا الجن ودعوهم من دون الله بأن الذين تدعونهم قد أسلموا فصاروا يتقربون الى الله بصالح الأعمال ، وفي هذا تحريض لهؤلاء المشركين على الايمان بالله وحده وسلوك مسلك الجن الذين آمنوا ، قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ﴾ (١) .

(٢)

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وابتغوا اليه الوسيلة ﴾ (٣) : (اعلم أن جمهور العلماء على أن المراد بالوسيلة هنا هو القربة الى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه على وفق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم باخلاص في ذلك لله تعالى ، لأن هذا وحده هو الطريق الموصلة الى رضى الله تعالى ونيل ما عنده من خير الدنيا والآخرة .

..... وبهذا التحقيق تعلم أن ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهال المدعين للتصوف من أن المراد بالوسيلة في الآية الشيخ الذي يكون واسطة بينه وبين ربه ، أنه تخبط في الجهل والعمى و ضلال مبين وتلاعب بكتاب الله تعالى ، واتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار ، كما صرح به تعالى في

(١) سورة الاسراء ، آية (٥٦ - ٥٧) .

(٢) هو الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ثم

المدني . (١٣٠٥ - ١٣٩٣ هـ) .

درس القرآن وعلومه ، والعربية وفنونها ، والفقه ومسائله في بنـلاده

مور تانيا ، ثم قدم الى الحج فكتب الله له المقام بالمدينة فسكنها

فدرس في المسجد النبوي وأفاد .

من تصانيفه : أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن .

ومذكرة في أصول الفقه ، آداب البحث والمناظرة وغيرها .

انظر . ترجمته في نهاية تفسير أضواء البيان لتلميذه الشيخ عطية سالم ،

الجزء التاسع . وانظر . الأعلام ، ٦ / ٤٥ .

(٣) سورة المائدة ، آية (٣٥) .

قوله عنهم : ﴿ الا ليقرّبونا الى الله زلفى ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (٢) .

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الطريق الموصلة الى رضى الله وجنته ورحمته هي اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن حاد عن ذلك فقد ضل سوا السبيل (٣) .

ومما استدلوا به من الأحاديث ما أخرجه البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه : (أن عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استمقى بالعينى بن عبد المطلب فقال : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتمقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، قال : فيسقون) (٤) .

ويستدلون بهذا الحديث على جواز التوسل بذوات المخلوقين وجاههم فقالوا ان توسل عمر انما كان بجاه العباس ومكانته عند الله سبحانه وتعالى وان توسله انما كان مجرد ذكر منه للعباس في دعائه وطلب من الله أن يسقيه من أجله وقد أقره الصحابة على ذلك فدل هذا بزعمهم على جواز التوسل بسذات المخلوق وجاهه . ولكن ما سبب عدول عمر عن التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم طالما أن ذلك جائز في نظرهم . أجابوا عن ذلك بأن عدوله كان لبيبان جواز التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم وأن ذلك مما لاجر فيه .

(٥)

يقول الشيخ أحمد زيني دحلان :

(وانما استمقى عمر رضى الله عنه بالعباس رضى الله عنه ولم يستمقى

(١) سورة الزمر ، آية (٣) .

(٢) سورة يونس ، آية (١٨) .

(٣) أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ، ٢ / ٩٧ - ٩٨ .

(٤) صحيح البخاري . كتاب الاستسقاء . باب سؤال الناس الامام الاستسقاء اذا قحطوا ، ٢ / ٣٤ .

(٥) هو أحمد بن زيني دحلان المكي (١٢٢٢ - ١٣٠٤ هـ)

فقيه . مؤرخ . من تصانيفه . الفتوحات الاسلامية ، والسيرة النبوية والدرر السنوية في الرد على الوهابية ، رد فيه على الشيخ محمد بن عبد الوهاب معصبا للنصوية ، وقد رد عليه الشيخ محمد بشير السهوانى فى كتاب سماه " صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان " .

بالنبي صلى الله عليه وسلم ليبين للناس جواز الاستسقاء بغير النبي صلى الله عليه وسلم وأن ذلك لا حرج فيه ، وأما الاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم فكان معلوما عندهم فلربما أن بعض الناس يتوهم أنه لا يجوز الاستسقاء بغير النبي صلى الله عليه وسلم فبين لهم عمر باستسقاؤه بالعباس الجوان (١) .

واستدلهم بهذا الحديث على ما يدعونه استدلالاً ياتل لأمور :

- أولاً : أن الحديث قد ذكر أن الصحابة كانوا يتوسلون بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم في حال حياته للسقيا فيستسقي لهم ، وقد بينت الأحاديث الواردة في الاستسقاء ذلك ، وليس هناك حديث صحيح يؤيد ما ذهبوا إليه من أن الصحابة كانوا يتوسلون بذات النبي صلى الله عليه وسلم أو جاهه .

بل الأحاديث الواردة تؤكد أن التوسل إنما كان بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم . أخرج الشيخان بسنديهما عن أنس رضي الله عنه : (أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً ، فقال يا رسول الله هلكت المواشي ، وانقطعت السبل ، فادع الله أن يغثنا ، قال ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، فقال : اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا قال أنس ولا والله ما نرى في السماء من سحب ولا قزعة ، ولا شيئاً وما بيننا وبين طلع من بيت ولا دار ، قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء ، انتشرت ثم أمطرت ، قال : والله ما رأينا الشمس ستاً ، ثم دخل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبله قائماً ، فقال : يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها ، قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والجبال والطراب والأودية ومناكب الشجر . قال : فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس) (٢) .

(١) الدرر السنية في الرد على الوهابية ، أحمد زيني دخلان ، ص ٨ - ٩ .
 (٢) صحيح البخاري . كتاب الاستسقاء ، باب الاستسقاء في المسجد الجامع ٢ / ٢٤ - ٢٥ ، وصحيح مسلم كتاب صلاة الاستسقاء . باب الدعاء في الاستسقاء ٢ / ٦١٢ ، وما بعدها .

وأخرج البخاري بسنده عن عباد بن تميم عن عمه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بالناس يستسقي لهم ، فقام فدعا الله قائما ثم توجه قبل القبلة وحول رداءه فسقوا)^(١)

فهذان الحديثان وأمثالهما كثير في كتب السنة ، وكلها تؤكد أن الصحابة كانوا إذا انقطع عنهم المطر ذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يدعو الله لهم ليسقيهم ، أو أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخرج بهم فيصلى صلاة الاستسقاء ويدعو الله لهم كما هي السنة في هذا الأمر .

وهذا هو الذي قصده عمر بقوله " اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقيننا " .

- ثانيا : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسل عمر بدماء العباس رضي الله عنهما ، وذلك لعلمه بأن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته غير ممكن ولا جائز . وتكرر هذا منه بحضور الصحابة رضي الله عنهم . فلو كان التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته جائزا لما عدل عنه عمر رضي الله عنه ، ولما أقره الصحابة على ذلك ، فلما تكرر ذلك منه دل على عدم جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته .

- ثالثا : ان تكرر هذا الفعل من عمر رضي الله عنه يدحض شبهة الذين قالوا بأنه قد فعل ذلك لبيان جواز التوسل بغير النبي وأن التوسل بالنبي بعد وفاته كان أمرا معلوما لدى الصحابة . وهذا ليس بصحيح ، إذ لو كان كذلك لما تكرر ذلك الفعل من عمر رضي الله عنه ولبيان أن مقصده من ذلك هو بيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل كما يزعمون . ثم ان فيه كذبا على عمر وجمهور الصحابة رضي الله عنهم . لأن المجيزين ادعوا أن التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم كان أمرا معلوما لدى الصحابة . مع أنه لم ينقل عنهم بوجه صحيح ما يؤيد دعواهم . بل المنقول عنهم خلاف ذلك .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء قائما ، ٢/٣٨٠

- رابعا : أن عمر قد صرح بأنهم كانوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، وأنه بعد وفاته توسل بعمه العباس . ومما لا شك فيهِ أنه أن التوسلين من نوع واحد ، وهو التوسل بدعاء الصالحين ورسول الله صلى الله عليه وسلم امامهم .^(١)

- خامسا : أن بعض روايات الحديث الصحيحة قد فسرت كلام عمر المذكور وقصده إذ نقلت دعاء العباس رضي الله عنه استجابة لطلب عمر رضي الله عنه . فمن ذلك ما نقله الحافظ ابن حجر في الفتح حيث قال : (وقد بين الزبيبي ابن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك ، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استحقى به عمر قال " اللهم انه لم ينزل بلاء الا بدني ، ولم يكشف الا بتوبة ، وقد توجه القوم بني لمكاني من نبيك ، وهذه أيدينا اليك بالذنوب ، ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث " قال فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخضت الأرض وماش الناس) .^(٢)

فهذا الحديث قد بين أن التوسل انما كان بدعاء العباس رضي الله عنه لا بداته أو شيبته كما يزعمون ، وألا فما الداعي الى أن يقوم العباس فيدعو دعاء جديدا ؟ وما فائدة مجي العباس الى مكان الاستسقاء للدعاء ؟! ولم يكن عمر رضي الله عنه وحده هو الذي عدل عن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته الى التوسل بغيره من الأحياء . بل تابعه على ذلك معاوية ابن أبي سفيان والضحاك بن قيس رضي الله عنهما إذ توسلا بدعاء يزيد بن الأسود الجرشي . وعلى هذا جرى عمل الصحابة والتابعين .^(٣)

(١) انظر التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ الألباني ، ص ٦٠ - ٦٩ .
 (٢) هو أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب من ولد الزبيبي ابن العوام رضي الله عنه (١٧٢ - ٢٥٦ هـ) .
 كان ثقة ثبوتا عالما بالأنساب . شاعرا ولي قضاء مكة . من تصانيفه : جمهرة نسب قریش وأخبارها ، أخبار العرب وأيامها ، مزاج النبي صلى الله عليه وسلم ، انظر تاريخ بغداد ٤٦٧/٨ ، وسير أعلام النبلاء ، ٣١١/١٢ .
 (٣) فتح الباري ١٥٠/٣ .
 (٤) أخرج هذا الأثر ابن سعد في الطبقات ، دار صادر ، بيروت ، ٧ / ٤٤٤ .
 (٥) هو يزيد بن الأسود الجرشي من سادات التابعين بالشام ، أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره . انظر سير أعلام النبلاء ٤ / ١٣٦-١٣٧ .

(٦) انظر . التوسل ، ص ٧٠ .

فتبين من هذا أن حديث عمر بن الخطاب في توسله بالعباس رضي الله عنهما ليس فيه دليل على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته بل هو دليل على عدم جوازه .

ومن الأحاديث التي استدلووا بها ما أخرجه أحمد وغيره بسنده عن عثمان ابن حنيف : (أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ادع الله أن يعافيني . قال : " ان شئت دعوت لك وان شئت أخرجت ذلك فهو خير " ، فقال : أدعه . فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء : " اللهم اني أسالك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي ، اللهم نشفعه في شفيعتي فيه ، قال : ففعل الرجل فبرأ)^(١) .

ووجه استدلالهم بهذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم علم الأعمى أن يتوسل به في دعائه ، وأن الأعمى فعل ذلك فعاد بصيراً ، وأن توسله انما كان بذات النبي صلى الله عليه وسلم لا بدعائه ، واذا كان كذلك فمن الجائز لكل أحد أن يدعو بهذا الدعاء الوارد في هذا الحديث .

(٢)

قال ابن حجر الهيتمي :

(وانما علمه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ولم يدع له ، لأنه أراد أن يحصل منه التوجه وبذل الافتقار والانكسار والاضطرار مستغيثاً به صلى الله عليه وسلم ليحصل له كمال مقصوده . وهذا المعنى حاصل في حياته وبعدوفاته ومن ثم استعمل السلف هذا الدعاء في حاجاتهم بعد موته)^(٣) .

واستدل بقصة الرجل مع عثمان بن حنيف رضي الله عنه وسيأتي ذكرها .

(١) المسند ، ٤ / ١٢٨ ، وسنن ابن ماجه ١ / ٤٨١ ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، ١ / ٥١٩ .

(٢) شهاب الدين احمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي (٩٠٩ - ٩٧٤هـ)

فقيه . باحث . من تصانيفه : مبلغ الأرب في فضائل العرب . الصواعق

المحرقة على اهل البدعة والضلal والزندقة وغيرها . انظر الاعلام ١ / ٢٣٤ .

(٣) الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم ، ص ٧٦ - ٧٧ .

وعلى ذلك فهم يرون أن الحديث حجة لهم في جواز التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم . وأن هذا الحديث ليس خاصا بالأعمى ، بل هو جائز لكل أحد أن يدعو به . لكن هذا الحديث لا يدل على صاذهبوا اليه . بل هو دليل على نوع من أنواع التوسل المشروع ، لأن الأعمى إنما توسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا أمر مشروع كما سبقت الإشارة اليه ، ويوضح هذا من الحديث عدة أمور .^(١)

- أولا : أن الأعمى إنما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعوه له ، وهذا معنى قوله : " ادع الله أن يعافيني " فهو قد توسل بدعائه صلى الله عليه وسلم لما يعمل من استجابة دعائه دون غيره ، ولذلك طلب منه الدعاء ولو كان مقصوده التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم أو جاهه كما يزعمون ، لما كانت هناك حاجة في أن يأتي إلى النبي ويسأله الدعاء له ، بل كان يكفيه أن يجلس في بيته ويدعو ربه متوسلا بذات النبي أو جاهه ولكنه لم يفعل ذلك لأنه كان يفهم جيدا معنى التوسل ، وأنه لا بد أن يذهب إلى المتوسل به ليطلب منه ما يريد .

- ثانيا : أن النبي صلى الله عليه وسلم وعده بالدعاء بعد أن خيره بين الدعاء وبين الصبر إذا شاء .

- ثالثا : إصرار الأعمى على الدعاء وهذا يقتضي أن الرسول قد دعا له لأنه وعده بالدعاء إذا أراد ، وقد أراد ذلك وأكده بقوله : " ادع الله " ومع ذلك لم يكتف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء له بل وجهه إلى عمل صالح حتى يجمع له أطراف الخير ، وهو أمره له بالصلاة وتعليمه الدعاء الذي يدعو به في صلاته .

- رابعا - أن قول الأعمى في آخر هذا الدعاء : " اللهم فشفه في " يستحيل حمله على التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم ، أو بجاهه كما يزعمون . لأن معناه : اللهم اقبل شفاعته صلى الله عليه وسلم في ، أي اقبل

(١) انظر في بيان هذه الأمور .

دعائه في أن ترد علي بصري . وهذا معنى الشفاعة . ولاتتم الشفاعة الا اذا كان اثنان يطلبان أمرا يكون أحدهما شفيعا للآخر والشفاعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكون الا بدعاء الرسول للمشفوع له .

- خامسا - أن مما علمه النبي صلى الله عليه وسلم للأعمى أن يقول في دعائه : " وشفعني فيه " أي اقبل دعائي في قبول شفاعته ودعائه لي . وهذه الجملة وحدها كافية في الرد على من يزعمون أن توسل الأعمى كان بذاته صلى الله عليه وسلم أو بجاهه ، إذ كيف تكون شفاعة الأعمى في الرسول . الا اذا دعا له الرسول فدعا الأعمى ربه في أن يستجيب دعاء نبيه له .

- سادسا - ان هذا الحديث قد ذكره العلماء في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه المستجاب ، وما أظهره الله ببركة دعائه من الخوارق والابراء من العاهات ، فانه ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره . ولذلك ذكره المصنفون في دلائل النبوة كالبيهقي وغيره . وهذا يدل على أن السرف في شفاء الأعمى انما هو دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له .^(٢)

- سابعا - أن هذا الدعاء خاص بالأعمى لأنه متضمن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته له وليس من لم يدع له الرسول ويشفع له بمنزلة ذلك الضير الذي دعا له الرسول وشفع له . ولو كان هذا عاما كما يفهمه المجيزون لكان لعميان الصحابة أو بعضهم أن يدعوا بهذا الدعاء فيحصل لهم الشفاء ، فعدولهم عن هذا الدعاء الى غيره دليل على أنه خاص بذلك الأعمى ، كما أنه لو كان السبب في شفاء الأعمى هو توسله بذات النبي صلى الله عليه وسلم وجاهه كما يفهم عامة المتأخرين لكان من الممكن أن يحصل هذا الشفاء لغيره من العميان الذين يتوسلون بجاهه صلى الله عليه وسلم ويضمون الى ذلك جاه جميع الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين !!

(١) أنظر . دلائل النبوة للبيهقي ، تحقيق د . عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب

العلمية ، بيروت ، ٦ / ١٦٦ .

(٢) أنظر . قاعدة جليسة ، ص ٩٥ .

وبعد بيان هذه الوجوه تأكد لنا أن هذا الحديث يدور حول التوسل بدعائه صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا علاقة له بالتوسل بذاته أو بجاهه ، وبما تجدر الإشارة إليه أنه قد نقل عن العز بن عبد السلام القول بجواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد مماته خاصة استنادا الى حديث الأعمى .^(١)

وقد تبين لنا معنى الحديث وما يدل عليه وأنه لا حاجة فيه لمن ذهب الى جواز التوسل بالذات وان كان العز بن عبد السلام قد ذهب الى جواز ذلك فبقدر خالفه في ذلك جمع كثير من أهل العلم . وعلى فرض صحة ما ذهب اليه العز ابن عبد السلام فينبغي أن يكون حكما خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيه أحد غيره من الأنبياء والصالحين ويكون هذا من باب الخصوصيات التي لا يدخلها القياس .^(٢)

* تنبيهه :

وقع في بعض طرق حديث الأعمى زيادتان استدل بهما المجيزون للتوسل غير المشروع :

- الزيادة الأولى : زيادة حماد بن سلمة اذا زاد في آخر الحديث
(..... وان كانت حاجة فافعل مثل ذلك) .

أي معناه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له اذا عرضت لك حاجة فافعل مثل ذلك الدعاء دون أن تأتيني . وعلى ذلك فيمكن للإنسان أن يقول هذا الدعاء دون أن يكون قد أتى الى الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته ودعائه . وقد أعل ابن تيمية هذه الزيادة بالشذوذ لتفرد حماد بن سلمة بها ومخالفته من هو أوثق منه .^(٣)

(١) أنظر القاعدة الجلييلة ، ص ١٥١ .

(٢) انظر التوسل ، ص ٨٣ .

(٣) أنظر القاعدة الجلييلة ، ص ١٠٢ ، والتوسل ، ص ٩٠ - ٩٢ .

- الزيادة الثانية : وهي قصة الرجل مع عثمان بن عفان رضي الله عنه وتومله به صلى الله عليه وسلم حتى قضيت حاجته من عثمان بن عفان . وقد أخرج هذه القصة الطبراني في معجميه الصغير والكبير ، من طريق عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد المكي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي المدني عن أبي أمامة سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف : أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له ، فكان عثمان لا يلتفت إليه ، ولا ينظر في حاجته ، فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه ، فقال له : ائت الميضاة ، فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ، ثم قل : اللهم اني أسالك وأتوجه اليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ، يا محمد اني أتوجه بك إلى ربك عز وجل ، فيقضي لي حاجتي ، وتذكر حاجتك ، وروح الي حتى أروح معك ، فانطلق الرجل ، فصنع ما قال ، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فجاء البواب حتى أخذ بيده ، فأدخله عليه ، فأجلسه معه على الطنفسة ، وقال حاجتك ؟ فذكر حاجته فقضاها له ، ثم قال له : ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة ، وقال : ما كانت لك من حاجة فأتنا . ثم ان الرجل خرج من عنده ، فلقي عثمان بن حنيف فقال له : جزاك الله خيراً ، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت الي حتى كلمته في ، فقسم عثمان بن حنيف : والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضريب ، فشكى اليه ذهاب بصره ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فتصبر ، فقال : يا رسول الله : انه ليس لي قائد ، وقد شق علي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (ائت الميضاة ، فتوضأ ثم صل ركعتين ، ثم ادع بهذه الدعوات) . قال عثمان بن حنيف ، فوالله ما تفرقنا ، وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط (١) .

(٢)

هذه القصة ضعيفة الاسناد منكرة لا يجوز الاحتجاج بها ، أما من ناحية

(١) المعجم الكبير للطبراني ، ٩ / ١٧ - ١٨ . حققه وخرج أحاديثه حمدي

عبد المجيد السلفي ، ط ١ ، مطبعة الوطن العربي ، بغداد ، ١٤٠٠ هـ .

وانظر دلائل النبوة للبيهقي ، ٦ / ١٦٧ - ١٦٨ .

(٢) لضعف حفظ راويها ، وتفرد به ، ومخالفته للشقات الذين رووا الحديث

بدون ذكر هذه القصة ،

انظر . قاعدة جلييلة ، ص ٩٧ - ١٠٣ .

والتوسل ، ص ٩٢ - ٩٤ .

المتن فليس فيه حجة على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعدموته لأن عثمان بن حنيف - لو صحت هذه القصة عنه - لم يعلم ذلك الرجل دعاء الضريير بتمامه ، فانه أسقط منه جملة : (اللهم فشفه في ، وشفعني فيه) ، لأنه يعلم أن ذلك القول يستلزم أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم داعياً لذلك الرجل ، كما كان داعياً للأعمى ، ولما كان هذا غير ممكن شرعاً ولا قدراً لسم يذكر هذه الجملة .

وأيضاً لو قدر ثبوت هذه القصة عن عثمان بن حنيف لكان هذا مما تفرد به ذلك الصحابي عن غيره ، إذ لم يوافق غيره من الصحابة على ذلك ، ومثل هذا لا تثبت به سنة يمكن العمل بها .

والهناجبت عن أكابر الصحابة عدولهم عن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته الى التوسل بدعاء غيره . كما قد صح ذلك من فعل عمر ومعاوية وغيرهما .^(١)

وفي هذه القصة جملة اذا تأملها العارف بفضائل الصحابة وأحوالهم وجدها دليلاً على نكارتها وضعفها ، وهي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان لا ينظر في حاجة ذلك الرجل ولا يلتفت إليه !

فهذه الجملة منافية لما عرف من خلق عثمان رضي الله عنه الذي كانت تستحي منه الملائكة لشدة حياته ، هذا مع ما عرف عنه من رفق ولين وتواضع رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين . وبهذا يتبين لنا أن الاستدلال بهذه القصة على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته استدلال باطل .

وإذا كان الحديثان السابقان صحيحين من حيث الإسناد لكنهما لا يدلان على ما ذهبوا إليه من جواز التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ،

(١) انظر . قاعدة جلييلة ، ص ١٠٤ - ١٠٨ .

(٢) انظر . التوسل ، ص ٩٩ .

فانهم قد استدلووا بأحاديث وآثار واهية لاتصلح للاحتجاج بها منها على سبيل
المثال :

حديث توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه الحاكم بسنده عن
عمر بن الخطاب مرفوعا " لما اقترف آدم الخطيئة ، قال : يارب أسالك بحق
محمد لما غفرت لي ، فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال
يارب لأنك لما خلقتني بيدك ، ونطخت في من روحك ، رفعت رأسي ، فرأيت على
قوائم العرش مكتوبا ، لا اله الا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم
تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك ، فقال الله : صدقت يا آدم . انه لأحب
الخلق الي . ادعني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك ^(١) ."

هذا الحديث مما يستدل به المخالفون على اثبات التوسل بالنبي صلى الله
عليه وسلم قبل خلقه .

قال صاحب كتاب وفاء الوفا :

(اعلم أن الاستفاضة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم وبجاهه وبركته
الى ربه تعالى من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين ، واقع في كل
حال ، قيل خلقه صلى الله عليه وسلم وبعد خلقه في حياته الدنيوية ، ومدة
البرزخ ومرصات القيامة) . ثم ساق حديث توسل آدم السابق مستدلا به ، وكذا
استدل به السبكي وغيره ^(٢) .
^(٣) .

ولكن هذا الحديث موضوع ليجوز الاستدلال به ، لوجود عبد الرحمن بن زيد
ابن أسلم في سنده وهو متهم بالوضع .

(١) المستدرک علی الصحیحین ، وقال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد وتعقبه

الذهبي بقوله : بل موضوع ، ٢ / ٦١٥ .

(٢) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى . نور الدين علي بن أحمد السمهودي

تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، ط ١ ، مطبعة السعادة ، مصر ،

١٣٧٤ هـ ، ٤ / ١٣٧١ .

(٣) انظر ثفاء السقام ، ص ٦١ ، وما بعدها .

لذا فقد حكم ببطالن هذا الحديث ابن تيمية^(١) والذهبي^(٢) وابن عبدالهادي^(٣) وابن حجر^(٤) فلا يجوز لأحد أن يستدل بهذا الحديث لأجل تصحيح الحاكم له .

هذا وقد استدلوا بأحاديث وآثار كلها واهية وموضوعة ومثلها الحكايات لكن بقي أن أنيه الى أثر مالك الدار الذي استدل به السبكي على جواز طلب الدعاء من الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته^(٥) .

فهذا الأثر لايجوز الاستدلال به لعدم صحته^(٦) . ثم انه مخالف لما ثبت شرعا من استحباب صلاة الاستسقاء ودعاء الله تعالى والتضرع اليه حتى يغيث العباد بانزال الغيث عليهم . كما جرت بذلك السنة وعمل بها جماهير الأئمة ولم ينقل عن أحد من سلف الأمة أنه التجأ الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وطلب منه الدعاء للسقيا أو لغير ذلك ، ولو كان هذا مشروعاً لفعلوه ولنقل عنهم بوجه صحيح يعتمد عليه . فلما لم يحدث ذلك دل على عدم مشروعيته وعلى بطلان هذا الأثر ، وأيضا فهذا الأثر ليس فيه التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا بذاته ولا بجاهه ولا بالأقسام به على الله والتي وقع فيها النزاع .

وانما فيه طلب الدعاء من الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته ، وهذه مسألة خارجة عن محل النزاع ولم يقل بجوازها أحد من علماء السلف بل هذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ولأجل هذا توسع الصوفية في معنى التوسل فأدخلوا فيه كثيرا من ألوان الشرك كالأستغاثة والأستجارة وبت الشكوى وطلب الدعاء والشفاعة والمغفرة وكافة الحاجات وانزال الرغبات وسموا كل هذا توسلا فاذا ثبت لهم التوسل المبتدع أدخلوا فيه التوسل الشركي ، وسموا الجميسع توسلا بالنبي صلى الله عليه وسلم واظهارا لحبه .

(١) انظر . القاعدة الجليلة ، ص ٨٦ - ٩٠ .

(٢) انظر . ميزان الاعتدال ، ٢ / ٥٠٤ .

(٣) انظر . الصارم المنكي ، ص ٣٧ .

(٤) انظر . لسان الميزان ، ٣ / ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٥) انظر ص ٢٣٤ من هذا البحث .

(٦) لأن مداره على مالك الدار وهو مجهول الحال غير معروف العدالة والضبط

وهما شرطان أساسيان لصحة الضند .

انظر . التوسل ، ص ١٣٠ - ١٣٤ .

وبعد بيان بطلان الشبه التي استدلت بها المجيزون للتوسل غير المشروع نريد أن نعرف حكم هذا النوع من التوسل .

إن هذا التوسل ينقسم من حيث الحكم عليه إلى قسمين :

١٠ القسم الأول : توسل بدعي :

وذلك كالتوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم ، وبجاهه ، أو الاقسام على الله به . وذلك كأن يقول القائل مثلا : اللهم أتوسل اليك بنبيك ، أو اللهم بجاه نبيك اغفر لي .

وأما القسم فمثل قول القائل : اللهم بنبيك أو بحق نبيك اشفني أو اقض حوائجي .

ووجه كونه بدعة : أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر به ، ولم يدع الناس إليه ، ولم يعده من القربات ، كما جعله المتأخرون من الصوفية ومن تابعهم من أعظم القربات . كما أن الصحابة لم يتوسلوا إلى الله بهذا النوع من التوسل ولا التابعين ولا تابعيهم . . . بل الثابت عنهم هو عدولهم عنه إلى التوسل المشروع ، فلما لم يرد له ذكر في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا عمل الصحابة والتابعين به . دل على عدم مشروعيته وابتداعه .

هذا من حيث الأجمال . أما من حيث التفصيل ، فإن السؤال بالنبي صلى الله عليه وسلم والتوسل إلى الله بذاته وجاهه غير جائز . لأنه وإن كان مبنيا على أن الأنبياء جاها ومكانة عند الله - وهذا صحيح - إلا أن الله لم يجعل ذلك الجاه سببا مناسبا لإجابة دعاء من توسل به . وإنما جعل الله الإيمان بهم وحبهم واتباعهم سببا لإجابة الدعاء ، بخلاف السؤال والتوسل بدواتهم وجاههم .

وأما القسم على الله بالرسول صلى الله عليه وسلم أو بحقه فهذا مما لا يجوز شرعا . لأنه قسم بالمخلوق على الخالق سبحانه وتعالى .

والقسم على المخلوق بمخلوق مثله لا يجوز ، فكيف يجوز ذلك في حق الخالق
(١)
سبحانه .

وإذا تبين هذا فلا يجوز التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم أو بجاهه
أو الاقسام على الله به لما يفضي القول بجوازه الى الغلو الذي نهى الله
ورسوله عنه ، وهذا لذريعة الشرك المترتب عليه . ذلك أن عامة من سوغه لم
يقفوا عند التوسل به صلى الله عليه وسلم بل تعدوا ذلك الى الاستغاثة به
وطلبوا منه ما لا يجوز طلبه الا من الله الى غير ذلك من الأمور التي تنسوي
الى الشرك . ويسمون كل هذا توسلا !!

ومما ينبغي التنبيه اليه أننا حين نوضح بطلان هذا النوع من التوسل
لا يعني أننا ننفي الجاه والمكانة السامية لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
كلا . ان جاهه عليه الصلاة والسلام أعظم من جاه الأنبياء والمرسلين ، وحديث
الشفاعة يبين هذا ويوضحه .
(٢)

* القسم الثاني : التوسل الشركي :

وذلك كطلب الحاجات منه صلى الله عليه وسلم ودعائه لكشف الضر أو رفع
الشدة وبث الشكوى اليه ، الى غير ذلك من ألوان الشرك الذي حرمه الله ورسوله .
وكون هذا النوع شركا أمر واضح ، فانه لو طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم
في حياته ما لا يقدر عليه الا الله لكان هذا شركا ، فكيف وهم يطلبون منه
ذلك بعد موته ، وينشدون في ذلك الأشعار ويسوقون الحكايات والأخبار ،
وينعتون كل موحد بالجفاء للنبي صلى الله عليه وسلم وآله الأخيار .

(١) انظر القاعدة الجلييلة ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) انظر حديث الشفاعة في :

صحيح البخاري . كتاب التوحيد . باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ

ناضرة ﴾ ٩ / ١٦٠ - ١٦١ .

ومسلم . كتاب الايمان . باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، ١٨٠ / ١ - ١٨١ .

وتسمية هذا النوع بالتوسل هو من باب الايهام والخذاع فانه لا يسمى الاشركا

أكبر .

(١)

يقول البرعي مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم :

- | | | |
|-------------------------------|----|-------------------------------|
| يا صاحب القبر المنير بيثرب | •• | يا منتهى أمني وفاية مطلبي |
| يا من به في النائبات توسلي | •• | واليه من كل الحوادث مهربي |
| يا من نرجيه لكشف عظيمه | •• | ولحل عقد ملتو متعمم |
| يا من وجود على الوجود بأنعم | •• | خضر تعم عموم صوب الصيب |
| يا عوثر من في الخافقين وغيثهم | •• | وربيهم في كل عام مجذب |
| يا من نناديه فيسمعنا على | •• | بعد المسافة سمع أقرب أقرب (٢) |

ويقول أيضا :

- | | | |
|--------------------------------|----|---------------------------------|
| مولاي مولاي فرج كل معضلة | •• | عني فقد أثقلت ظهري الخطيئات |
| وعد عليّ بما مودتني كرما | •• | فكم جرت لي بخير منك عادات |
| وامنع حماي وهب لي منك مكرمة | •• | يا من مواهيه خير وخيبرات |
| واعطف عليّ وخذ ياسيدي بيدي | •• | إذا دهنتي الملمات المهمات |
| فقد وقفت بباب الجود معتذرا | •• | والعفو متسع والعدر أبيضات |
| وقل لعدا أنت من أهل اليمين إذا | •• | ما زخرفت لدخول الخلد جنات |
| وان مدحك بالتقصير معترفا | •• | فمدحك الوحي والسبع القرايات (٢) |

(١) هو عبدالرحيم بن أحمد بن عبدالرحيم البرعي (٠٠٠٠ - ٨٣٠ هـ)

شاعر متصوف .

انظر ترجمته في الأعلام ٣ / ٢٤٣ .

(٢) شرح ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية للشاعر

الشيخ عبدالرحيم البرعي ، ط ١ ، مكتبة المعارف ، محمد سعيد كمال

الطائف ، ١٤٠٤ ، ص ٨٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٩٢ .

ثالثا - البدع المتعلقة بزيارة قبره صلى الله عليه وسلم :

المشروع في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم هو أن يأتي المسلم الى المسجد النبوي فيقول دعاء دخول المسجد ، ثم يقصد الروضة الشريفة فيطلي بها ركعتين تحية المسجد ان تمكن في الروضة والا ففي أي موضع من المسجد ثم يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما قائلا : السلام عليك يا رسول الله . السلام عليك يا أبا بكر . السلام عليك يا عمر . كما كان يفعل ذلك ابن عمر رضي الله عنهما اذا قدم من سفر .^(١)

والزيارة بهذه الكيفية مستحبة لمن قدم الى المدينة قاصدا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو لمن كان يريد السفر من أهل المدينة وهذا الاستحباب مأخوذ من الأحاديث العامة الواردة في فضل زيارة القبور ولم يثبت بخصوص زيارة قبره صلى الله عليه وسلم حديث يحتج به عند أهل العلم . ولكن الناس ابتدعوا في باب زيارته صلى الله عليه وسلم بدعا كثيرة خرجت بالزيارة من أصلها المشروع . فمن هذه البدع :

١ - اعتقاد أن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم واجبة :

سرى في أذهان كثير من الناس أن زيارة القبر النبوي واجبة ، ويعتقد كثير منهم أنها مكملة لمناسك الحج ، لا يتم الحج بدونها ، والذي دفعهم الى ذلك أمور منها :

- الجهل بأحكام الدين ومراتب العبادات حتى اختلط على كثير من الناس الواجب بالمندوب ، والحرام بالمكروه ، فاختل قههم للشرع بسبب الابتعاد

(١) أخرج ذلك الأثر . البيهقي في السنن الكبرى . كتاب الحج . باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن الهند ، ١٣٥٢ هـ . وأخرجه مالك بنحو من هذا في الموطأ . رواية محمد بن الحسن الشيباني تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف . طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ، ص ٢٣٤ .

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ، ٢٧ / ٢٨٢ .

عن علمه وفقهه .

- الاستدلال بعدة أحاديث ضعيفة وموضوعة في فضل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ذكرها بعض الفقهاء والمؤلفين في المناسك واشتهر ذكرها بين الناس دون تمييز بين الصحيح والضعيف ، فكان لهذه الأحاديث أثرها في اعتقاد كثير من الناس وجوب الزيارة فمن هذه الأحاديث :

أ - (من زار قبري وجبت له شفاعتي) ، هذا حديث منكر لا يصح

الاحتجاج به .

ب - (من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي) وهذا

حديث منكر الفتن ساقط الإسناد . ومما يدل على ضعفه ونكارتيه

أن من زار قبره صلى الله عليه وسلم بعد موته ليس كمن زاره في

حياته فان من زاره في حياته وكان مؤمنا كان من أصحابه المشهود

لهم بالدرجة العالية في هذه الأمة ، وأما من بعدهم فلن يبلغ

رتبتهم ولو شاركهم في فعل الواجبات ، فكيف يستوي معهم بفعل

(٣)

ماليس واجبا كزيارة القبر النبوي مثلا .

ج - (من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني) ، وهذا حديث موضوع . (٤)

(١) رواه الدار قطني من طريق موسى بن هلال العبدي عن عبد الله أو عبيد الله العمري ، وهذا الحديث ضعيف لضعف موسى بن هلال وجهالته واضطرابه . فمرة يرويه عن عبيد الله ومرة عن عبد الله ، وسواء هذا أو ذاك فهو منكسر الحديث لا يحتج به .

انظر . سنن الدار قطني ٢ / ٢٧٨ ، والصارم المنكي ، ص ١٨ - ٢٣ .

(٢) أخرجه الدار قطني والبيهقي وغيرهما من طريق حفص بن سليمان من ليس

ابن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعا . وهذا الحديث ضعيف لتفرد حفص بن سليمان به . وهو متروك الحديث وشيخه ليث بن أبي سليم ضعيف لاختلافه .

انظر سنن الدار قطني ، ٢ / ٢٧٨ ، والسنن الكبرى للبيهقي ٥ / ٢٤٦ .

وانظر في بيان ضعف الحديث الصارم المنكي ، ص ٥٥ وما بعدها ، والسلسلة الضعيفة للألباني ، ١ / ٦٢ - ٦٣ .

(٣) انظر قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة ، ص ٥٧ .

(٤) أخرجه ابن عذابي في الكامل من طريق علي بن اسحاق عن محمد بن محمد

ابن النعمان عن جده النعمان بن شبل عن مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعا . وهذا الحديث آفته النعمان بن شبل البصري لأنه متهم بالوضع .

لأجل هذا حكم الذهبي على هذا الحديث بالوضع وكذا الزركشي وابن الجوزي كما في الفوائد المجموعة للشوكاني .

انظر الكامل في أسماء الرجال لابن مدي ، ٧ / ٢٤٨٠ .

وانظر في بيان ضعف الحديث لسان الميزان ، ١٦٧/٦ ، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ، ص ١١٨ ، والصارم المنكي ، ص ٧٨ وما بعدها .

ومما يدل على وضعه أن جفاء النبي صلى الله عليه وسلم من الكبائر ان لم يكن كفرا ، وهذا الحديث يدل على أن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم واجبة ، مع أن الزيارة المشروعة لاتتجاوز عند العلماء حدود المستحبات . فكيف يكون تاركها مجافيا للنبي صلى الله عليه وسلم ومعرضا عنه . فاعتقاد وجوب زيارة قبره صلى الله عليه وسلم واعتقاد باطل ليس له ما يؤيده من السنة الصحيحة ، ولا من أقوال أهل العلم الذين يقتدى بهم . فمن اعتقد أن الزيارة واجبة ، أو متممة للحج ، أو أنها المقصود الأكبر من الحج فاعتقاده باطل . على أنه لا يعني القول بعدم وجوب الزيارة أنها ليست مستحبة كلا بل هي مستحبة لمن قدم المدينة من سفر أو خرج منها قاصدا سفرا . كما دل على ذلك فعل ابن عمر رضي الله عنهما .

٢ - الدخول الى المسجد النبوي كهيئة المستأذن من الرسول صلى الله عليه وسلم للدخول عليه :

جاء في كتاب أبي الحسن الشاذلي^(٢) أنه (لما قدم المدينة زادها الله شريفا وتعظيما وقف على باب الحرم من أول النهار الى نصفه عريان الرأس حافي القدمين ، يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلميحا . فمكث عن ذلك فقال حتى يؤذن لي ، فان الله عز وجل يقول : يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم^(٣) فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة صلى ساكنها أفضل الصلاة والسلام يا علي ادخل^(٤) ، وهذه بدعة منكورة

(١) انظر السلسلة الضعيفة ، ١ / ٦١ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبدالله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي ، رأس الطريقة الشاذلية واليه تنتسب .

انظر ترجمته في معجم المؤلفين ٧ / ١٣٧ .

(٣) سورة الأحزاب ، (٥٣) .

(٤) أبو الحسن الشاذلي - الصوفي المجاهد والعارف بالله ، بقلم عبد الحليم

محمود ، ص ٧٩ - ٨٠ ، ط دار الكتاب العربي مصر ، ١٩٦٧ م .

لم يقل بها بها أحد من أهل العلم سلفا وخلفا ، وقياس الدخول عليه صلى الله عليه وسلم بعد موته بدخول بيته في حياته قياس باطل ، فان الداخيل انما يدخل المسجد أصلا سواء في حياته أو بعد موته ، ودخول المسجد لا يحتاج الى استئذان . ولو كان مشروعاً لفعله الصحابة رضي الله عنهم .

٣ - التزام كيفية معينة في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم من حيث الوقوف والسلام والدعاء :

فبعض الناس يقف أمام القبر الشريف كهيئة المصلي واضعاً يده اليمنى على اليسرى وهذا أمر تعبدى لا يجوز فعله الا في الصلاة .

وأما السلام فكثير من الناس يتجاوز السلام الى الدعاء مستقبلاً القبر وهذا أمر غير جائز شرعاً ، فاذا أراد الانسان الدعاء فليستقبل القبلة . وقد اعتاد (المزورون) أن يلقنوا الناس صيغاً من السلام والدعاء يرددونها بصوت مرتفع . وفي هذا من الإيذاء والجفاء ما لا يجوز أن يحدث في أي مسجد فضلاً عن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما الدعاء فكثير من الناس تجاوز حد الشرع في الدعاء فيطلبون من الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يطلب الا من الله وفي هذا من الشرك ما فيه وذلك كقولهم : (يا رسول الله نحن وفدك جئناك من بلاد بعيدة ، قاصدين قضاء حَقِّك ، والنظر الى ما شَرِك ، وأن نستشفع بك الى ربنا ، فان الخطايا قد قصمت ظهورنا ، والأوزار قد أثقلت كواهلنا ، أنت الشافع المشفع ، المومود بالشفاعة والمقام المحمود ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ولو أنهم اد ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ (١) . وقد جئناك مستغفرين لذنوبنا فاشفع لنا الى ربك ، وأسألكه أن يميّتنا على سنتك ، وأن يحشرنا في زمرك ، وأن يوردنا حوضك ، وأن يسقينا

(١) سورة النساء ، آية (٦٤) .

بكأسك غير خزايا ولا نادمين ، الشفاعة ، الشفاعة يارسول الله (١) .

وهذا من البدع المفضية الى الشرك لأن طلب الشفاعة ، والموت على السنة ، وغير ذلك من الحوائج ، لايجوز طلبها الا من الله وحده ، فلايجوز سؤالها وظلبيها من النبي على الله وسلم ، بعد موته . وأما طلب الدعاء فانما يكون في حياته لا بعد مماته .

٤ - التمسح بالحجرة وتقبيل شباكها واستلامه والطواف بها :

وهذه أمور من العبادة لا تجوز الا في الكعبة . ففعلها في المسجد النبوي محرم شرعا .

٥ - اعتقاد الزائر أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم خواطره ونياته :

قال ابن الحاج : (٢) وقد قال علماءنا رحمة الله عليهم أن الزائر يشعر نفسه بأنه واقف بين يديه عليه الصلاة والسلام كما هو في حياته . اذ لا فرق بين موته وحياته ، أعني في مشاهدته لأتمه ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم . وهذا منده جلي لا خفاء فيه (٣) . وقال : (وقد لا يحتاج الزائر في طلب حوائجه ومغفرة ذنوبه أن يذكرها بلسانه بل يحضر ذلك في قلبه وهو حاضر بين يديه صلى الله عليه وسلم ، لأنه عليه الصلاة والسلام أعلم منه بحوائجه ومصالحه وأرحم به منه لنفسه ، وأشفق عليه من أقاربه (٤) .

(١) الحج والعمرة في الفقه الاسلامي ، د. نور الدين عتر، ط ٢ ، مؤسسة

الرسالة ، بيروت ، ص ٢٦٠ .

(٢) هو أبو مبدالله محمد بن محمد بن الحاج العيدري المالكي الفاسسي

(٣٠٠٠ - ٧٣٧ هـ) . فقيه مالكي ، من تصانيفه :

مدخل الشرع الشريف ، شمس الأنوار وكنوز الأثرار .

انظر . الدرر الكامنة لابن حجر ، ٤ / ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٣) المدخل ، ١ / ٨٥٢ - ٢٥٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ١ / ٣٦٤ .

وهذا الأمر لا يجوز أن يوصف به الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته فكيف يوصف به بعد مماته ، لأن علم الغيب ومكنونات الصدور خاص بالله مزوج لا يطلع عليه أحد غيره ولا يليق وصف أحد به سوى الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَيُشِيرُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

فمن اعتقد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب ، وما تكنه الصدور في حياته أو بعد مماته فقد أشرك ، إلا أن يطلع الله نبيه على بعض أمور الغيب فذلك من خصوصيات النبوة لا أنه يعلم الغيب مطلقا .

٦ - اتخاذ قبره صلى الله عليه وسلم عيداً :

ومعنى اتخاذ عيداً، أن يعتاد التردد عليه والازدحام عنده كما يحصل في أمكنة الأعياد وأزمنتها . أو أن يجعل لها وقت معين سواء كان كل أسبوع أو شهر أو سنة . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : فيما أخرجه أحمد وأبو داود واللفظه بسنديهما عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبوري عيداً ، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) (٣) ، ولأجل هذا كره الإمام مالك رحمه الله التردد على القبر فقال فيما نقله عنه القاضي عياض (... وليس يلزم من دخل المسجد أو خرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء ... ولا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقدم على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلى عليه ويدعو لأبي بكر وعمر . ف قيل له : ان ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر فيسلمون ويدعون ساعة . فقال : لم يبلغني هذا عن أحد من أهل العلم ببلدنا وشركه واسع . ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح

(١) سورة النمل ، آية (٦٥) .

(٢) سورة الأعراف ، آية (١٨٨) .

(٣) سبق تخريجه ، ص ٦٦ .

أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدورها أنهم كانوا يفعلون ذلك)^(١) .

٧ - التزام الزائر الإقامة بالمدينة ثمانية أيام والصلاة في المسجد النبوي أربعين صلاة حتى تكتب له البراءة من النار :

وذلك استنادا الى الحديث الذي أخرجه الامام أحمد بسنده عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من صلى في مسجدي هذا أربعين صلاة كتبت له براءة من النار ، ونجاة من العذاب ، وبريء من النفاق)^(٢) ، وهذا الحديث ضعيف لا يصلح للاحتجاج به .

وجه البدعة في هذا أنه تخصيص لعدد من الأيام أو الصلوات بشواب معين ومثل هذا لا يثبت الا بدليل صحيح وهذا الدليل ضعيف . فيكون هذا التخصيص من قبيل البدعة . أما مجرد الصلاة في المسجد النبوي - بدون تحديد وقت معين - فهو أمر مرغوب فيه شرعا ، لما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام)^(٣) .

٨ - ومنها مقاله صاحب وفاء الوفا :

(أن يقدم (أي الزائر) صدقة بين يدي نجواه للرسول صلى الله عليه وسلم)^(٤) . أخذنا من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ﴾^(٥) . وهذه الآية منسوخة عند جماهير العلماء

-
- (١) الشفا ، ٢ / ٨٨ .
(٢) المسند ، ٣ / ١٥٥ ، وهذا الحديث ضعيف لأن في سنده مجهولا ، وهو نبيط ابن عمرو الذي روى هذا الحديث عن أنس ، ولم يعرف عند المحدثين الا بهذا الحديث .
انظر . السلسلة الضعيفة ، ١ / ٣٦٦ .
(٣) صحيح البخاري . كتاب المساجد ، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، ٢ / ٧٦ .
(٤) وفاء الوفا ، ٤ / ١٣٩٣ .
(٥) سورة المجادلة ، آية (١٢) .

(١) بالآية التي تليها ، وهي قوله تعالى : ﴿ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيِ
نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَاذْ لِمَ تَفْعَلُونَ ﴾ وتاب الله عليكم فإقيموا الصلاة وآتوا الزكاة (٢)
ثم ان قياس زيارة قبره صلى الله عليه وسلم بنجواه في حياته قياس باطل
لأن المقصود من الزيارة هو السلام عليه صلى الله عليه وسلم وليس هذا من
قبيل النجوى لأنه يسمعه كل أحد ، ثم ان النجوى ان كانت مشروعة فللرسول في
حياته فكيف وهي منسوخة ؟

٩ - ومنها مقاله أيضا : (ادامة النظر الى الحجرة الشريفة فانه عبادة
قياس على الكعبة المعظمة) : (٣)

وهذا باطل لانه لم يثبت بدليل صحيح ان النظر الى الكعبة عبادة . ولو
سلم هذا فالعبادات لا تثبت بالقياس وانما بالنص والتوقيف . ثم ان قياس
الحجرة الشريفة بالكعبة قياس باطل . لان البيت الحرام يختص بأنواع من العبادات
لا يجوز فعلها في غيره .

١٠ - الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم وبث الشكوى اليه :

ولهم في ذلك حكايات وأشعار يطول ذكرها ، وقد أورد صاحب وفاء الوفا
عدة حكايات فيمن استغاث به صلى الله عليه وسلم . (٤)

منها أن رجلا من أهل غرناطة نزلت به علة عجز الأطباء منها وأيوا من
برثه ، فكتب عنه أحد الشعراء كتابا الى النبي صلى الله عليه وسلم يعالجه
فيه الشفاء لدائه والبرء مما نزل به وضمنه شعرا قال فيه :

(١) انظر تفسير الطبري ، ٢٨ / ٢٠ - ٢٢ ، وتفسير القرطبي ، ١٧ / ٣٠١ - ٣٠٣ .

(٢) سورة المجادلة ، آية (١٣) .

(٣) وفاء الوفا ، ٤ / ١٤١٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ٤ / ١٣٧٩ - ١٣٨٧ .

- كتاب وقيد من زمانة مستشف .: بقبر رسول الله أحمد يستشفي
له قدم قد قيد الدهر خطوها .: فلم يستطع الا الاشارة بالكف
ولما رأى الزوار يبتدرونه .: وقد عاقه عن ظعنه عائق الضعف
بكى أسفا واستودع الركب ادغدا .: تحية صدق تفعم الركب بالمعرف
فيا خاتم الرسل الشفيح لربه .: دعاء مهيف خاشع القلب والطرف
عتيقك عبد الله ناداك ضارعا .: وقد أخلص النجوي وأيقن بالعطف
رجاك لضر أعجز الناس كشفه .: ليصدر داعيه بما جاء من كشف
لرجل رمى فيها الزعان فقصرت .: خطاه عن الصف المقدم في الزحف
واني لأرجو أن تعود سوية .: بقدره من يحي العظام ومن يشفي
فانت الذي نرجوه حيا وميتا .: لصرف خطوب لاتريم الى صرف
عليك سلام الله عدة خلقه .: وما يقتضيه من مزيد ومن فعف (١)

رابعاً - بدعة المولد :

مولد النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يقيمه الموفية في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام اظهارة للسرور بمولده ، وتوسع بعضهم فأجازوه في أي وقت من أوقات السنة طالما أنه مظهر سرور بالنبي صلى الله عليه وسلم ويرجع تاريخ ظهور هذه البدعة الى الدولة العبيدية التي تسمت بالدولة الفاطمية . حيث أحدثت هذه البدعة لجذب قلوب الناس اليها ، والظهور بمظهر من يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . مع أنها من أكثر الدول التي فشا فيها الالحاد والزندقة تحت شعار التشيع وحب آل البيت .

فأحدثوا ستة موالد : المولد النبوي ، مولد علي رضي الله عنه ، ومولد فاطمة رضي الله عنها ، ومولد الحسن والحسين رضي الله عنهما ، ومولد الخليفة الحاضر في ذاك الزمان . ومن طريقهم انتشرت الموالد وراجت رواجاً كثيراً لدى الموفية . فماتت كل طريقة تعمل لشيخها مولداً يتناسب ومقام الطريقة وشيخها !! هذا مع حرصهم على مولد النبي صلى الله عليه وسلم في كل عام وتسيير المواكب في الطرقات ، وانشاد القصائد ، واقامة الحفلات الى غير ذلك من مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي .

ولا نزاع في أن الاحتفال بالمولد النبوي هو من البدع الحادثة بيسن المسلمين حتى باعتراف الذين يفعلونه . ولكنهم قالوا : ان خلا عمل المولد من المفساد فهو بدعة حسنة لما فيه من اطعام الطعام وقراءة شيء من السيرة واطهار السرور بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم .^(٢)

ولكن هذا لا يخرج عن كونه بدعة مذمومة شرعاً لأمور :

- اتخاذه عيداً شرعياً ، والأعياد الشرعية يومان الفطر والأضحى كما جاء بذلك النص .

(١) أنظر . الابداع في مضار الابتداع ، ص ٢٥٠ وما بعدها .

(٢) انظر . الحاوي للفتاوي للسيوطي ، ١ / ٢٩٢ - ٣٠٥ .

- جعله عبادة شرعية وقربة الى الله . حتى انهم في بعض البلدان يهتمون من لم يحضر المولد بالجفاء والمروق من الدين أحيانا .^(١)
- عدم فعل الطفاله مع أنهم أشد الناس حبا له صلوات الله وسلامه عليه ، وهم أعرف الناس بحقوقه ، ولو كان خيرا لسبقونا اليه .
- ان عمل المولد يتضمن أمورا منهيها عنها شرعا كأنشاء القصاصد الشركية والغلو فيه صلى الله عليه وسلم وتشويه صورة الدين بأعمال الخرافيين والمشعوذين والدجالين على ما يجرى عمله في أكثر البلاد .

هذا وقد استفلت الصوفية وسائل الدعاية لترويج هذه البدعة بدموى أنها من أكبر مظاهر حبه صلى الله عليه وسلم فالقوا فيها الرسائل والكتب وسودوا بها صحائف كانت بيضاء ، ونعتوا كل ناقد وموجه بعدم الحب والولاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولنا أن نقول أن الاحتفال بالمولد بدعة فيها مشابهة للنصارى فـ احتفالهم بمولد المسيح عليه السلام لان دينهم المحرف قام على الغلو في الاشخاص ، وديننا ينهانا عن الغلو .

ثم ان فرح المسلم ينبغي أن يكون ببعثته ونزول الوحي عليه ، وتلك هي المنة الحقيقية التي امتن الله بها على عباده فلولا الوحي والبعثة ما كانت لنبينا هذه المنزلة العظمى بين رسل الله أجمعين . كما قال تعالى : (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون)^(٢) ، وقوله تعالى ﴿ وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ﴾^(٣) .

فهذا هو السرور الحقيقي الذي لا يحتاج من المسلم الى تحديد وقت له طالما أنه يتلو آيات القرآن صباحا ومساء ١٤ فينشرح صدره وتطمئن نفسه ، وطالما كان متذكرا للنبي صلى الله عليه وسلم عند كل عمل يقتدى به فيه ، مكشرا

(١) انظر مجموعه رسائل الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود ١ / ٤٩٣
(٢) سورة يونس ، آية (١٦) . (٣) سورة العنكبوت آية (٤٨) .

من ذكره وتذكره مصليا عليه .

خامسا - الطلوات المبتدعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لقد ابتدع الصوفية فيما ابتدعوا صيغا للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم زاعمين لها من الفضل والثواب وتكفير الذنوب والسيئات شيئا كثيرا ويتعاطفونهم حينما يقولون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمها لشيخ الطريقة يقظة أو مناما وأمره أن يعلمها أصحابه، مثل صلاة الفاتح (اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، الهادي الى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم)^(١) .

يزعم التيجانيون افكا وبهتاننا أن هذه الصلاة افضل من القرآن ومن كل ذكر وقع في الكون ستة آلاف مرة .

يقول التيجاني:

(..... ثم أمرني بالرجوع صلى الله عليه وسلم الى صلاة الفاتح لمسا أغلق . فلما أمرني بالرجوع اليها سألته صلى الله عليه وسلم عن فضلها ، فأخبرني أولا بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات ، ثم أخبرني ثانيا بأن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسييح وقع في الكون ، ومن كل ذكر ، ومن كل دعاء كبير وصغير ، ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه مسنن^(٢) الأذكار) .

وهذا كفر صريح لأنه تفضيل لكلام البشر على كلام الله رب العالمين وتحقير من شأن القرآن وصد الناس عنه كما كان يفعل كفار قريش قائلين فيما حكاه الله عنهم .

(١) انظر . التيجانية ، ص ١١٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٦ ، نقلا عن أحزاب وأوراد التيجاني ، ص ١٢ .

﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ (١)

ومن هذه الصيغ تلك الصلوات التي تصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأوصاف الألوهية ، وذلك مثل قولهم : (اللهم صل على الكمال المطلق والجمال المحقق عين أعيان الخلق ونور تجليات الحق . فصل اللهم بك منك فيه عليه وسلم) ، ومنها قولهم : (اللهم صل على محمد نور الذات وسر الصاري في جميع الأسماء والصفات صلى الله عليه وسلم) ، ومنها الصلاة المنسوبة لعبد السلام بن مشيش ^(٢) ولفظها (اللهم صل على من منه انشقت الأسرار ، وانفلقت الأنوار ، وفيه ارتقت الحقائق ، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق فتضاءلت الفهوم ، فلم يدركه منا سابق ولا لاحق ، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة ، وحياض الجيروت بفيض أشواره متدفقة ، ولا شيء الا وهو به منسوط ، اذ لولا الوساطة لذهب كما قيل الموسوط ، صلاة تليق بك منك عليه ، كما هو أهله . اللهم انه سرك الجامع الدال عليك ، وحجابك الأعظم ، القائم لك بين يديك . اللهم ألحقني بنسبه ، وحققني بحسبه ، وعرفني اياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل وأكرع بها من موارد الفضل وأحملني على سبيله السـ حضرتك ، حملا محفوظا بنصرتك ، واقذفني في بحار الأخذية ، وانشلني من أوحال التوحيد وأغرقتني في عين بحار الوحدة ، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجسد ، ولا أحس ، الا بها ، واجعل الحجاب الأعظم حياة روعي . . . الخ) ^(٥)

وواضح من هذه الصلاة غلو قائلها في الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم كفره بدين الاسلام وعقيدته وهي التوحيد ، حيث وصفها بالأوحال ! لماذا؟ لأنها تفرق بين الخالق والمخلوق ، وبين الرب والعبد . لكنه لا يريد ذلك يريد أن يكون ربا وعبدا ، حقا وخالقا !!

(١) سورة فصلت ، آية (٢٦) .

(٢) مجموعة أحزاب وأوراد أحمد بن إدريس ، ص ٦٣ .

(٣) دلائل الخيرات ، ص ١٦٣ .

(٤) انظر ترجمته في معجم المؤلفين ، ٥ / ٢٣٢ .

(٥) أفضل الصلوات ص ١١١ - ١١٢ .

ومن العجيب أن يقول النبهاني ^(١) عقب هذه الصلاة انها : (من أفضل الصيغ المشهورة ذات الفضل العظيم) ثم نقل أقوال من استحسوها من سلفه الصوفية ومنها : (... وفي قراءتها من الأسرار ومن الأنوار ما لا يعلم حقيقته الا الله تعالى ، ويقراءتها [ينزل] المدد الالهي والفتح الرباني) الخ . ^(٢)

ومنها صيغ كثيرة تضمنت أنواعا من الغلو المذموم الذي نهى الله ورسوله عنه مثل : (اللهم جدد وجرّد في هذا الوقت وفي هذه الساعة من صلواتك التامة وتحياتك الزاكيات ورضوانك الأكبر الأتم على أكمل عبد لك في هذا العالم من بني آدم ، الذي أقمته لك ظلا ، وجعلته لحوائج خلقك قبلة ومحلا واصطفيته لنفسك وأقمته بحجتك وأظهرته بصورتك ، واخترتة مستوى لتجلياتك ومنزلا لتنفيذ أوامرك ونواهيك في أرضك وسماواتك وواسطة بينك وبين مكوناتك ^(٣)) ومنها : (اللهم صل على الذات المحمدية ، واللطفة الأحديسة شمس سماء الأسرار ومظهر الأنوار ، ومركز مدار الجلال ، وقطب فلك الجمال) ^(٤) الخ .

ومنها صيغ كثيرة زعموا لها ثواب وفضلا كثيرا من عند أنفسهم . منها صلاة السعادة ولفظها : (اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله) .

قال النبهاني بعد إيرادها نقلا عن الشيخ أحمد دحلان : (ان ثوابها يستماتة ألف صلاة ، ومن داوم على قراءتها كل جمعة ألف مرة . كان من سعادة الدارين) ^(٥) ومنها صلاة الانعام ولفظها : (اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله عدد انعام الله وافضاله) ^(٦) .

(١) يوسف بن اسماعيل بن يوسف النبهاني ، (١٢٦٥ - ١٣٥٠ هـ) ،

انظر ترجمته في الأعلام ، ٢١٨ / ٨ .

(٢) انظر أفضل الصلوات ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٣) دلائل الخيرات ، ص ٢٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٥١ .

قال النيهاني نقلا عن الشيخ أحمد الصاوي ^(١) : (هذه صلاة الانعام وهي من أبواب نعيم الدنيا والآخرة لتاليها ، وثوابها لا يحصى ^(٢)) .

وهذه الصيغ كثيرة لدى الصوفية . بل انها مجال تنافس بين الطرُق الصوفية ، اذ كل طريقة تدعي أن لديها من الأوراد (الأدعية ، والأذكار والصلوات) ما يقدر بكذا وكذا من الثواب ، وأن فيها من الفضل لقارئها ما يجعلهم من الأولياء الواصلين بسرعة ! ، أو أن من فضيلة هذه الأوراد أن شيخ الطريقة قد أخذها من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة يقظة أو مناما ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد وعد من يقرأها بالقرب منه ، ودخول الجنة ، وغير ذلك من الدعاوى العريضة التي لاتساوي في ميزان الشرع - المأخوذ من الكتاب والسنة - شيئا ، لأن الشرع لا يؤخذ من الروي والمنامات . ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمرنا بذلك في حياته ، فلو علم فيه خيرا لنا لدعانا اليه . فكيف وهو مضاف لما جاء به ؟ ، صاد عن دينه وسنته ، ويبين هذا أن هذه الأوراد المبتدعة قد حرمت كثيرا من المسلمين من التقرب الى الله بالعبادات الشرعية التي جعلها الله سبيلا للتقرب اليه والفسوز بمرضاته . فكم صدت هذه الأوراد المبتدعة أناسا عن قراءة القرآن وتدبيره وكم شغلت كثيرين من قيام الليل بالسهر على قراءة الأوراد ثم النوم عن صلاة الفجر . وكم صرفت كثيرا من الناس عن التعبد بالعبادات الشرعية وكم شغلت كثيرا عن معرفة الواجبات الشرعية ، والعمل بها ، فصار أكثر الناس جهلة بسبب اشتغالهم بهذه الأوراد . فأى حرمان أكبر من هذا ؟! وما ذلك الا بسبب انصرافهم عن الشرع الى الهوى ، وعن السنة الى البدعة ، فلا حول ولا قوة الا بالله .

(١) أحمد بن محمد الخلوتي ، الشهير بالصاوي (١١٧٥ - ١٢٤١ هـ)

فقيه مالكي . مصري . انظر ترجمته في الأعلام ١ / ٢٤٦ .

(٢) أفضل الصلوات ، ص ١٥١ .

المبحث الثالث

* آثار الابتداع *

-x-

المقصود بآثار الابتداع هو بيان المفساد والمضار الناتجة عن البدعة بوجه عام وفي هذا المبحث سنتكلم عن أهم المفساد والمضار المترتبة على البدعة وكيفية مقاومتها . ومما يسترعي الانتباه أن آثار الابتداع غير مقتصرة على شخص المبتدع أو من يتعبد بالبدعة بل أن لها آثارا تتعدى ذلك إلى الدين نفسه بالزيادة أو النقصان أو التغيير ، وإلى المجتمع المسلم بالتفرق والاختلاف .

ومن المؤسف حقا أن نرى كثيرا من المنتسبين إلى العلم فضلا عن عامة الناس يجهلون من أخطار البدعة وربما رأوا أن الاشتغال بذلك غير مجد أو أنه يؤدي إلى تفرقة الأمة . وهذا مما يقلل من خطورة البدعة ويعطي المبتدعة ذريعة للبقاء على بدعهم ونشرها وما علم هؤلاء أن المسلمين ما وصلوا إلى هذا الحد من الانحلال والهزيمة ، إلا بسبب انحرافهم عن فهم الإسلام وتطبيقه ، وأن الابتداع كان له أكبر الأثر في هذا الانحراف بالإضافة إلى عوامل أخرى ولناخذ على سبيل المثال الصوفية وهي من أكبر طوائف المبتدعة على نطاق العالم الإسلامي .

- ماذا كان أثرها على المسلمين ؟

باختصار شديد . قتلت فيهم روح الجهاد ، بدعوى التفرغ لجهاد النفس وعظمت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدعوى الانشغال بعيوب النفس عن عيوب الآخرين ، وأظهرت في الناس الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم والصالحين بدعوى حبهم والقيام بحقوقهم إلى غير ذلك من المضاد .

ولنعد إلى بيان آثار الابتداع فنقول : (إن آثار الابتداع كثيرة وذلك

لكثرة البدع وشيوعها ولكنني سأقتصر هنا على بيان الأمور المهمة في هذا الجانب .

- أما أثرها على الفرد فهو وقوعه تحت طائلة الوعيد ووصف مسلكه بالضلال، ورد عمله الذي ابتدعه عليه ، وبقاء اثمها واثم من عمل بها عليه الى غير ذلك من الآثار ؟

يقول الشاطبي رحمه الله عارضا لآثار الابتداع :

(فاعلموا أن البدعة لا يقبل معها عيادة من صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا غيرها من القربات ومجالس صاحبها ينزع منه العصمة ويوكل الى نفسه، والماشي اليه وموقره معين على هدم الاسلام ، فما الظن بصاحبها ! وهو ملعون على لان الشريعة ، ويزداد من الله بعبادته بعدا ، وهي مظنة القاء العداوة وممانعة من الشفاعة المحمدية) ورافعة للسنن التي تقابلها ، وعلى مبتدعها اثم من عمل بها ، وليس له من توبة ، وتلقي عليه الذلة والغضب من الله ، ويبعد عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويخاف عليه أن يكون معدودا فسي الكفار الخارجين عن الملة^(١) ، وسوء الخاتمة عند الخروج من الدنيا ويسود وجهه في الآخرة ، ويعذب بنار جهنم ، وقد تبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ منه المسلمون ، ويخاف عليه الفتنة في الدنيا زيادة الى عذاب الآخرة^(٢) . وسأعرض لبعض هذه الآثار بشيء من التفصيل .

(١) بحسب بدعته .

(٢) الاعتصام ، ١ / ١٠٦ - ١٠٧ .

١ - عدم قبول عمل المبتدع :

لما كان المبتدع قد تعبد الله بما لم يشرعه من الأتوال أو الأفعال أو الاعتقادات وكان قبول الأعمال متوقفا على شرطين . الاخلاص لله رب العالمين والاتباع لرسوله صلى الله عليه وسلم ، والمبتدع قد أخل بشرط الاتباع فحرم بسبب بدعته قبول عمله ، ويراد بعدم القبول أمران :

* اما أن يراد به عدم قبول أعمال المبتدع مطلقا سواء منها ما خالف السنة أو وافقها .

* واما أن يراد به عدم قبول ما ابتدعه خاصة دون غيره .

- أما الأول : فيدل عليه ما ورد في السنة من أحاديث في هذا الباب منها : حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخوارج وقد روي بروايات متعددة منها ما رواه مسلم بسنده عن زيد بن وهب الجهني ، (أنه كان فسي الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه . الذين ساروا الى الخوارج فقال علي رضي الله عنه : "أيها الناس : اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن ليس قراءتهم الى قراءتهم بشيء ولا صلاتهم الى صلاتهم بشيء ولا صيامهم الى صيامهم بشيء . يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لا تجاوز صلاتهم تراقبهم . يمرقون من الاسلام كما يمرق اللحم من الرمية ")^(١) .

فهذا الحديث يدل على عدم قبول أعمالهم مع اجتهادهم في العبادة وما ذاك الاسباب اعتقادهم الفساد وبدعتهم الضالة .

ومنها حديث ابن عمر في القدرية : حيث قال لمن سأله عنهم : (فسادا) لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم ، وأنهم برآء مني . والذي يحلف بسبه عبدالله بن عمر ، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ، ما قبل الله منه حتى

(١) صحيح مسلم . كتاب الزكاة . باب التحريض على قتل الخوارج ، ٢ / ٧٤٨ .

يؤمن بالقدر) ثم استشهد بحديث جبريل .^(١)

ومنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (المدينة حرم فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف)^(٢) . والاحداث المذكور في الحديث يشمل الابتداء وغيره . وقد اختلف في معنى الصرف والعدل فعند الجمهور . الصرف : الفريضة والعدل : النافلة وعن الأصمعي . الصرف^(٣) التوبة والعدل : الغدية .

فهذه الأحاديث وان وردت في أصناف من المبتدعة بأوصافهم الا أنه يخشى أن تشمل بقية أهل البدع .

ومما يوضح هذا أنه اذا كانت البدعة أصلا يتفرع عنه سائر الأعمال فكل ما يبني على هذا الأصل فهو بدعة مردودة على صاحبها .

مثال ذلك . انكار العمل بخير الآحاد باطلاق وجعل العقل حاكما والشرع تابعا الى غير ذلك من البدع . فهذه البدع لا تختص بجانب واحد بل تتعداه الى غيره فكل ما انبنى على هذه البدع - التي جعلها المبتدعة أصولا - فهو بدعة مردودة على صاحبها .

ويتعمق الشاطبي في التحليل فيرى أن من أسباب عدم قبول أعمال المبتدع هو ضعف اعتماده على الشرع ، واعتقاده أنه بدون بدعته لا يتم له التقرب الى الله . فلا يكون لقوله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾^(٤) معنى يعتبر به عند هؤلاء . وانما جرهم الى ذلك هو أن أهل البدع سلكوا مع نصوص الشرع مسلك التأويل زعما منهم بأن هذه النصوص لا تفيد اليقين وأن أمر دينهم لا يستقيم

(١) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب بيان الايمان والاسلام والاحسان ،

١ / ٣٦ - ٢٨ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب فضل المدينة ، ٢ / ٩٩٩ .

(٣) انظر . فتح الباري ، ٤ / ٨٦ .

(٤) سورة المائدة ، آية (٣) .

الا بتأويلهم فلأجل هذا ضعف اعتمادهم ويقينهم في الشرع في الوقت الذي حسنوا فيه
الظن بآرائهم وعقولهم وأذواقهم .^(١)

قال ابن تيمية :-

(والمقصود هنا أن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والايمان ، فلما حدث
في الامة ماحدث من التفرق والاختلاف ، صار أهل التفرق والاختلاف ، عمدتهم في الباطن
ليست على القرآن والايمان ، ولكن على اصول ابتدعها شيوخهم ، عليها يعتمدون في
التوحيد والصفات والقدر والايمان بالرسول وغير ذلك ، ثم ماظنوا أنه يوافقها من
القرآن احتجوا به ، وماخالفها تأولوه ، فلهذا تجدهم اذا احتجوا بالقرآن والحديث
لم يعتنوا بتحريم دلالتهما ، ولم يستقصوا مافي القرآن من ذلك المعنى ، اذ كان
اعتمادهم في نفس الامر على غير ذلك ، والآيات التي تخالفهم يشعرون في تأويلها
شروع من قصد ردها كيفما امكن ، ليس مقصوده أن يفهم مراد الرسول ، بل أن يدفع
منازعه عن الاحتجاج بها)^(٢) .

والذي يظهر لي والله اعلم ان المقصودين بذلك هم اهل الاهواء والفرق

ممن كانت بدعهم أصولا تفرعت عنها غيرها . بخلاف أصحاب البدع الجزئية .

- الأمر الثاني : أن يكون المراد بعدم القبول لاعمالهم . ما ابتدعوه

خاصة دون غيره ، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (من عمل عملا ليس عليه
أمرنا فهو رد)^(٣) .

فهذا الحديث يبين أن العمل المخالف للشرع مردود لكونه مخالفا ، أما

سائر الأعمال ان جاءت موافقه للشرع كانت أقرب الى القبول . ولايلزم من رد هذا

العمل المبتدع رد سائر الاعمال التي تكون موافقة للشرع ما لم تكن البدعة بدعسة

شركية .

(١) انظر . الاعتصام ، ١١١/١ - ١١٢ .

(٢) الفتاوى ، ٥٨/١٣ - ٥٩ .

(٣) سبق تخريجه ص ٥٣ .

٢ - خذلان المبتدع :

ويقصد بذلك : أن المبتدع تنزع منه العصمة ويوكل الى نفسه ، ويوضح هذا أن الله قد جعل فيما أنزله على نبيه من القرآن والسنة العصمة والنجاة ، فقال تعالى : ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾^(٢) وحبل الله هو القرآن والسنة والجماعة فأوجب الله في هذه الآية التمسك بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والرجوع اليهما عند الاختلاف ولزوم جماعة المسلمين، فمن تمسك بذلك واعتصم به نجا ومن أعرض عنه هلك .

ولما كان المبتدع قد قدم هواه وبدعته على الشرع الذي ضمن الله العصمة في اتباعه كان جزاؤه أن تنزع العصمة منه ويوكل الى نفسه وهذا غاية الخذلان وسلم الحرمان الا من يتداركه الله برحمته ، قال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾^(٤) .

فهذه الفتنة في الدنيا وذلك العذاب الأليم في الآخرة جزاء لكل مخالف لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه . والمبتدع قد خالف السنة برأيه وهواه ، فكان جزاؤه جزاء المخالفين الا أن يتوب . ولا تزال البدع والأهواء بأصحابها حتى توقعهم في المهالك وتوردهم المعاطب وتلقي بهم في أودية الشبهات والشهوات ، وذلك جزاء وفاق لهم لأنهم التمسوا الهدى في غير ما أنزله الله ولم يسلموا لله في خبره وأمره ونهيه .

فأهل الكلام منهم أكثر الناس شيها . مافروا من شيء الا وقعوا فيما هو أسوأ منه . وأهل الزهد والتصوف منهم أكثر الناس جهلا بمقاصد الشرع وأكثرهم

-
- (١) سورة آل عمران ، آية (١٠١) .
 (٢) سورة آل عمران ، آية (١٠٣) .
 (٣) انظر الاعتصام ، ١ / ١١٢ - ١١٣ .
 (٤) سورة النور آية (٦٣)

اتباعا للهوى . وأهل التشيع والرفض من أقل الناس عقلا وأكذبهم في النقل .
فعامتهم في خلط وتلبيس ، ولأجل هذا نهى السلف أتباعهم عن الجلوس إلى
المبتدعة أو مصاحبتهم حتى لا يفتتن بهم الناس ويكون في ذلك ردعا لأصحاب
الآهواء والبدع .

فمن سفيان الثوري قال : (من جالس صاحب بدعة لم يعلم من احدى ثلاث :
أما أن يكون فتنة لغيره ، وأما أن يقع بقلبه شيء يزل به فيدخله النار ،
وأما أن يقول : والله لا أباي ما تكلموا به ، واني واثق بنفسي . فمن
يأمن بغير الله طرفة عين على دينه طبه إياه)^(١) .

٣ - البعد عن الله :

ومن آثار الابتداع : أن المبتدع كلما ازداد اجتهادا في بدعته ازداد
من الله بعدا ، ويبين هذا أن الله قد جعل ما شرعه من الواجبات والمستحبات
وسيلة للتقرب إليه ، وعلى قدر اجتهاد العبد في فعل الطاعات واجتناب
المنهيات على قدر ما يكون قربه من ربه .

والمبتدع قد تعبد الله بما لم يشره من أنواع البدع التي نهى عنها
الشرع ، وهو يعتقد أنه يتقرب إلى الله بهذه البدع فكلما ازداد اجتهادا في
بدعته كلما ازداد بعدا من الله .

(٢)

قال أيوب السخثياني :

(٣)
(ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله بعدا) .

(١) رواه عنه صاحب الاعتصام ١٠ / ١٣٠ .

(٢) هو أبو بكر أيوب بن أبي تميمة السخثياني من اعلام التابعيين

رأى أنس بن مالك وروى عن عمر بن سلمة الحرصي . قال عنه مالك كان

من العاملين الخاشعين وقال : كتبت عنه لما رأيت من إجلاله للنبي

صلى الله عليه وآله وسلم .

انظر تهذيب التهذيب ١ / ٣٩٧

(٣) رواه ابن وضاح في كتاب البدع والنهي عنها ، ص ٢٧ .

وفي الأحاديث الصحيحة عن الخوارج ما يؤيد ذلك ، إذ كانوا أهمل
اجتهاد وعبادة وصلاة وصيام ومع ذلك مرقوا من الدين كما يمرق السم من
الرمية .^(١) وما ذلك إلا بسبب بدعتهم .

٤ - أن المبتدع يلقي عليه الذل في الدنيا والغضب من الله في الآخرة :

ذلك أن الله قدر جعل العزة له ولرسوله وللمؤمنين فقال تعالى : ﴿ والله
العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾^(٢) ، وعلى قدر تمسك المسلم بدينه وعدم تعديسه
حدود الشريعة على قدر ما تكون له العزة . والمبتدع قد زاد في دينه أو نقص
منه فتعدى حدود ما شرعه الله ، وهذا يوجب له الذل والغضب من الله تعالى ،
قال تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل
المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾^(٣) .

وكل من ابتدع في دين الله فهو ذليل بحسب بدعته ، وإن أظهر للناس
خلاف ذلك . ويتأكد هذا حينما تكون السنة معلنة ، وأهلها متمسكين بها ،
داعين إليها ، ذائدين عن حياضها . صابرين على الأذى في سبيلها .

ومن تأمل أحوال المبتدعة في الزمان الأول تحقق له ما كاشوا عليه من
ذلة وصغار حتى لجأوا إلى السلطان ، ولا ذوا بأهل الدنيا ، ومن لم يستطع
ذلك هرب واستخفى . أما في زماننا هذا فقد استأسد أهل البدع بسبب قلّة
العلم ، وتشجيع الاستعمار لهم في حالة ضعف البلاد الإسلامية . وعدم مبالاة
حكام المسلمين بإقامة شرع الله والذود عنه والدعوة إليه والالتزام به قولاً
وعملاً إلا من رحم الله لأجل هذا استعلن المبتدعة ببدعهم ولبسوا على الناس
دينهم وادعوا أنهم على الحق والحقيقة حتى إذا رفعت راية السنة وسرت في
المسلمين روح الصحوة الإسلامية عادوا إلى التخفي والاستتار . فبحسب ظهور الحق
يكون خفاؤهم ، والعكس صحيح .

(١) سبق تخريجه ، ص ٢٦٩ .

(٢) سورة المنافقون ، آية (٨) .

(٣) سورة النساء ، آية (١١٥) .

٥ - تبرؤ الرسول صلى الله عليه وسلم من المبتدعة :

ومن آثار الابتداء وشؤمه على المبتدع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تبرأ من الراغب عن سنته الحائد عن هديه ، فقال : (ومن رغب عن سنتي فليس مني)^(١) .

والمبتدع قد رغب عن السنة ومال عنها الى ما زين له هواه وشيطانه من البدع . فهو داخل تحت هذا الوعيد . وقد تبرأ ابن عمر من القدرية حيث قال لمن سألهم عنهم : (فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني بريء منهم)^(٢) وأنهم برآء مني) .

٦ - أن من ابتدع بدعة كان عليه اثمها واثم من عمل بها الى يوم القيامة :

قال الله تعالى : ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ﴾ الآية^(٣) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (... ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)^(٤) .

وقال : (ما من نفس تقتل ظلماً الا كان على ابن آدم الأول كفل منهنها)^(٥) لأنه أول من سن القتل . وقال : (من دعا الى هدي كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً . ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الأثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)^(٦) .

(١) سبق تخريجه . ص ١٠٤ .

(٢) سبق تخريجه . ص ٢٧٠ .

(٣) سورة النحل ، آية (٢٥) .

(٤) سبق تخريجه . ص ٢١٤ .

(٥) سبق تخريجه . ص ٢٠٢ .

(٦) صحيح مسلم . كتاب العلم . باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، ٤/٢٠٦٠ .

٧ - عدم توفيق المبتدع للتوبة :

ان من شؤم البدعة على صاحبها أنه ليس له توبة بمعنى أنه قلما يتوب لأن الشيطان زين له بدعته فنظر اليها على أنها طاعة وقرية ، ولم ينظر اليها على أنها معصية . ومن كانت هذه حاله فقل أن يتوب الا من يتداركه الله برحمته . وعلى هذا المعنى تحمل الأحاديث والآثار الواردة في هذا الباب . من ذلك ما أخرجه ابن أبي عاصم بسنده عن أنس رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله حزم - أو قال حجب - التوبة عن كل صاحب بدعة)^(١) .

وأخرج أبو داود بسنده عن معاوية بن أبي سفيان قال : (ألا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال : " ألا ان من قبلكم من أهمل الكتاب افترقوا على شنتين وسبعين ملة ، وان هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، شنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة . زاد ابن يحيى وعمرو في حديثهما : " وانه سيخرج من أمتي أقوام تجاري بهم الأهواء كما يتجاري الكلب لصاحبه " ، وقال عمرو : " الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله ")^(٢) .

ففي هذا الحديث تشبيه الأهواء بـ الكلب الذي يصيب المريض فلا يترك فيه عرقا ولا مفصلا الا ودخله ومن كان هذا حاله فلا يترك فيه عرقا ولا مفصلا الا ودخله ومن كان هذا حاله فلا يترك فيه عرقا ولا مفصلا الا ودخله ومن كان هذا حاله فلا يترك فيه عرقا ولا مفصلا الا ودخله . وهكذا الأهواء اذا اشربها قلب صاحبها صارت كالداء المهلك الذي لا ينجو منه الا القليل . ومن كانت هذه حاله فقل أن ينزع أو يتوب .

(١) كتاب السنة للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة . محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١ / ١٢ . قال الشيخ الألباني : حديث صحيح بشواهده .

(٢) سبق تخريجه ص ١٠٣ .

ولهذا قال سفيان الثوري : (ان البدعة أحب الى ابليس من المعصية لأن
البدعة لايتاب منها والمعصية يتاب منها)^(١) .

ويفضل ابن تيمية هذا الكلام فيقول : (ومعنى قوله ان البدعة لايتاب
منها : أن المبتدع الذي يتخذ ديننا لم يشرعه الله ولارسوله ، قد زُيِّن له سوء
عمله فرآه حسنا فهو لايتوب مادام يراه حسنا ، لأن أول التوبة العلم بأن
فعله سيء ليتوب منه ، أو بأنه ترك حسنا مأمورا به أمر ايجاب أو استحباب
ليتوب ويفعله ، فما دام يرى فعله حسنا وهو سيء في نفس الأمر فإنه لايتوب)^(٢)

وقد روي عن بعض السلف آثار بهذا المعنى ولكنها محمولة على ما سبق
بيانه . أما توبة المبتدع فهي جائزة الوقوع وممكنة ، وذلك بأن يهديه الله
ويرشده الى الحق فان تاب تاب الله عليه، لأن باب التوبة مفتوح لكل مذنب وعاصي
أو ضال . قال تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله ان الله يَغْفِر الذنوب جميعا ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ وان ربك لذو
مغفرة للناس على ظلمهم ﴾^(٤) . فهاتان الآيتان وغيرهما من آيات التوبة فسي
القرآن تدلان دلالة واضحة على أن باب التوبة مفتوح لكل من أسرف على نفسه
أو ظلم ، اذا عاد وتاب واتبع الحق .

ولاشك أن المبتدع داخل ضمن المسرفين على أنفسهم والظالمين لها . فتشمله
آيات التوبة ، وقد ورد في السنة ما يؤكد ذلك وهو شمول التوبة .

فقد أخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه)^(٥) الى غير
ذلك من الأحاديث ، ومن هنا يتبين لنا أن توبة المبتدع جائزة وممكنة وأن
باب التوبة مفتوح .

(١) ، (٢) الفتاوى ، ١٠ / ٩ .

(٣) سورة الزمر ، آية (٥٣) .

(٤) سورة الرعد ، آية (٦) .

(٥) صحيح مسلم . كتاب الذكر والدعاء . باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ، ٤ / ٢٠٧٦ .

وقد رجح كثير من المبتدعة عن بدعهم واتبعوا السنة فهداهم الله،
وناقش ابن عباس الخوارج فرجع منهم عدد كبير .

على أنه ينبغي لنا أن نلاحظ أن هناك فرقا بين الرؤوس والاتباع، وبين
الداعي إلى البدعة والمقلد فليسوا في تيسير التوبة سواء . وذلك بحسب تمكن
البدعة من القلب . ومع ذلك فمن تاب منهم تاب الله عليه . ولكن كيف تكون
توبة المبتدع ؟

انما تتحقق توبة المبتدع باتباع السنة علما وعملا واعتقادا والوقوف
عندها ، ولا يكتفي منه بذلك حتى يبين فساد ما كان عليه من البدعة بحالته
ومقاله ، اذ التوبة من ذنب تكون بفعل ضده . . وقد شرط الله تعالى في توبة
الكاتمين لما أنزله من البيئات والهدى - بيان ما كتموه واصلاح ما أفسدوه
لأن ذنبهم لما كان بالكتمان ، كانت توبتهم منه بالبيان .

قال تعالى : ﴿ ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البيئات والهدى من
بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين
تابوا وأصلحوا وبيّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ (١)

وذنب المبتدع غير ذنب الكاتم لأن هذا كتم الحق ، وذاك كتمه ودعا إلى
خلافه، اذ أ فلا بد للمبتدع أولا أن يعلم أن ما يفعله بدعة ، وأن عليه أن
يعلم السنة ويعمل بها ، ثم عليه أن يبين للناس فساد ما كان عليه من بدعة
حسب الاستطاعة . وأن يستقيم على ملازمة السنة ومتابعة الرسول صلى الله عليه
وسلم وهدية حتى تزول عنه حجب البدعة وتشرق عليه شمس السنة . (٢)

(١) سورة البقرة ، آية (١٥٩ - ١٦٠) .

(٢) انظر مدارج السالكين ، ١ / ٣٦٣ .

يقول ابن القيم :

(فان السنة - بالذات - تمحق البدعة ولا تقوم لها واذا طلعت شمسها في قلب العبد قطعت من قلبه ضباب كل بدعة ، وأزالت ظلمة كل ضلالة اذ لاسطان للظلمة مع سلطان الشمس . ولا يرى العبد الفرق بين السنة والبدعة ، ويمينه على الخروج من ظلمتها الى نور السنة ، الا المتابعة ، والهجرة بقلبه كل وقت الى الله ، بالاستعانة والاخلاص ، وصدق اللجا الى الله . والهجرة الى رسوله بالحرص على الوصول الى أقواله وأعماله وهديه وسنته ، " فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله " ومن هاجر الى غير ذلك فهو حظه ونصيبه في الدنيا والآخرة والله المستعان)^(١) .

٨ - الخوف على المبتدع من سوء الخاتمة :

ان من شوم البدعة أنه يخاف على صاحبها من سوء الخاتمة ، وسوء الخاتمة - والعياد بالله - هو أن يعتري الانسان عند الموت شك أو جحود أو اعتراض على الله . فيسخط العبد حينئذ لقاء الله فيسخط الله لقاءه ، ويختتم للعبد حينئذ بما يوجب له دخول النار اما فترة واما خلودا فيها .

وسبب ذلك مرض في قلبه وخلل في أمره وان بدا للناس غير ذلك . وفي البخاري بسنده عن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - ما يوضح ذلك حيث قال : (التقى النبي صلى الله عليه وسلم والمشركون في بعض مغازييه فاقتتلوا ، فمال كل قوم الى عسكرهم ، وفي المسلمين رجل لا يدع شاة ، ولا فاة الا اتبعها فضربها بسيفه ، فليل يارسول الله ، ما أجزأ أحد ما أجزأ فلان فقال انه من أهل النار . فقالوا . آينا من أهل الجنة ان كان هذا من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم لأتبعنه ، فاذا أسرع وأبطأ كنت معه حتى جرح فاستعجل الموت ، فوضع نصاب السيف بالأرض ودبايه بين ثديه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه ، فجاء الرجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أشهد أنك رسول الله . فقال : وما ذاك ؟ فأخبره . فقال : ان الرجل ليعمّل

(١) مدارج السالكين ، ١ / ٣٧٤ .

يعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وانه من أهل النار ، وان الرجل ليعمَل
يعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة (١) .

وروى الامام أحمد بسنده عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : (لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى تنظروا بم يختم له فان
العامل يعمل زمانا من دهره أو برهة من دهره يعمل صالح لو مات عليه دخل
الجنة ، ثم يتحول فيعمل عملا سيئا ، وان العبد ليعمل البرهة من دهره يعمل
سيء لو مات عليه دخل النار ، ثم يتحول فيعمل عملا صالحا ، واذا أراد الله
بعبد خيرا استعمله قيل موته ، قالوا : يارسول الله . وكيف يستعمله؟
قال يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه) (٢) .

فهذان الحديثان - وما في معنيهما - يدلان على أن أمر العبد موقوف على
خاتمته والتي لا يعلمها الا الله . لأجل هذا عظم خوف الصالحين من سوء الخاتمة ،
وجرت دموعهم مغزارة ، خوفا من أن تنزل قلوبهم ساعة الاحتضار فيختم لهم
بسوء أو أن تنقلب أحوالهم بعد الطاعة عصيانا فيموتون على ذلك ان لهم
يتداركهم الله بتثييته .

فهذا الذي جعلهم يخافون لعلمهم أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع
الرحمن فمن شاء أقامه ومن شاء أناعه . فكانوا في كل وقت وحين يسألون
الله التثبيت والثبات على الايمان وحسن الخاتمة . ونسأل الله ذلك بمنه
وكرمه .

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، ٥ / ١٧٠ .
(٢) رواه أحمد في المسند ، ٣ / ١٢٠ ، وصححه الألباني وقال : اسناد صحيح
على شرط الشيخين .
انظر . السلسلة الصحيحة ، ٣ / ٢٢٢ .

وبعد .. فان لسوء الخاتمة أسبابا تتقدم عليها منها الشرك أو النفاق أو التعلق بغير الله أو الكبر وما شاكله من الصفات المذمومة ، أو البدعة وهي المقصودة بالذكر وماحيها على خطر ، وقل أن يختم لمبتدع بالسلامة الا أن يتداركه الله برحمته .^(١) وانما خيف على المبتدع سوء الخاتمة ، لأن حال الموت حال انكشاف للحقائق فربما انكشفا له حينئذ عوار بدعته وضلال ما كان عليه فيخيل له الشيطان حينئذ أن دينه كله ضلال . فيعتريه الشك حينئذ أو الحجود بالدين الحق فيختم له بما سبق عليه الكتاب .

ولهذا نجد رؤوس أهل الأهواء والبدع يصرحون عند الموت بضلال ما كانوا فيه .. وتتقطع قلوبهم آسى وحسرة على ضياع أعمارهم فيما ظهر لهم ضلاله .^(٢)

وحينئذ لاينجي الا التثبيت من الله ولا نجاة بدونه . فنسالك اللهم الثبات على الايمان حتى نلقاك عليه .

قال أبو محمد عبد الحق الاشبيلي^(٣)

(واعلم أن سوء الخاتمة - أعادنا الله منها - لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ، وانما تكون لمن كان له فساد في العقل ، أو اصرار على الكبائر ، واقدام على العظام . فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة ويشب قبل الانابة ، فيمظلمه الشيطان عند تلك الصدمة ، ويختطفه عند تلك الدهشة ، والعياذ بالله ثم العياذ بالله ، أو يكون ممن كان مستقيما ، ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سننه ، ويأخذ في طريقه ، فيكون ذلك سببا لسوء

(١) انظر . احياء علوم الدين . الغزالي ، ٤ / ٢١٤ - ٢٢٤ ، ط مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر .

(٢) انظر . شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٢٧ - ٢٣٠ .

(٣) هو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الأشبيلي المالكي (٥١٠ - ٥٨١ هـ) .

فقيه . لفوي . محدث .

من تصانيفه . الأحكام الشرعية الكبرى والوسطى والصغرى ، الجمع بين الصحيحين ، الوافي في اللغة . الزهد .

انظر . سير أعلام النبلاء ، ٢١ / ١٩٨ - ٢٠٢ . معجم المؤلفين ، ٤ / ٩٢ .

(٤) الاصطلام - بمعنى - الاختطاف والانتزاع .

خاتمته وشؤم عاقبته والعياذ باللـه * ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ومالهم من دونه
(١) (٢)
من وال * ()

٩ - الطرد من حوض النبي صلى الله عليه وسلم :

ان من شؤم البدعة على صاحبها . أنه يطرد عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أن الورود على الحوض انما هو كرامة من الله لكل مسلم اتبع السنة ولقي الله عليها . والمبتدع لما خالف السنة بهواه وأحدث في الدين ما ليس منه كان من المحجوبين المطرودين عن الحوض ، كما أن صاحب البدعة على اطلاقه مما يخاف عليه من ذلك .

فقد أخرج مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ليردن على الحوض رجال ممن صاحبي . حتى اذا رأيتهم ورفعوا اليّ ، أختلجوا دوني . فلاقولن : أي رب أصحابي . أصحابي . فليقالن لي انك لاتدري ماذا أحدثوا بعدك) (٤)

وأخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين . وانا ، ان شاء الله ، بكم لاحقون . وددت أن اقد رأينا اخواننا ، قالوا : أولسنا اخوانك يا رسول الله ؟ قال " أنتم أصحابي . واخواننا الذين لم يأتوا بعد "

(١) سورة الرعد ، آية (١١) .
(٢) العاقبة في ذكر الموت والآخره . لأبي محمد عبدالحق الاشيلي ، تحقيق الشيخ خضر محمد خضر ، ط ١ ، مكتبة دار الأقصى الكويت ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٨٠ - ١٨١ .

(٣) أختلجوا : أقتطعوا وانتزعوا .
(٤) صحيح مسلم . كتاب الفضائل . باب اثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته ، ٤ / ١٨٠٠ .

فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ فقال " إرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة • بين ظهري خيل دهم بهم • ^(١) ألا يعرف خيله ؟ " قالوا بلى يا رسول الله ! قال " فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء • وأنا فرطهم ^(٢) على الحوض • ألا ليذا دن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال • أناديهم ألا هلم ! فيقال " انهم قد بدلوا بعدك • فأقول : ^(٣) حقا حقا " ^(٤) .

قال النووي :

(هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال :

- أحدها : أن المراد به المنافقون والمرتدون ، فيجوز أن يحشروا بالفرة والتحجيل فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم للسيما التي عليهم ، فيقال : ليس هؤلاء ما وعدت بهم ، ان هؤلاء بدلوا بعدك ، أي لم يموتوا على ما ظهر من اسلامهم •

- والثاني : أن المراد من كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد بعده فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم وان لم يكن عليهم سيما الوضوء ، لما كان يعرفه صلى الله عليه وسلم في حياته من اسلامهم ، فيقال : ارتدوا بعدك •

- والثالث : أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الاسلام •

وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين يذادون بالنار ، بل يجوز أن يذادوا عقوبة لهم ، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب •

(١) دهم بهم : أي سود لم يخالط لونها لون آخر •

(٢) الفرط : هو الذي يتقدم القوم ويسبقهم ليرتاد لهم الماء ويهيئ لهم الدلاء والأرشية •

(٣) حقا حقا : أي بعدا بعدا • وهذا دعاء عليهم بالطرد والابعاد •

(٤) صحيح مسلم • كتاب الطهارة • باب استحباب اطالة الفرة والتحجيل ، ٢١٨/١ • ورواه مالك بنحوه • كتاب الطهارة • باب جامع الوضوء ، ٢٨ / ١ •

قال أصحاب هذا القول: (ولا يمتنع أن يكون لهم فرة وتحجيل ، ويحتمل أن يكون كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبعده لكن عرفهم بالسيما)^(١)

(٢)
وقال ابن عبد البر :

(كل من أحدث في الدين مالا يرضاه الله فهو من المطرودين عن الحوض وأشدهم من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والروافض وأصحاب الأهواء ، وكذلك الظلثة المسرفون في الجور وطمس الحق ، والمعلنون بالكبائر ، فكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عتوا بهذا الخير)^(٣) .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، ٣ / ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي ، (٣٦٨ - ٤٦٤ هـ) .

امام الاندلس وعالمها - من كبار حفاظ الحديث . فقيه . أديب . من تصانيفه : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، الكافي في الفقه المالكي ، شرح مذاهب علماء الأمصار ، جامع بيان العلم وفضله وغيرها .

انظر . نفح الطيب ، ٤ / ٢٩ - ٣١ ،

والأعلام ، ٨ / ٢٤٠ .

(٣) شرح الزرقاني على موطأ الامام مالك ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ،

١٩٥٩م ، ١ / ٦٤ .

* آثار البدع على الدين :

كما أن للبدعة آثارا سيئة على المبتدع، فإن لها آثارا سيئة على الدين نفسه . وكيف لا ؟ والمبتدع إنما أضافها إلى الدين ونصبها إليه فزاد في دينه أو نقص منه بسبب بدمته، وهذه الآثار كثيرة منها :

١ - إمامة السنن :

ان من أعظم آثار البدعة على الدين هو إمامة السنة وذلك لأن البدع رافعة لما يقابلها من السنن ، وما قامت بدعة إلا على نقض سنة وتركها فتحيا - بسبب ذلك - البدعة وتموت السنة . ويصير المعروف منكرا والمنكر معروفا . حتى إذا عمت البدع وانتشرت صارت السنة وأهلها غرباء لاتجدمنهم إلا الأفراد .

ولأجل هذا اشد تحذير الصحابة والتابعين لهم بإحسان من البدع لعظم خطرها وكثرة شرورها . فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن)^(١) .

وعن حسان بن عطية المحاربي قال : (ما أحدث قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ، ثم لم يعدها اليهم إلى يوم القيامة)^(٢)

وقد حاصر السلف أهل الأهواء والبدع ، وقعدوا لهم كل مرمد وكشفوا أسرارهم، وهتكوا أستارهم ، ونهوا الناس عن مجالستهم أو توقيرهم، واستعانوا عليهم

-
- (١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، ١٠ / ٣١٩ .
قال الهيثمي : رجاله موثقون . مجمع الزوائد ١ / ١٨٨ .
- (٢) هو أبو بكر حسان بن عطية المحاربي مولاها دمشق . من التابعين حدث عن أبي أمامة الباهلي وسعيد بن المسيب وغيرهما . وعنه الأوزاعي وحفص بن غيلان وغيرهما .
انظر . سير أعلام النبلاء ، ٥ / ٤٦٦ .
وتهذيب التهذيب ، ٢ / ٢٥١ .
- (٣) أخرجه الدارمي في المقدمة . باب اتباع السنة ، ١ / ٤٥ . وسنده صحيح . انظر مشكاة المصابيح ، ١ / ٦٦ .

بإظهار السنة والصبر عليها مهما كان ايذاء أهل البدع لهم . فرحم الله بهم الأمة وكشف بهم الغمة وأعلى بهم منار الدين ، فكانوا هم الطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة . ثم دار الزمان دورته فصار أهل السنة غرباء بين أهل البدع ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء)^(١) .

على أن الأمر لم يقف عند احياء البدعة واماتة السنة بل تعدى ذلك الى بغض السنة وأهلها والوقية فيهم .

يقول ابن تيمية :

(ومن المعلوم أنك لاتجد أحداً ممن يرد نصوص الكتاب والسنة بقوله إلا وهو يبغض ما خالف قوله ، ويود أن تلك الآية لم تكن نزلت ، وأن ذلك الحديث لم يرد ، ولو أمكنه كشط ذلك من المصحف لفعله)^(٢) .

ولاتقف خطورة البدع عند حد . إذ ينتهي الأمر بالمبتدعة الى تغيير معالم الدين بوضع الرسوم ، وحد الحدود ، وتععيد الأصول على الرأي والهوى . حتى تغدوا وكأنها دين آخر مخترع . ويتأكد هذا في طوائف المبتدعة إذ لكل طائفة منهجها في الأخذ والتلقي ، والقبول والرد ، والولاء والبراء ، ولها موازينها واصطلاحاتها ، وكأنما هي شريعة مستقلة .

٢ - هجران الدين :

وأعني به هجر الكتاب والسنة وما يتبعهما من العلم النافع والعمل الصالح ، ويبين هذا أن كل طائفة هجرت من النصوص ما يخالفها وسلكت لذلك مسلك التأويل والرد وربما تعدى ذلك الى التكذيب بما جاءت به النصوص .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الايمان . باب رفع الأمانة من بعض القلوب ، ١ / ١٣٠ .
(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، من مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ١٤٠٣هـ ، ٥ / ٢١٧ .

- فغدت بذلك نصوص الشرع معظلة مهجورة من جوانب عديدة :
- عدم التماس الهدى والعلم واليقين منها .
 - عدم التحاكم اليها عند النزاع وتحكيمها والتسليم لها .
 - عدم الاستشفاء بما فيها من الشفاء لأمراض القلوب وجماعها الشبهات والشهوات .

ثم ان انتشار البدع بين صفوف المسلمين سبب لحرمان أكثرهم من معرفة الحق والهدى ، وحرمانهم من التعبد لله بالعبادات الشرعية التي علق الله على وقوعها الثواب والعادة في الدنيا والآخرة . فنقل المبتدعة أتباعهم من الهدى الى الضلال ومن الحق الى الباطل ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

✽ آثـارها على المجتمع :

١ - التفرق والاختلاف :

كما أن للبدع آثارا سيئة على الدين فان لها آثارا على المجتمع المسلم ، وذلك يتمثل في أمور منها : الاختلاف والفرقة وما ينتج عنهما من العداوة والبغضاء . وقد نهى الله عن التفرق والاختلاف في آيات كثيرة من كتابه العزيز فقال تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾^(١) ، وقال : ﴿ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾^(٢) وقال : ﴿ ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ﴾^(٣) ، وقال : ﴿ ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾^(٤) .

ويوضح ذلك أن كل مبتدع يريد أن ينصروا عليه وأن يدعو لها وأن يكثر سواد

-
- (١) سورة آل عمران ، آية (١٠٥) .
 - (٢) سورة الأنعام ، آية (١٥٣) .
 - (٣) سورة الأنعام ، آية (١٥٩) .
 - (٤) سورة الروم ، آية (٣٢ ، ٣١) .

أهلها ، ولا يتم له ذلك الا بمخالفة السنة وأهلها والوقية فيهم والعسداوة والبغض لهم ، وكما قيل : علامة أهل البدع الوقية في أهل الأثر . وباستعراض تاريخ الاسلام نجد أن أهل الأهواء والبدع كانوا من أكبر أسباب تفرق المسلمين الى شيع وأحزاب . فأول من فارق جماعة المسلمين أهل البدع من الخوارج ثم تبعهم المبتدعة على ذلك ، وليس الأمر قاصرا على ذلك بل ربما تعداه الى حمل السيف على أهل السنة كما فعل الخوارج وغيرهم .

فان لم يستطيعوا ذلك تقربوا الى الملوك واستعملوا حيلهم في الوقية بأهل السنة والحاق الأذى بهم ، وهام المعتزلة ومن لف لفهم يسلكون هذا الطريق ولكن هيهات " فقد قتلى النبي صلى الله عليه وسلم (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك) (١) ولا يزال أهل الاسلام من المبتدعة في شره . فكم حاولوا تشويه الحقائق بسق وتلبيس الدين على الناس وكم تحالفوا مع أعداء الله من شياطين الانس والجن حتى ينشروا بدعهم ولو على حساب السنة . وفي التاريخ الحديث رأينا كيف شجع الاستعمار الصوفية حتى آمات لدى المسلمين روح العزة والجهاد .

٢ - الفتن والمحن :

ومن عواقب الابتداع الوخيمة أنه ما ترك الناس السنة وأقبلوا على البدع الا وضربهم الله بالبلاء والفتن وجعل بأسهم بينهم شديدا وسلط عليهم أعداءهم جزاء لتركهم سنة نبيهم وامراضهم عن هديه والتمسك به . قال تعالى : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ (٢) ، ويكفي بلاء أن أعداء الاسلام استغلوا أهل البدع في تعويق الدعوة الى الاسلام ، والصحة الاسلامية، يضرب المسلمين بعضهم ببعض .

(١) صحيح مسلم . كتاب الامارة . باب قوله صلى الله عليه وسلم :

لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين ٣ / ١٥٢٣ .

(٢) سورة الأنعام ، آية (٦٥) .

« كيفية مقاومة البدع :

لاشك أن البدع ، مرض خطير يهدد الأمة الاسلامية منذ قرون . وقد ذاقَت الأمة بسببه أنواعا من البلاء والفتن . وبقدر انتشار البدع بقدر ما يكون العناء والنصب . فلا بد اذا - والحالة هذه - من مقبومة البدع ما أمكن لانقاذ من أراد الله هدايته من السقوط في مهاوي البدع والضلالات . ويتأتى ذلك بعدة أمور :

- معرفة حقيقة البدعة وخطرها حتى نحدد أبعادها .
- معرفة واقع البدعة وتاريخها في كل مجتمع اسلامي وعلى ذلك تتم الدعسوة الى السنة .
- نشر السنة علما وتعلما وتطبيقا وسلوكا . فان البدع ما ظهرت الا بخفاء السنة على الناس وغياب نورها عنهم ، وجهل الناس بأثار النبوة . ومعالجة ذلك هو اظهارها تعليما وتطبيقا .
- الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهذا الأمر سبب مهم في انفتاح قلوب الناس للنور والهدى . فالدائمة الحكيم هو الذي يستطيع - بتوفيق الله عز وجل - امتلاك زمام القلوب . بحسن بيانه ، وجميل تصرفه ، وكريم سجاياه . فكم اهتدى فئام من الناس على يد دعاة موفقين . وكـم صد عن الحق كثير ممن يدعوا اليه اذا لم يرزق التوفيق والحكمة ، فالأمر يحتاج الى معالجة حكيمة أشبه ما تكون بمعالجة الطبيب الناصح للمريض وقد أعفله الداء .
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهذا الأمر تابع لما قبله الا أنه يتميز بالحسم في أكثر الأحيان ممن بيده سلطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهم أولسوا الأمر . العلماء والأمرء . فاذا كانوا على غيرة لهذا الدين دفاعا عنه من تحريف الغالين وتأويل المبطلين وانتحال الجاهلين قلّت البدع . واذا أداروا ظهورهم للإسلام وكان الأمر لايعنيهم انتشرت البدع والمستقريء للتاريخ الاسلامي يرى أن البدع يكثر انتشارها والمجاهرة بها حينما ينفصل السلطان عن القرآن . وينشغل أولوا الأمر بالصراع على

حطام الدنيا ، فيجد أهل البدع فرصتهم السانحة في نشر بدعهم . وهذا يفسر لنا سر انتشار البدع كلما امتد الزمان بهذه الأمة .

فما لم يقم المسلمون عامة وأولوا الأمر خاصة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فسوف تنتشر البدع بأثارها الوبيلة . ويدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمور منها :

- تتبع الملاحدة والمرتدين ومحاولة معرفة تحركاتهم .
- إقامة حد الردة على من ثبت بالدليل كفره ، ومروقه ، وزندقته .
- منع وصول كتب الزنادقة والغلاة كباين عربي وأمثاله الى الناس حتى لا يضل بها من لا يعرف حقيقة مذهبهم .
- أمر الدعاة بتبيين أوجه ضلال هؤلاء الضالين وتحذير الناس من بدمهم .
- إتاحة الفرصة لدعاة الخير لتوجيه الناس وارشادهم واعانتهم على أمورهم
- توجيه مناهج التعليم الى ضرورة معرفة طلبية العلم بهذه البدع وأخطارها

هذه بعض وسائل مقاومة البدع حسب رأيي والله أعلم .

خاتمة

﴿ الخاتمة ﴾

—x—

- بعد معالجاتي لهذا الموضوع توصلت الى النتائج التالية :
- ✦ محبة الرسول صلى الله عليه وسلم هي ميل قلب المسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ميلا يتحقق فيه ايثاره على كل من سواه من البشر .
- ✦ أن المحبة أمر زائد على الاتباع ، اذ هي بمنزلة الباعث والدافع الى هذا الاتباع .
- ✦ أن المحبة ركن أساسي من أركان الايمان لا يصح الايمان بدونه .
- ✦ أن التعبير الحقيقي عن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم يتمثل فسي صدق الاتباع له ، والافتداء به وتعظيمه وتوقيره والقيام بحقوقه ومحبة ما يحبه ويفض ما يبغضه .
- ✦ أن بين المحبة والاتباع علاقة مسطردة اذا لا يوجد أحدهما بدون وجود الآخر فمن حقق الاتباع وبذل الوسع في معرفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم فقد صدق في المحبة .
- ✦ أن بين المحبة والغلو بونا شامعا . فالمحبة أمر شرعي والغلو مذموم ومنهي عنه شرعا ، ولا يمكن اتفاقهما .
- ✦ أن من غلا في الرسول صلى الله عليه وسلم فهو متشبه بالنصارى في غلوهم في عيسى عليه السلام .
- ✦ أن بداية الغلو في هذه الأمة كانت لدى الشيعة وعنهم انتقل الى الصوفية كان الحلاج أول صوفي اشتهر عنه الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم منطلقا من مذهبه في حلول الاله في الانسان . وهو في هذا يشبه النصارى في غلوهم في عيسى عليه السلام .
- ✦ كان مقتل الحلاج تحولا كبيرا في من أتى بعده من الصوفية عامة وغلاتهم خاصة ، وتمثل ذلك في :

- استتارهم بمنهبيهم ، ومحاولة اخفاء حقيقته عن عامة المسلمين .
- اتخاذ الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم ذريعة الى نشر العقائد الهدامة في صفوف الامة بدعوى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

✳ كان ابن عربي من أكبر السائرين على درب الحلاج في محاولة الخروج على الاسلام .

✳ يعد ابن عربي صاحب مذهب وحدة الوجود في المحيط الصوفي ، اذ بذل في سبيل نشره ودعوة الناس اليه كل ما في وسعه .

✳ ان ابن عربي قد فلا في الرسول صلى الله عليه وسلم ورفعته الى مرتبة الألوهية بمذهبه في الحقيقة المحمدية المساوية للحقيقة الالهية .

✳ ان غلو ابن عربي ومثله الحلاج وغيرهما من غلاة الصوفية لم يكن نتيجة حب للرسول صلى الله عليه وسلم ، بل كان زندقة والحادا وكيدا لهذا الدين .

✳ كان للغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم أكبر الأثر في افساد العقيدة والعبادة لدى أكثر الصوفية ، وتمثل ذلك في ضلال معتقدتهم في الله ورسوله .

✳ ان الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم محرم شرعا لما يفضي بصاحبه الى الخروج من الدين .

✳ من اعتقد مقالة غلاة الصوفية كالقول بالحقيقة المحمدية ، وأن الرسول مخلوق من نور ، وأنه كان موجودا بحقيقته قبل خلق السماوات والأرض .
وأن الكون خلق من نوره ، أو أنه روح الله المنفوخ في آدم الى غير ذلك من مقالات الغلاة . من اعتقد بمثل هذا فقد كفر بعد قيام الحج عليه .

✳ ان من أشار الغلو بظهور البدع الاعتقادية والعملية .

✳ ان البدعة أمر مذموم شرعا بلا استثناء اذ كلها ضلالة .

- « ان القول بتقسيم البدعة الى حسنة وسيئة قول غير مستقيم شرعا .
- « اتخذ كثير من الصوفية اختلاف العلماء في تقسيم البدعة الى حسنة وسيئة ذريعة الى ترويج بدعهم تحت ستار اسم البدعة الحسنة .
- « ان الصوفية وبالأخص غلاتهم من أكثر الناس ابتداعا وخروجا على السنة استغل كثير من الصوفية دعوى المحبة في اظهار كثير من البدع . مثل الحضرات والصوالم والتوسل البدعي والشركي وصيغ الطوات المبتدعة
- « ان للابتداع آثارا سيئة على المبتدعة ، وتمثل ذلك في حرمانهم من الهدى وقضاء أعمارهم في التيه والضلال ثم ما ينتظرهم من أليم العقاب ، اذا لم يتوبوا ويرجعوا الى حظيرة السنة والجماعة .
- « كما كان الغلو سببا من أسباب الانحراف بالمحبة من وضعها الشرمي . فان الجفاء والتقصير في محبة الرسول صلى الله عليه وسلم يعتبر مرضا خطيرا يجب معالجته عند بعض المسلمين .
- « ان التوسط في أمر المحبة لن يكون الا بصدق الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً تأديبا بآدابه وتخلقا بأخلاقه صلى الله عليه وسلم .

قائمة المراجع

اولا : القران الكريم :-

ثانيا : المراجع والمصادر :-

- (١) الابداع فى مزار الابتداء . تأليف الشيخ على محفوظ . ط٧ . دار الاعتماد - القاهرة .
- (٢) ابو الحسن الشاذلى الصوفى المجاهد والعارف بالله . تأليف د . محمد عبد الحليم محمود . ط٥ . دار الكتاب العربى مصر ١٩٦٧ م .
- (٣) احكام الجنائز وبدعها . للشيخ محمد ناصر الدين الالبانى . ط٤ . طبع المكتب الاسلامى . بيروت ١٤٠٦ هـ .
- (٤) الاحكام فى اصول الاحكام . لآبى الحسن لامدى . تحقيق الشيخ عبد الرزاق عفيفى . طبع المكتب الاسلامى بيروت ١٤٠٢ هـ .
- (٥) احكام القران . لآبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى - تحقيق على محمد البجاوى . ط١ . عيسى الحلبى . مصر ١٣٧٨ هـ .
- (٦) احياء علوم الدين . لآبى حامد محمد بن الغزالى . طبع موءسة الحلبى - القاهرة
- (٧) الاذكار . لآبى زكريا يحيى بن شرف النووى . ط٤ . مطبعة مصطفى الحلبى - مصر .
- (٨) ارشاد الفحول . لمحمد بن على الشوكانى . ط١ مطبعة مصطفى الحلبى - مصر ١٣٥٦ هـ
- (٩) استنشاق نسيم الانس من نفحات رياض القدس . لآبى الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلى - طبع مطبعة الامام مصر .
- (١٠) الاصابة فى تمييز الصحابة . للحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلانى . نشر دار الكتاب العربى - بيروت .
- (١١) أصول الدين لعبد القاهر بن طاهر البغدادى ط٣ دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠١ هـ .
- (١٢) اضواء البيان فى ايضاح القران بالقران . للشيخ محمد الأمين الشنقيطى . مطبعة المدنى . مصر .
- (١٣) الاعتصام . للامام أبى اسحاق ابراهيم بن موسى اللخمسى الشاطبى تحقيق محمد رشيد رضا . ط٥ . دار الفكر العربى - بيروت .

- (١٤) الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد للامام أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى .
تصحیح كمال يوسف الحوت . ط١ عالم الكتب بيروت ١٤٠٣ هـ .
- (١٥) الأعلام . تأليف خير الدين الزركلى . طه دار العلم للملايين بيروت - ١٩٨٠ م .
- (١٦) إعلام الموقعين عن رب العالمين . لابن قيم الجوزية . تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد . ط دار الفكر بيروت .
- (١٧) افضل الطلوات على سيد السادات . ليوسف بن اسماعيل النبهانى . ط المكتبة الادبية . بيروت . ١٣٠٩ هـ .
- (١٨) افعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالاتها على الاحكام . تأليف د. محمد العروسى عبد القادر . ط دار المجتمع . جدة ١٤٠٤ هـ .
- (١٩) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم . لشيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية . تحقيق دكتور ناصر بن عبد الكريم العقل ط١ مطابع العبيكان الرياض ١٤٠٤ هـ .
- (٢٠) الانسان الكامل فى معرفة الاواخر ، والاوائل . لعبد الكريم بن ابراهيم الجبلى ط٣ مصطفى الحلبي مصر ١٣٩٠ هـ .
- (٢١) البداية والنهاية . لابي الفداء اسماعيل بن كثير . ط٢ مكتبة المعـارف بيروت ١٩٧٧ م .
- (٢٢) البدع والنهى عنها . لمحمد بن وضاح القرطبي . تحقيق محمد احمد دهمان . ط٢ دار البصائر دمشق ١٤٠٠ هـ .
- (٢٣) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة . لجلال الدين السيوطى . تحقيق محمد ابى الفضل ابراهيم ط١ عيسى الحلبي . مصر ١٣٨٤ هـ .
- (٢٤) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وماعليها . لابي محمد عبد الله بن ابى جمرة الاندلسى ط٣ دار الجيل بيروت ١٩٧٩ .
- (٢٥) تاريخ الامم والملوك . لابي جعفر محمد بن جرير الطبرى تحقيق محمد ابى الفضل ابراهيم . دار سويدان بيروت .
- (٢٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي نشر دار الكتاب العربى - بيروت .
- (٢٧) تذكرة الحفاظ . للحافظ شمس الدين الذهبى . نشر دار احياء التراث العربى بيروت .

- (٢٨) التصريفات . للشريف علي بن محمد الجرجاني . دار الكتب العلمية . بيروت .
- (٢٩) تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن . لابي جعفر محمد بن جرير الطبري . ط٢٠ مصطفى الحلبي القاهرة . ١٣٧٣ هـ . وتحقيق . محمود واحمد محمد شاکر . ط دار المعارف مصر .
- (٣٠) تفسير القاسمي . المسمى محاسن التأويل . لمحمد جمال الدين القاسمي - تحقيق وتخريج محمد فوءاد عبد الباقي . ط٢ دار الفكر - بيروت . ١٣٩٨ هـ .
- (٣١) تفسير القرآن العظيم . لابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - دار الفكر بيروت .
- (٣٢) التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للفخر الرازي ط٢ نشر دار احياء التراث العربي - بيروت .
- (٣٣) تفسير المنار . لمحمد رشيد رضا . ط٢ دار المعرفة بيروت .
- (٣٤) تلبیس ابليس . لابی الفرج عبد الرحمن بن الجوزی . طبع المنيرية - نشر دار الندوة الجديدة بيروت .
- (٣٥) تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي . (مصرع التصوف) . لبرهان الديين البقاعي . تحقيق عبد الرحمن الوكيل . ط١ القاهرة . ١٣٧٢ هـ .
- (٣٦) تهذيب الاسماء واللغات لابی زكريا يحيى بن شرف النووي - طبع المطبعة المنيرية - مصر .
- (٣٧) تهذيب تاريخ دمشق . للشيخ عبد القادر بدران ط٢ دار الميرة بيروت - ١٣٩٩ هـ
- (٣٨) تهذيب التهذيب . للحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني ط١ مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آبار الدكن الهند - ١٣٢٧ هـ .
- (٣٩) التوسل . انواعه واحكامه . للشيخ محمد ناصر الدين الالباني . ط ٥ - المكتب الاسلامي . بيروت ١٤٠٤ هـ .
- (٤٠) التيجانية . دراسة لاهم عقائد التيجانية على ضوء الكتاب والسنة . تأليف علي محمد الدخيل الله . ط١ نشر دار طيبة الرياض .
- (٤١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . ط٢ ، المكتب الاسلامي بيروت ١٣٩٧ هـ .

- (٤٢) جامع بيان العلم وفضله وماينبغى فى روايته وحمله . لابی عمر يوسف بن عبد البر . المكتبة العلمية . المدينة المنورة .
- (٤٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي . ط دار الفكر بيروت .
- (٤٤) الجامع لاحكام القران . لابی عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبي . ط ٢ دار الكتب المصرية - ١٣٥٧ هـ .
- (٤٥) جلاء الافهام فى الصلاة والسلام على خير الانام . لابن قيم الجوزية تحقيق طه يوسف شاهين ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت .
- (٤٦) الجوهر المنظم فريزارة القبر الشريف النبوى العكرم لابن حجر الهيتمى المكي - طبع المطبعة الميمنية بمصر ١٣٠٩ هـ .
- (٤٧) الحاوى للفتاوى لجلال الدين السيوطى تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - ط ٢ . مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٩ م .
- (٤٨) الحج والعمرة فى الفقه الاسلامى . تأليف د . نور الدين عتر ط ٢ مؤسسة الرسالة . بيروت .
- (٤٩) حقيقة التوسل والوسيلة على ضوء الكتاب والسنة . تأليف موسى محمد على . طبع دار التراث . القاهرة . ١٩٨١ هـ .
- (٥٠) حلية الأولياء وطبقات الاصفياء للحافظ ابى نعيم احمد بن عبد الله الاصفهانى ط ٣ نشر دار الكتاب العربى . بيروت ١٤٠٠ هـ .
- (٥١) الحوادث والبدع . لابی بكر محمد بن الوليد الطرطوشى . تحقيق محمد الطالبى تونس - ١٩٥٩ م .
- (٥٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية . تحقيق د . محمد رشاد سالم ط ١ من مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض . ١٤٣٠ هـ .
- (٥٣) دراسة حديث : (نضر الله امرءا سمع مقالتي) رواية ودراية للشيخ عبيد المحسن العباد - ط ١ المدينة المنورة - ١٤٠١ هـ .
- (٥٤) الدرر السنية فى الرد على الوهابية لاحمد زينى دحلان .
- (٥٥) الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة لشهاب الدين احمد بن حجر العسقلانى تحقيق محمد سيد جاد الحق - نشر دار الكتب الحديثة - عابدين - مصر .

- (٥٦) دلائل الخيرات . لابي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي - طبع تركيا .
- (٥٧) دلائل النبوة . للامام ابي بكر احمد بن الحسين البيهقي تحقيق د. عبـد المعطى قلعي . ط ١ . دار الكتب العلمية . بيروت .
- (٥٨) الدليل الشافي في المنهل الصافي لجمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تفرى بردى . تحقيق فهيم محمد شلتوت . من مطبوعات مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى . جامعة أم القرى مكة المكرمة .
- (٥٩) الديباج المذهب فى معرفة اعيان علماء المذهب . لبرهان الدين ابراهيم بن على بن محمد بن فرحون اليعمرى المالكي - ط دار الكتب العلمية بيروت .
- (٦٠) ديوان البوصيرى لابي عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيرى تحقيق محمد سيد كيلانى . طبع مصطفى الحلبي مصر ١٣٧٤ هـ .
- (٦١) ديوان ابن عربى . لمحي الدين ابن عربى . نشر مكتبة المشنى - بغداد .
- (٦٢) الرد على البكرى (تخلص كتاب الاستغاثة) لتقى الدين ابن تيمية - ط المطبعة السلفية مصر - ١٣٤٦ هـ .
- (٦٣) رد الفصوص المسمى (مرتبة الوجود ومنزلة الشهود) للملا على بن سلطان القارى - دراسة وتحقيق الطالب عبد الله علي الملا - رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة أم القرى - ١٤٠٩ هـ .
- (٦٤) الرسالة . للامام محمد بن ادريس الضافى تحقيق احمد محمد شاکر ط ١ مطبعة مصطفى الحلبي - مصر ١٣٥٨ هـ .
- (٦٥) الرسالة التبوكية . لابن قيم الجوزية مراجعة الشيخ عبد الظاهر ابي السمح ط ١ نشر المطبعة السلفية ومكبتها مكة المكرمة - ط ١٣٤٤ هـ .
- (٦٦) زاد المسير فى علم التفسير . لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ط ١ طبع المكتب الاسلامى بيروت .
- (٦٧) زاد المعاد من هدى خير العباد . لابن قيم الجوزية تحقيق شعيب وعبد القادر الارنؤوط ط ٨ . مؤسسة الرسالة بيروت - ١٤٠٥ هـ .
- (٦٨) سقط الزند . لابي العلاء المعرى - طبع دار صادر . بيروت .
- (٦٩) السلسلة الصحيحة . للشيخ محمد ناصر الدين الالبانى ط ٢ المكتب الاسلامى - بيروت . ١٤٠٣ هـ .

- (٧٠) السلسلة الضعيفة . للشيخ محمد ناصر الدين الالبانى . طه المكتب الاسلامى
بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- (٧١) سنن الترمذى . للامام محمد بن عيسى بن سورة الترمذى . تحقيق عبد الرحمن محمد
عثمان - نشر محمد عبد المحسن الكتبى - المدينة المنورة .
- (٧٢) سنن الدار قطنى . للامام على بن عمر الدار قطنى وبها مشه التعليق على
الدارقطنى للمحدث العلامة ابى الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى نشر السنة
ملتان باكستان .
- (٧٣) سنن الدارمى للامام ابى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدرامى - نشر
دار احياء السنة النبوية - بعناية محمد احمد دهمان - دار الكتب العلمية
بيروت .
- (٧٤) سنن أبى داود . للحافظ ابى داود سليمان بن الأشعث السجستانى ومعه معالم
السنن للخطابى . اعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس . ط١ دار الحديث، حمص سورية
١٣٨٩ هـ .
- (٧٥) السنن الكبرى . للامام الحافظ ابى بكر احمد بن الحسين البيهقى ط١ مطبعة
مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد الدكن الهند ١٣٥٢ نشر محمد امين
دمج بيروت .
- (٧٦) سنن ابن ماجه . لابى عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى تحقيق وتعليق
وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة عيسى الحلبي - مصر .
- (٧٧) سنن النسائى . للحافظ ابى عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائى بشرح الحافظ
جلال الدين السيوطى ط١ احياء التراث العربى - بيروت - ١٣٤٨ هـ .
- (٧٨) السنة للحافظ ابى بكر عمرو بن ابى عاصم الضحاك بن مخلد الشيبانى ومعه
ظلال الجنه فى تخريج السنة للشيخ محمد ناصر الدين الالبانى ط١ المكتب الاسلامى
بيروت .
- (٧٩) سير اعلام النبلاء . للامام شمس الدين محمد بن احمد الذهبى قام على تحقيقه
جماعة باشراف الشيخ شعيب الارناؤوط ، ط١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٥ هـ .
- (٨٠) شذرات الذهب فى اخبار من ذهب لابى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى نشر
المكتب التجارى للطباعة والنشر بيروت .

- (٨١) شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة لابي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي - تحقيق د. احمد سعد حمدان - نشر دار طيبة - الرياض .
- (٨٢) شرح ديوان البرعي في المدائح الربانية ، والنبوية والصوفية للشيخ عبد الرحيم البرعي ط ١ مكتبة المعارف محمد سعيد كمال الطائف ١٤٠٤ هـ .
- (٨٣) شرح الزرقاني على موطأ مالك لابي عبد الله محمد عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المكتبة التجارية الكبرى . مصر ١٩٥٩ م .
- (٨٤) شرح العقيدة الطحاوية . لعلي بن ابي العز الحنفي ط ٦ المكتب الاسلامي بيروت - ١٤٠٠ هـ .
- (٨٥) شرح نهج البلاغة . لابن ابي الحديد . تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم طبع عيسى الحلبي - مصر ١٣٨١ هـ .
- (٨٦) الشريعة . لابي بكر محمد بن الحسين الاجري - تحقيق محمد حامد الفقي - نشر حديث اكاديمي باكستان ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- (٨٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - للقاضي عياض بن موسى اليحصبي طبع دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٩ هـ .
- (٨٨) شفاء السقام في زيارة خير الانام . لتقى الدين السبكي طبع مجلس دائرته المعارف العثمانية حيدرآباد الدكن الهند .
- (٨٩) الصارم المسلول على شاتم الرسول . لابن تيمية . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . طبع دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ .
- (٩٠) الصارم المنكي في الرد على السبكي للحافظ شمس الدين محمد بن احمد بن عبد الهادي - ط ١ . دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ .
- (٩١) صحيح البخاري . للامام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري - نشر دار احياء التراث العربي ، مصور عن طبعة السلطان عبد الحميد .
- (٩٢) صحيح الترغيب والترهيب - للشيخ محمد ناصر الدين الالباني - ط ٢ - المكتب الاسلامي - بيروت - ١٤٠٦ هـ .
- (٩٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ محمد ناصر الدين الالباني . ط ٢ المكتب الاسلامي ١٤٠٢ هـ .

- (٩٤) صحيح مسلم للامام ابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري تحقيق وتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي طبع دار الفكر بيروت - ١٤٠٣ هـ .
- (٩٥) صحيح مسلم بشرح النووي . لابي زكريا يحيى بن شرف النووي . دار الفكر بيروت .
- (٩٦) صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم . للشيخ محمد ناصر الدين الالبانسي ط ١١ المكتب الاسلامي ١٤٠٣ هـ .
- (٩٧) طبقات الحنابلة . للمفاض محمد بن محمد بن ابي يعلى الفراء - تحقيق محمد حامد الفقى . نشر دار المعرفة بيروت .
- (٩٨) طبقات الشافعية الكبرى . لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي - تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الطناحي ط ١ مطبعة عيسى الحلبي . مصر .
- (٩٩) العاقبة في ذكر الموت والاخرة . لابي محمد عبد الحق الاشبيلي - تحقيق الشيخ خضر محمد خضر - ط ١ مكتبة دار الاقصى ١٤٠٦ هـ .
- (١٠٠) عبد الله بن سبأ وأثره في احداث الفتنة في صدر الاسلام . تأليف سليمان بن حمد العودة - ط ١ - دار طيبة - الرياض - ١٤٠٥ هـ .
- (١٠١) العدة في أصول الفقه . لابي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي - تحقيق د. احمد بن علي المباركي - ط ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٠ هـ .
- (١٠٢) العقد الثمين في تاريخ البلد الامين . لتقى الدين محمد بن احمد الفاسي المكي ، تحقيق . فؤاد سيد - ط القاهرة - ١٣٨١ هـ .
- (١٠٣) فتاوى محمد رشيد رضا . جمع وتحقيق صلاح الدين المنجد - ويوسف خوري - ط ١ - طبع دار الكتاب الجديد - بيروت - ١٩٧١ م .
- (١٠٤) فتح الباري ، شرح صحيح البخاري . للحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني دار المعرفة - بيروت .
- (١٠٥) الفتح المبين في طبقات الاصوليين . للشيخ عبد الله مصطفى المراغي - ط ٢ - مطبعة محمد امين دمج - بيروت - ١٣٩٤ هـ .
- (١٠٦) الفتوحات المكية . لمحبي الدين محمد بن علي بن عربي الطائي - طبع دار صادر بيروت .
- (١٠٧) الفرق بين الفرق . لعبد القاهر بن طاهر البغدادي - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - ط دار التراث - القاهرة .

- (١٠٨) فرقة أهل القرآن بباكستان وموقف الاسلام منها . رسالة ماجستير مقدمة من الباحث خادم الهى حسين بخش - الى جامعة ام القرى - ١٤٠١هـ .
- (١٠٩) الفروق . لشهاب الدين احمد بن ادريس القرافي - نشر دار المعرفة - بيروت
- (١١٠) فصوص الحكم . لمحي الدين بن عربى - تقديم وتعليق ابو العلا عفيفى - نشر دار الكتاب العربى - بيروت .
- (١١١) الفلسفة الصوفية فى الاسلام . تأليف د. عبد القادر محمود - ط١ دار الفكر العربى مصر - ١٩٦٧م .
- (١١٢) فوات الوفيات . لمحمد بن شاکر الكتبي - تحقيق د. احسان عباس - نشر دار بيروت .
- (١١٣) الفوائد المجموعة فى الاحاديث الموضوعة . للشيخ محمد بن على الشوكانى - تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي - مطبعة السنة المحمدية - مصر .
- (١١٤) قاعدة جلييلة فى التوسل والوسيلة لابن تيمية ط١ طبع دار الآفاق الجديدة بيروت ١٣٩٩هـ .
- (١١٥) قواعد الاحكام فى مصالح الانام للعز بن عبد السلام تحقيق طه عبد الرؤوف سعد طبع مكتبة الكليات الازهرية - مصر - ١٣٨٨هـ .
- (١١٦) الكامل فى ضعفاء الرجال للحافظ ابى احمد عبد الله بن عدى - ط١ نشر دار الفكر بيروت - ١٤٠٤هـ .
- (١١٧) الكبريت الاحمر فى علوم الشيخ الاكبر . بهامش اليواقيت والجواهر . للشيخ عبد الوهاب الشعرانى - طبع مصطفى الحلبي - مصر - ١٣٧٨هـ .
- (١١٨) كتاب جماع العلم ضمن كتاب الام . للامام محمد بن ادريس الشافعى ط٢ طبع دار المعرفة - بيروت ١٣٩٣هـ .
- (١١٩) كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين للامام محمد بن حبان بن احمد بن ابى حاتم التميمي البستي تحقيق محمود ابراهيم زايد . ط٢ - نشر دار الوعى - حلب ١٤٠٢هـ .
- (١٢٠) الكشاف عن حقائق التنزيل فى وجوه التأويل - لابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري - ط١ طبع دار الفكر بيروت - ١٩٧٧م .

- (١٢١) كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على آلسنة الناس للشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني تصحيح وتعليق احمد القلاش - ط ٣ مؤسسة الرسالة بيروت - ١٤٠٣ هـ .
- (١٢٢) الكشف عن حقيقة الصوفية . تأليف محمود عبد الرؤوف القاسم ط ١ دار الصحابة بيروت - ١٤٠٨ هـ .
- (١٢٣) لسان العرب . لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانصارى - طبع دار صادر بيروت .
- (١٢٤) لسان الميزان . للحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلانى . ط ١ مجلس دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد الدكن - ١٣٢٩ هـ .
- (١٢٥) لواع انوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدررة المضية فى عقد الفرقة المرضية للشيخ محمد بن احمد السفارينى . مطابع الاصفهانى - جدة ١٣٨٠ هـ .
- (١٢٦) مجلة البحوث الاسلامية . مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد - الرياض - العدد ١٤ - ١٤٠٦ هـ .
- (١٢٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين الهيثمى ط ٣ - دار الكتاب العربى بيروت .
- (١٢٨) مجموع فتاوى شيخ الاسلام تقى الدين احمد بن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد . طبع مكتبة المعارف الرباط - المغرب .
- (١٢٩) مجموعة احزاب واوراد ورسائل . لاحمد بن ادريس الحسنى مطبعة مصطفى الحلبي ١٩٤٠ م ١٣٥٩ هـ .
- (١٣٠) مجموعة رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود طبع المكتب الاسلامى . دمشق .
- (١٣١) المختار من كنوز السنه . تأليف الشيخ محمد عبد الله دراز - راجعه واشرف على طبعه الشيخ عبد الله بن ابراهيم الانصارى . ط ٤ . قطر .
- (١٣٢) مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين * ابن قيم الجوزية تحقيق محمد حامد الفقى . طبع دار الكتاب العربى - بيروت ١٣٩٢ م .
- (١٣٣) المدخل لابي عبد الله محمد بن الحاج . طبع دار الفكر بيروت ١٤٠١ هـ .

- (١٣٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ملا على القارى . بمباى الهند .
- (١٣٥) المسائل المجموعة من الحقائق العالية والدقائق ضمن مجموعة رسائل
اسماعيلية . طبع مكتبة المثنى بغداد .
- (١٣٦) المستدرك على الصحيحين لابي عبد الله الحاكم النيسابورى وبذيلة تلخيص
المستدرك للذهبي . نشر دار الكتاب العربى بيروت ١٣٩٨ هـ .
- (١٣٧) المسند للإمام احمد بن حنبل الشيبانى نشر المكتب الاسلامى ودار صادر بيروت
- (١٣٨) مشكاة المصابيح . لمحمد بن عبد الله التبريزى تحقيق الشيخ محمد ناصر
الدين الالبانى - ط٢ دار المكتب الاسلامى ١٣٩٩ هـ .
- (١٣٩) معالم السنن للخطابى بهامش سنن أبى داود - طبع دار الحديث حمص - سوريا
١٣٨٩ هـ .
- (١٤٠) المعتمد فى اصول الفقه لابي الحسين البصرى تحقيق محمد حميد الله وآخرون
نشر المعهد العلمى الفرنسى للدراسات العربية - دمشق - ١٣٨٤ هـ .
- (١٤١) المعجم الكبير للحافظ ابى القاسم سليمان بن احمد الطبرانى تحقيق حمى
عبد المجيد السلفى ط١ مطبعة الوطن العربى بغداد ١٤٠٠ هـ .
- (١٤٢) معجم مقاييس اللغة . لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا تحقيق عبد السلام
هارون ط٢ مطبعة مصطفى الحلبي القاهرة ١٣٦٩ هـ .
- (١٤٣) معجم المؤلفين . تأليف عمر رضا كحالة - نشر دار احياء التراث العربى
بيروت .
- (١٤٤) المفردات فى غريب القرآن . للراغب الاصفهانى تحقيق محمد سيد كيلانى طبع
مطبعة مصطفى الحلبي - مصر ١٩٦٢ م .
- (١٤٥) مقالات الاسلاميين واختلاف الممليين لابي الحسن الاشعري عنى بتصحيحه هلموت
ريتر - نشر فرانز شانير ط١ المانا ١٤٠٥ هـ ١٩٨٠ .
- (١٤٦) مقدمة ابن خلدون . للعلامة عبد الرحمن بن خلدون طبع المكتبة التجارية
الكبرى مصر .
- (١٤٧) الملل والنحل . لمحمد بن عبد الكريم الشهرستانى تحقيق محمد سيد كيلانى
طبع دار المعرفة بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

- (١٤٨) مناقب الشافعي . للامام ابى بكر احمد بن الحسين البيهقى تحقيق السيد احمد صقر ط ١ دار التراث القاهرة .
- (١٤٩) المنتظم فى تاريخ الملوك والامم لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ط ١ دائرة المعارف العثمانية حيدآباد الدكن ١٣٥٨ هـ .
- (١٥٠) المنقذ من الظلال . لابي حامد الفزالى - مع ابحاث فى التصوف للشيوخ عبيد الحليم محمود ط ١ دار الكتب الحديثة مصر ١٣٩٤ .
- (١٥١) الموطأ للامام مالك بن انس الاصبى - ترقيم وتخريج . محمد فؤاد عبد الباقي طبع مطبعة عيسى الحلبي - القاهرة .
- (١٥٢) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للحافظ شمس الدين الذهبى - تحقيق على محمد الجاوى - نشر دار المعرفة - بيروت .
- (١٥٣) النبوات . لابن تيمية طبع دار الكتب بيروت - ١٤٠٥ هـ .
- (١٥٤) نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها تأليف عرفان عبد المجيد . طبع المكتبة الاسلامى بيروت ١٣٩٤ هـ .
- (١٥٥) نظريات الاسلاميين فى الكلمة . لابي العلا عفيفى مقال بمجلة كلية الاداب - جامعة الملك (القاهرة ١٩٣٤م ج ١ المجلد الثانى ص ٣٣ - ٧٥) .
- (١٥٦) نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب . للشيوخ احمد بن محمد المقرئ التلمسانى تحقيق . د. احسان عباس طبع دار صادر بيروت .
- (١٥٧) النسخات الاقدسية فى شرح الصلوات الاحمدية الأدرسية لمحمد بهاء الدين البيطار ط ١ دار الجيل بيروت .
- (١٥٨) النهاية فى غريب الحديث . لمجد الدين المبارك بن محمد الجزرى المعروف بابن الاثير تحقيق محمود الطناحي مطبعة عيسى الحلبي مصر .
- (١٥٩) النور المحمدى بين هدى الكتاب وغلو الفالسين . تأليف عذاب محمود الحمش ط ١ دار الامانى للنشر - الرياض - ١٤٠٧ هـ .
- (١٦٠) نيل الابتهاج بتطريز الديباج مطبوع بهامش الديباج المذهب لابن فرحون ابى العباس احمد بن احمد بن عمر المعروف ببابا التنيكتى طبع دار الكتب العلمية بيروت .

- (١٦١) هذه هي الصوفية . تأليف عبد الرحمن الوكيل . ط٣ دار الكتب العلمية
بيروت ١٣٩٩ هـ .
- (١٦٢) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى . تأليف نور الدين علي محمد احمد
السمهودي تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط١ مطبعة السعادة مصر ١٣٧٤ هـ .
- (١٦٠) وفيات الاعيان وانبياء ابناء الزمان . لابي العباس شمس الدين احمد بن محمد
بن ظكان (٦٠٨ - ٥٦٨) تحقيق د . احسان عباس طبع دار صادر بيروت .

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
	المقدمة
١٤-١	تمهيد
٤-٢	المبحث الاول تعزيف النبوة لغة وشرعا
٩-٥	المبحث الثانى بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم
١٤-١٠	المبحث الثالث النبوة اصطفااء الهى
١٢٠-١٥	الباب الاول : المحبة اتباعا.....
٨٥-١٦	الفصل الاول : محبة الرسول صلى الله عليه وسلم
٢٧-١٧	المبحث الاول : مفهوم المحبه.....
	المبحث الثانى : وجوب محبة الرسول صلى الله
٢٧-٢٨	عليه وسلم
	المبحث الثالث : دواعى محبة الرسول صلى الله
٥١-٢٨	عليه وسلم.....
	المبحث الرابع : مظاهر محبة الرسول صلى الله
٨٥-٥٢	عليه وسلم.....
١٢٠-٨٦	الفصل الثانى : الاتباع
٩٦-٨٧	المبحث الاول : مفهوم الاتباع.....
	المبحث الثانى : وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه
١٠٨-٩٧	وسلم.....
١٢٠-١٠٩	المبحث الثالث مظاهر الاتباع.....
٢٩٠-١٢١	الباب الثانى : المحبة ابتداء.....
١٩٠-١٢٢	الفصل الاول : الفلوفى الرسول صلى الله عليه وسلم
١٣٥-١٢٣	المبحث الاول : مفهوم الفلوفى انواعه . اسبابه
١٣٩-١٣٦	المبحث الثانى: الفلوفى الرسل عند اليهود والنصارى
	المبحث الثالث : الفلوفى ذات الرسول صلى الله
١٤٦-١٤٠	عليه وسلم عند الشيعة

رقم الصفحة	الموضوع
١٤٧ - ١٥٣	المطلب الاول : الغلو في ذات الرسول صلى الله عليه وسلم لدى الحلاج
١٥٤ - ١٧٣	المطلب الثاني : الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم عند ابن عربي
١٧٤ - ١٨٢	المبحث الخامس : اشار الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم
١٨٣ - ١٩٠	المبحث السادس : حكم الاسلام في الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم
١٩١ - ٢٩٠	الفصل الثاني : الابتداء
١٩٢ - ٢٢٢	المبحث الاول : تعريف البدعه وبيان حكمها
٢٢٣ - ٢٦٦	المبحث الثاني البدع التي ظهرت بدعوى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم
٢٦٧ - ٢٩٠	المبحث الثالث : اشار الابتداء
٢٩١ - ٢٩٤	خاتمة
٢٩٥ - ٣٠٨	قائمة المراجع
٣٠٩ - ٣١٠	فهرس الموضوعات